

مكتتاب المصطفى

د. لويس عوض



مذكرات طالب بعثة

كتاب

الملك

سلسلة شهرية تصدر عن

دار الهلال

الإصدار الأول يونيو ١٩٥١

رئيس مجلس الإدارة **مكرم محمد أحمد**

رئيس التحرير **مصطفى نبيل**

مدير التحرير **عادل عبد الصمد**

دار الهلال ١٦٠ ش محمد عز العرب

ت : ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط

فاكس : 3625469 - FAX

العدد ٦٠٩ - جماد ثان - سبتمبر ٢٠٠١

NO- 609- SE - 2001

مركز
الادارة

أسعار بيع العدد فئة ٧٠٠ قرش

سوريا ١٢٥ ليرة - لبنان ٧٥٠٠ ليرة - الأردن ٣ دينار - الكويت ٢ دينار -
السعودية ٢٠ ريال - البحرين ٢ دينار - قطر ٢٠ ريال - دبي/ أبوظبي ٢٠
طين ٤ دولارات -

darhilal

مذكرات طالب بعثة

د . لويس عوض

الغلاف بريشة الفنانة
تحية حليم

مقدمة المؤلف :

- ١ -

فى أوائل شهر مايو ١٩٦٥ فوجئت بكتيب أزرق الغلاف من القطع المتوسط لا تتجاوز صفحاته خمسا وعشرين عددا ، يصلنى بالبريد من الاسكندرية ، وجدته على مكتبى بجريدة «الأهرام» وما أن تصفحته حتى فغرت فمى دهشة فقد اشتمل هذا الكتيب على صفحات من كتاب كنت قد كتبتة فى ١٩٤٢ ثم ضاعت منى أصوله من نحو عشرين عاما ، وهذا الكتاب هو «مذكرات طالب بعثة» . وبعد ساعة أو نحوها جاعنى لطفى الخولى ، وهو يشغل المكتب المجاور لى فى «الأهرام» يعلن عن أنه تلقى بالبريد نسخة من هذا الكتاب ولم تمض ساعات حتى كنت قد تلقيت نحو عشر مكالمات تليفونية من أدباء معروفين من بينهم توفيق الحكيم وحسين فوزى ، كل منهم يعلن نفس الشئ ويستفسر عن الأمر .

وكان مصدر دهشتى أن ناشر هذا الكتاب لم تكن لى به معرفة سابقة شخصا أو اسما . وقرأت على صفحة الغلاف أن اسمه «كنارى» ، وهو اسم مستعار كما هو واضح ، ثم قرأت فى الصفحة الثانية والثالثة نبذة قدم بها كنارى هذا الكتاب يفتنر

فيها عن تصرفه بالنشر فى كتاب من قلم غيره ، مع اشارة تدل على أن هذا الكتيب هو العدد ١٢ من مطبوعات سلسلة تسمى نفسها «رسالة العامل» وتصدر عن دار فى الاسكندرية تسمى نفسها «دار النشر للجميع» وتذكر أن اسم رئيس التحرير هو حسنين محمود حسنين . وان الإدارة فى شارع لويجى ستانى ، محرم بك ، اسكندرية ، وعدت إلى الغلاف من جديد فقرات «دار النشر للجميع : ابريل ١٩٦٥» . وقرأت «كشف وتحقيق كنارى» .

وانتابنى وقتئذ شعوران غريبان : شعور بالغضب أن أرى شخصا لا أعرفه يتصرف فى عمل من أعمالى بالنشر دون إذن منى ، وشعور بالفرح لأنى تيقنت من أن أصول كتابى الضائع «مذكرات طالب بعثة» لم تضع نهائيا بعد عشرين عاما من افتقاده إياها ، وأن هناك نسخة واحدة منه على الأقل فى مكان ما بالاسكندرية مع هذا المجهول الذى يسمى نفسه كنارى . ثم استجد فى نفسى شعور ثالث هو شعور القلق . إذا كان كنارى هذا أو سواء يملك نسخة من أصول الكتاب هذه السنوات الطوال، فلماذا اختار هذا الوقت بالذات لنشر نموذج منه على الناس ؟ إن الكتاب «تجربة بالعامية» قد كتب عام ١٩٤٢ أيام إن كانت تؤرقنى

مشكلة الازدواج اللغوى فى مصر وعلاقتها بالتعبير الأدبى . وقد كان آخر عهدى بهذه المشكلة عام ١٩٤٧ حين كتبت مقدمة ديوانى «بلوتولاند» الذى نشرته فى تلك السنة وهو من إنشاء الفترة ١٩٣٧ - ١٩٤٠ . ومنذ ١٩٤٧ انصرفت تماما عن التفكير فى مشكلة اللغة وعن بحثها لسبيين : أحدهما انى اعتقدت أن مهمتى قد انتهت بطرح القضية على رأى العام فى مقدمة الديوان ، وكل عود إلى الموضوع تزيد لا نفع فيه مادمت قد بسطت وجهة نظرى كاملة فى «المقدمة» والسبب الثانى هو أن مشكلة الازدواج اللغوى والتعبير الأدبى تؤرق الأديب الخالق أكثر مما تؤرق الأديب الناقد . فكل من يكتب للمسرح أو يكتب الحوار فى الرواية أو فى القصة القصيرة عليه أن يجابه هذه المشكلة باستمرار ، وعليه أن يتخذ منها «موقفا» عمليا .

أما أنا فصناعتى الأولى هى صناعة الناقد والأستاذ ، وليس فيما أقوله للناس ناقدًا أو استاذًا ما يتعذر على أدائه بالعربية الفصحى . وبالتالي فإن هذه المشكلة ليست من مشاكل الشخصية فى التعبير الأدبى ، وقد جردت على مجلة «الرسالة» ومجلة «الثقافة» فى ١٩٦٤ و ١٩٦٥ حملة مسعورة متصلة كانت المدفعية الثقيلة فيها ستة وعشرين مقالا مسلسلا كتبها عنى

الأستاذ محمود شاكر في «الرسالة» وكان محور هذه الحملة رأيي بأن المعري كان مطلقا على تراث اليونان ورأيي بأن اللغة العامية تصلح أداة للتعبير الأدبي . أما نقد نظرياتي في المعري فقد كان أمرا مفهوما بغض النظر عن شطط الأستاذ الناقد في التعبير عن قصده لأن بحثي «على هامش الغفران» الذي نشرته في جريدة الأهرام كان متعاصرا مع مقالات الأستاذ الناقد وغيره من الناقدين ، ولكن الذي عجز الناس عن فهمه هو تركيز نقادي على نظريتي في أصالة التعبير الأدبي العامي ، رغم أنني لم أكتب شيئا في هذا الموضوع منذ ثمانية عشر عاما ، وتصويري في صورة أداة يحركها المبشرون والمستعمرون للقضاء على اللغة العربية رغم أن آرائي في العامية والفصحى ليست إلا امتدادا لخط طويل يمتد نظريا من ابن خلدون إلى رفاعة الطهطاوي إلى لطفى السيد وعبدالعزیز فهمي ويمتد عمليا من شعراء الموشحات الاندلسية والمواليا إلى عثمان جلال إلى بيرم التونسي إلى صلاح جاهين وعشرات من كتاب المسرح المعروفين في السنوات المائة الأخيرة . وهكذا بدأت أتصور احتمال أن يكون تصدى حسنين محمود حسنين «كناري» لنشر نموذج من هذه التجربة العامية جزءا من مخطط الحملة الرجعية المجردة على في

مجالات وزارة الثقافة بقصد تغذية هذه الحملة بعد أن مجها
الناس لتكرار كلامها ولإسفافها لعلها أن تمتد بعملية نقل الدم
هذه ستة وعشرين مقالا آخر . ولكن رغم هذا الغضب وهذا القلق
فان شعورى بالفرح لظهور الكتاب الضائع كان أقوى من كل
شعور آخر .

وكانت هناك أسئلة عديدة تملأ رأسى لم يكن هناك مناص من
الاجابة عنها : من يكون كنارى هذا ؟ ماذا يريد ؟ وكيف وصلت
أصول الكتاب إلى يده ومتى ؟ وكيف يمكن استردادها منه ؟ وماذا
ينبغى أن يكون موقفى منه بعد أن حجب عنى أصول كتابى أو بعد
أن سمح لنفسه بالتصرف فيها دون إذن منى ؟ وماذا ينبغى أن
أفعل بالكتاب لو نجحت فى استرداده ؟

استطعت أن استنتج أن كنارى وحسنين محمود حسنين
شخص واحد ، وأن استنتج أيضا أنه صحفى من صحفى
الاسكندرية ، ولكن بقى الدليل طبعاً . أما : ماذا يريد ؟ فقد بقى
سؤالا حائرا فى رأسى ، ولاسيما وان الطريقة التى نشرت بها
هذه الملزمة كانت تدعو للحيرة حقا . فبعد أن قرأت الملزمة تيقنت
من أنها أمينة كل الأمانة فهى لا تشتمل على كلمة واحدة يمكن أن
تكون قد دست على . ولم أستطع بالطبع أن أقطع إن كانت تمثل

النص بحذاقيره ، فليس هناك من يدعى أنه يستطيع أن يتذكر شيئاً كتبه قبل ثلاثة وعشرين عاما كلمة بكلمة ، وانما المهم لم تشتمل على كلمة واحدة لا تدخل بداهة في حدود ذكرياتي وطريقتي في التعبير .. كذلك لم تكن هناك أية محاولة لاختفاء شيء من الحقائق عن عملية النشر فاسم الناشر معلن وعنوانه معلن وحتى إذا افترضنا أن كنارى وحسنين محمود حسنين شخصان مختلفان ، فعنوان دار النشر كاف لاقتفاء أثر جميع الأطراف المشتركين في العملية . فاذا كانت الامانة متوفرة وإذا كانت العلانية متوفرة فلا بد إذن من افتراض حد أدنى من حسن النية . ولكن بالرغم من بيان الأستاذ المحقق والمكتشف كنارى بأنه ينشر هذا النموذج ايمانا منه بأن العمل الأدبي يدخل في نطاق الملكية العامة مهما كان رأى صاحبه فيه . فان اختيار هذا الوقت بالذات لنشر الملزمة الأولى ، وهو وقت تعرضى للحملة المفتعلة المسعورة التى شنتها على مجلات وزارة الثقافة الرجعية كان كفيلا بأن يدفع إلى الريبة ، ولاسيما بعد ضياع النص أكثر من عشرين عاما ، ثم أن عدم استئذاني في النشر رغم أنى يسير المنال عن طريق خطاب أو زيارة كان سببا أدعى للاشتباه في مقاصد هذا الرجل .

والحق أنى لم أعرف كيف ينبغي أن أتصرف إزاء هذا الرجل .
فكرت أن أكتب إليه خطابا أشكره فيه على محافظته على أصول
الكتاب أو أعرب فيه عن سعادتي لعثوره عليه ولكنى عدلت ، لأن
مثل هذا الخطاب يمكن أن يستخدم حجة تسقط حقي فى
مقاضاته لتصرفه فى شئ لا يملكه . ولم يكن لهذا الموضوع وجهه
المادى فحسب ، بل كان له وجهه الأدبى أيضا ، فلو أنى عثرت
شخصيا على أصول «مذكرات طالب بعثة» بين أوراقى القديمة ،
فربما كان هناك احتمال قوى أن أقبر حفظه فى درجى أعواما
أخرى قبل نشره ، وربما كان هناك احتمال قوى أن أوصى بعدم
نشره قبل موتى بعشر سنوات ، فالكتاب مهدى «لمادليف برنيه :
واهبة السعادة» وهى أنسة فرنسية كنت أحبها أيام التلمذة فى
انجلترا ، أى قبل أن أتزوج ، الا أنى لا أرى أن من اللياقة أن
يشهر رجل متزوج غرامياته القديمة على رعوس الأشهاد ، ثم أنى
بطبعى لا أؤمن بالسماح لاشباح الماضى أن يتجول فى الحاضر
دون حسيب أو رقيب ، ولو اتخذت هذه الاشباح ثياب الفن أو
الأدب ، إن «مذكرات طالب بعثة» يمثل تجاربى الشخصية وأرائى
بين ١٩٣٧ و ١٩٤٠ ، أى منذ أكثر من ربع قرن . وقد انطوت هذه
الحقبة من حياتى بخيرها وشرها ولا أرى ضرورة لاستحضارها .

فضلا عن أن ربع قرن من النمو والمكابدة قد جعلنى أراجع كثيرا من المعتقدات التى كنت أتبناها فى شبابى الأول فأعدل عن بعضها وأنقح بعضها الآخر . وأعتقد أنه لازال حقا من حقوق الإنسان أن يحجب عن الناس معتقداته وانطباعاته الأولى ، ولاسيما إذا كانت لا تمثل معتقداته وانطباعاته فى كهولته المتأخرة . فإذا أضفنا إلى ذلك أن موقفى من العامية والفصحى قد انتهى نهاية طبيعية فى ١٩٤٧ بحيث لم يعد لى منذ ذلك التاريخ موقف من العامية والفصحى ، باعتبار أنى أعلنت فى مقدمة «بلوتولاند» أن كل جدل «نظرى» حول هذا الموضوع عديم القيمة وأن المشكلة لا حل لها سلبا أو ايجابا إلا بالممارسة ، وصلنا إلى نتيجة شبه محققة وهى أن «كنارى» لو كان قد أعاد إلى كتابى الضائع عام ١٩٦٥ بدلا من اجترائه على نشر فصل منه لكان الأرجح أن أطويه بين ما أطوى من أوراق الماضى فلا يرى النور إلا بعد وفاتى . ومن هنا تستطيع أن تفهم مبلغ حيرتى فى الاجابة على هذا السؤال :

ترى كيف اتصرف ازاء هذا الرجل ؟ ترى كيف أتصرف بهذا الكتاب إذا اتيح لى أن أسترده . ان كتابى - أيا كانت قيمته - يعد جزءا لا يتجزأ من تاريخ مصر الثقافى أبان الحرب العالمية

الثانية وما قبلها .. أشكر كنارى إذن لأنه أخرج إلى النور جزءا من تاريخ مصر الثقافى أم أسبه لأنه نبش قبور الموتى واستخرج منها هياكل وجماجم كان ينبغى أن تظل راقدة فى بطن الأرض ؟ وهكذا وجدتني أمسك بالقلم وأسطر رسالة لكنارى من قلبى فى الأهرام تبدأ هكذا : «سيدى العزيز ، وصلتني نسخة من كتابك .. أقصد من كتابى ..» ثم يتوقف القلم . لم يكن بد من العدول عن الكتابة إلى كنارى ، إن أمثال هذه الأمور لا تحل إلا باللقاء الشخصى . ولكن متى ؟ ربما بعد شهر . ربما بعد عام . شئ واحد رسخ فى ذهنى ، وهو أن أسعى إلى لقاء كنارى بأية طريقة من الطرق لاسترداد الكتاب ، وأن أعجل بهذا اللقاء ما استطعت إلى ذلك سبيلا . فظاهر الحال يدل على أنه كان ينتوى أن ينشر كتابى كله مسلسلا على دفعات شهرية .

وكنت بينى وبين نفسى أنظر فى يأس إلى هذا اللقاء .. فكثرة أعبائى فى القاهرة جعلتني أشك فى لقاء قريب ، وبدأت أستسلم ليأس غريب . فليفعل كنارى بكتابى ما يشاء .. فليشره مسلسلا أو دفعة واحدة أو فليقتذف به بين أمواج البحر المالح .. أليس هو مكتشفه وصاحبه ؟ لقد انفصل الكتاب عني منذ أن ضاع مني

نحو عام ١٩٤٥ . وبعد أسبوع واحد .. ثم كان استسلامى قد بلغ
تمامه ومداه فكففت عن التفكير فى الموضوع .

ثم حدث شئ أليم قلب كل تفكيرى رأسا على عقب . فقد مات
الدكتور محمد مندور فى ١٩ مايو ١٩٦٥ ، أى بعد نحو اسبوعين
من وصول المطبوع إلى يدى . وجلست أعد مقالا للأهرام فى
تأيينه ، فأخذت أراجع كتبه فى مكتبتي فوقعت عينى على هذه
العبارة فى كتابه «النقد والنقاد المعاصرون» فى معرض الحديث
عنى وعما كان بيننا من علاقة فكرية صميمة أثناء تعاصرنا فى
أوروبا أيام الطلب :

«ومن المؤكد أن أهم عوامل التجارب بينى وبين لويس عوض
كان الظلم المشترك للمعرفة ، واحساسنا بأننا لم نسافر إلى
أوروبا لنبحث عن هذه المعرفة فى بطون الكتب وحدها والا
لاستقدمنا الكتب وما احتجنا إلى تحمل مشاق الغربة ، ولهذا أذكر
أننى لم أنفق وقتا طويلا فى ارشاد لويس عوض إلى ما سألنى
عنه عند زيارته الأولى لباريس عن المراجع الفرنسية التى تعالج
موضوع (لغة الشعر) الذى كان يدرسه عندئذ للحصول على درجة
جامعية فيه ، بينما انقضت الوقت كله فى اشراكه معى فى تأمل
ودراسة مشاهد الحياة وأساليبها ومعالم الماضى التى خلفتها

الحضارة الفرنسية على صفحة باريس وأمكنه الوحي والالهام منها ، ولقد علمت من لويس ومن بعض الأصدقاء أنه كان قد دون هذه الذكريات فى كتاب كبير ولكنه ظل مخطوطا حتى ضاع منه ، وكم أسفت لضياعه وكأننى فقدت جزءا من نفسى .

وما أن فرغت من قراءة هذه العبارة حتى عضنى ألم فظيع وتذكرت كل شئ .. كنت قد نسيت محتويات كتابى فذكرتنى هذه العبارة بفصول كاملة فيه ، وتذكرت كيف كان مندور يستحثنى عاما بعد عام بين ١٩٤٥ و ١٩٥٠ للبحث عن كتابى الضائع بغية نشره ، ووصلت إلى قرار : ان هذا الكتاب ليس ملكا لى وحدى وانما هو ملك عام كما قال كنارى فى كلمته . انه سجل لفترة من تاريخنا الثقافى ، ومن الخطأ أن يطوى هذا السجل . وأبسط آيات الوفاء لذكرى هذا الصديق العظيم هو أن استرجع هذا الكتاب وأن أنشره فى الناس ، فأنشر بنشره صفحات من حياة مندور فى أوروبا لا يعرفها إلا الأقلون . وهكذا قررت أن أسافر إلى الاسكندرية باحثا عن كنارى فان استحال الاهتداء إليه فلأبحث عن «دار النشر للجميع» ، وهى الدار التى صدر عنها النموذج المطبوع .

وبعد يومين أو ثلاثة من وفاة مندور وجدتني في بيته مع السيدة الشاعرة ملك عبدالعزيز ، زوجته ، أستعين بها على جمع بعض مقالاته القديمة . وهناك التقيت بالصدیق الفريد فرج ، والذي جاء في مهمة مشابهة ، وكنت أعلم أنه من الاسكندرية .. فسألته عرضاً عن كنارى . وكم كانت دهشتي حين عرفت منه أنه يعرفه شخصياً . وعلمت من الفريد فرج أن كنارى هو حسنين محمود حسنين نفسه ، وأن العنوان المنشور على الغلاف هو عنوانه . كذلك عرفت منه أنه صحفى اسكندري أصاب من العلم حظاً لا بأس به ، ولكنه رجل غريب الأطوار . ورجوت الفريد فرج أن ينوب عني في انقاذ الكتاب ، وأن يسافر بشخصه إلى الاسكندرية فوراً لاستنقاذه ، وفوضته في أن يعرض على كنارى أى عرض مالى أو أدبى يقبله مقابل رد الكتاب ، فقد كان واضحاً في ذهنى أن نشر هذا الكتاب قد أصبح بعض ما ينبغي عمله لأحياء ذكرى مندور بغض النظر عن أى اعتبار آخر . فوعدنى الفريد فرج بأن يتكفل بهذه المهمة ..

ومرت ثلاثة أيام أو أربعة اكتشفت بعدها أن ألفريد فرج لم يسافر بشخصه إلى الاسكندرية وإنما لجأ إلى سلسلة من المكالمات التليفونية مع أخيه نبيل فرج المقيم على مقربة من كنارى

فى الاسكندرية . وكانت نتائج المفاوضات مع كنارى لا توحى بالاطمئنان . فقد علمت أنه كان يماطل ويراوغ ثم يعد ثم يعدل . وأخيرا رتبت معه مكالة تليفونية مباشرة فى بيت نبيل فرج فى العاشرة مساء . وكنت فى هذه المكالة حاسما . أصررت على موعد وحددت يوم الخميس ٢٧مايو ١٩٦٥ فى داره بالاسكندرية . حاول التسويق متعللا بالحضور إلى القاهرة ، ولكنه أدرك من لهجتى فى التليفون أن صبرى قد نفذ . وبالفعل ، فى الموعد المحدد كنت أنا والفريد فرج ونبيل فرج فى غرفة استقباله ، وبعد لى سلمنى الأصول تسلمتها بعد ساعتين من المرافعة واللف والدوران وادعاء أن الأصول ليست فى حوزته ولكنها لدى طرف ثالث . تسلمتها بعد أن خرجت عن طورى فحدثته بغلظة عن القانون والمحاكم والسجون والغرامات . وكان يحفظ الأصول عند السيدة زوجته فى الغرفة المجاورة . فزعم أنه ماض لاحضارها من مكان ما فى الاسكندرية ، وخرج بالكتاب تحت أبطه وذهب يسير به على غير هدى فى الشوارع وفى الاوتوبيسات والتراموايات لا يعرف كيف يتصرف هكذا أبلغنى فيما بعد . ثم عاد إلينا بعد نصف ساعة وقد هداه الله إلى الحل القويم فسلم الأصول . وبعد أن سلم الأصول تحول كنارى إلى إنسان وديع وأخذ يتردد على

فى فندق المتروبول ، وىحدثنى عن نفسه وماضيه الأدبى ومشروعاته .. وعرفت منه أن الكتاب آل إليه منذ عشرين سنة عن طريق قريب أو صديق له كان يعمل فى رقابة النشر أثناء سنوات الحرب .

كذلك فهمت منه أنه لم يكن يتصور أول الأمر أنى لا أملك نسخة من كتابى وأن نسخته هى الوحيدة الباقية ، بل كان يحسب أنى قد طويت كتابى عامدا متعمدا طول هذه السنوات ، وأنه أراد بنشر الملزمة أن يضعنى أمام الأمر الواقع . وقد أرسل منها نسخا لكل أديب من أدباء مصر بالبريد وأنه باع نحو ألف نسخة فى أسابيع قليلة فاسترد نفقات الطبع وربما ربح بعض المال . والحق أنى وجدت كنارى رجلا معقدا من طراز غير مألوف ، فهو خليط غريب من المثالية ومن الالتواء ، وبعد أن عدت إلى القاهرة اتفقت مع دار «روزاليوسف» على نشر «مذكرات طالب بعثة» فى سلسلة الكتاب الذهبى . لقد خرج الأمر من يدى منذ أن نشر كنارى قسما من الكتاب على الملأ ولم يبق إلا أن ينشر النص كاملا .

بقيت كلمة عن الكتاب نفسه وكيف جاء إلى الوجود . كنت بعد عودتي من كامبريدج في سبتمبر ١٩٤٠ كثير التفكير في مشكلة اللغة والتعبير الأدبي شعرا ونثرا ، أما ما يسمى عادة بمشكلة العامية والفصحى . وقد انتهيت قبل ذلك بسنوات إلى امكان قيام شعر بالعامية والفصحى . وقد انتهيت قبل ذلك بسنوات إلى امكان قيام شعر بالعامية يتجاوز تجاورا شرعيا مع أدب الفصحى دون أن يوجد بالضرورة أى تعارض بينهما . وقد أجريت بالفعل بعض التجارب في هذا الاتجاه بين ١٩٣٧ و ١٩٤٠ ظلت تتداول بين المثقفين في جامعة القاهرة وخارج جامعة القاهرة منسوخة على الآلة الكاتبة حتى نشرتها عام ١٩٤٧ في ديوان «بلوتولاند» والحق أنه لم يكن فى كلامى جديد إلا الطريقة التى عبرت بها عن آرائى .

هذا ما كان من أمر الشعر العربى . أما النثر العربى ، فلم تظهر له مشكلة فى تاريخ أدبنا الا حينما تصدينا لكتاب حوار المسرح وحوار القصة ، وقد انتصرت العامية فى حوار المسرح فى العشرينات ، وأراد توفيق الحكيم فى الثلاثينات أن يتم ما بدأه الرواد فى العشرينات وما قبلها ولكن طه حسين وجماعة الفصحى

تكاثروا عليه فتراجع عن الحوار العامى فى المسرح والرواية جميعا . ولم يفكر أحد أن تجربة التعبير العامى يمكن أن تمتد إلى نسيج النثر الفنى بأشمل معانيه ، فتمتد إلى لغة السرد والوصف والتحليل ، لم يفكر فى ذلك أحد إلا بيرم التونسي الذى كتب فى الثلاثينات «السيد ومراته فى باريس» ، وهو وصف فكاهى ساخر لغربته فى المنفى ، كتبه بيرم التونسي بالعامية من ألفه إلى يائه . وقد التهمت هذا الكتاب التهاما ولم يلبث أن فتح أمامى آفاقا فى تجارب اللغة .. كان «مذكرات طالب بعثة» ثمرتها المباشرة . فقد أوحى إلى تجربة بيرم التونسي أن أتمم عمله بعرض الوجه الآخر من الصورة . فبيرم التونسي قد جرب بنجاح النثر العامى فى لغة السرد والوصف والتحليل ، ولكن فى حدود الفكاهة والباروديا البرلييسكة والتعبير الكوميدي بوجه عام ، وهى كلها فنون من الأدب يسوغ فيها استعمال العامية لقربها الشديد من الحياة اليومية .

وهكذا فكرت فى أن أجرب النثر العامى فى لغة السرد والوصف والتحليل ، ولكن فى حدود الفكر الجاد والعواطف السامية بل والقصد التراجيدى ، وبهذا استكشف امكانيات اللغة العامية عمليا لا نظريا وبالتجربة لا بمجرد الافتراض والدعوى .

فى أغراض أستقر فى عرف المثقفين أنها لا تصلح لها . أقول
المثقفين لأن الأدب الشعبى استخدم منذ قرون طويلة العامية الفنية
دون حرج ودون تردد . واستخدمها بنجاح فى فن الحكوة وفى فن
المثل السائر .

ولم يكن بيرم التونسى وحده فى ذهنى عندما جلست فى منزل
الأسرة بمدينة المنيا ذات صيف فى عام ١٩٤٢ أدون «مذكرات
طالب بعثة» ، أن تقليد تدوين الانطباعات عن الرحلات الكبيرة له
تاريخ طويل فى أدبنا الحديث ، وأول من وضع أساسه هو رفاعة
الطهطاوى فى «تخليص الأبريز فى تلخيص باريز» ١٨٢٤ الذى
وصف فيه إقامته فى باريس بين ١٨٢٧ و ١٨٣٠ وسجل انطباعاته
عن الحضارة الفرنسية فى جيله . ثم تلاه أحمد فارس الشدياق
فى «الساق على الساق» ١٨٥٢ وفى كتابه «الواسطة إلى معرفة
مالطة ١٨٥٤» وفى كتاب «كشف المخبأ فى فنون أوروبا» (١٨٥٤)
وغير ذلك من أدب الرحلات والمذكرات حتى ظهور «الأيام» لطفه
حسين فى العشرينات من هذا القرن ومذكرات فى الثلاثينات من
هذا القرن ومذكرات توفيق الحكيم العديدة التى صدرت فى
الثلاثينات والأربعينات . ولا فرق فى المنهج بين هذه المدونات
العظيمة سوى أن بعض أصحابها كتبوا عن أشخاصهم أكثر مما

كتبوا عن مشاهداتهم. وقد أوجت إلى كل هذه الأعمال أن أتأثر خطى هؤلاء الرواد فأنقل صورة أوروبا وحضارتها في وجدان شاب مصري زارها بين ١٩٣٧ و ١٩٤٠ ، ولكن مستخدما تجربة بيرم التونسي في استكشاف امكانيات اللغة العامية . فعلت ذلك في ١٩٤٢ قبل أن تزول من ذاكرتي الانطباعات العديدة التي تركتها رحلتي الأوروبية في جناني ووجداني وقد راعيت أن أبدأ وصف تجربتي منذ أول يوم غادرت فيه مصر حتى يوم عودتي إليها وقد عدت إلى مصر بعد نشوب الحرب العالمية الثانية بنحو عام ، وكان ممر جبل طارق مغلقا يومئذ بسبب ظروف الحرب ، ومن هنا أتيت لي أن أعود عن طريق رأس الرجاء الصالح فانتفعت من هذه التجربة ايما انتفاع .

ثم شرعت في نشر هذا الكتاب وكانت الحرب لا تزال قائمة فقدمته لرقابة النشر في ٢٥ أكتوبر ١٩٤٤ مكتوبا على الآلة الكاتبة ، ولا استبعد أني أودعت في الرقابة ثلاث نسخ على الأقل وقد كانت لي مع رقابة النشر يومئذ مغامرة تستحق التسجيل . فقد فوجئت بعد شهر من تقديم الكتاب بأن الرقابة لم تراقبه أو على الأصح لم تقرأه بقصد اجازته للنشر ، فقصدت إلى مدير الرقابة وكان يومئذ استاذي البروفسور ر. أ. فيرنس رئيس قسم

اللغة الانجليزية بكلية الآداب بجامعة القاهرة ، وكان قد انتدب طوال مدة الحرب من الجامعة إلى وزارة الداخلية ليتولى وظيفة الرقيب العام . زرته فى مكتبه بوزارة الداخلية لاستفسر عن تأخر مراقبة الكتاب . فقال لى . «بصراحة أنا أعطيته للرقيب الشيخ فلان ليراقبه (نسيت الآن اسم هذا الرقيب) ، وقد أبلغنى أنه معترض على صدور الكتاب» .

قلت : «وما وجه اعتراضه ؟» .

أجاب : «قال أن الكتاب مكتوب بالعامية والكتب لا ينبغى أن تصدر إلا بالفصحى» .

قلت : «هل يمكن أن أتفاهم مع هذا الرقيب ؟» .

أجاب : «نعم» . ثم رفع سماعة التليفون ، وبعد دقيقتين دخل علينا شيخ معمم فى منتصف العمر ، وجادلته فى الأمر ، فحاول اقناعى بأن أعيد كتابة هذه المذكرات باللغة الفصحى وأن أعيد تقديمها إلى الرقابة .

فأجبتة بغلظة بعد أن يئست من التفاهم معه : «ولماذا لا تطلب مصادرة أعمال بيرم التونسي ومسرحيات الريحاني وكافة القصائد والدواوين التى تظهر باللغة العامية ؟ .. ثم اسمح لى أن أذكرك أن كل هذا الحرص على سلامة اللغة العربية يتنافى مع

عملك فى خدمة الامبراطورية البريطانية كرقيب على ما ينشره
المصريون فى بلادهم» .

وكان الأستاذ فيرنس يجيد اللغة العربية ، الفصحى منها
والعامية ، قراءة وكتابة وكلاما ، بحكم تخصصه فيها وبحكم
اقامته المديدة فى مصر أكثر من ثلاثين سنة . ورأى فيرنس أنى
ألتهبت فحاول تهدئتى ولكنه انحاز إلى جانب الشيخ .

فقلت : «هل هناك قانون من قوانين الدولة ينص على عدم جواز
الكتابة بالعامية ؟ إن كان هناك قانون بهذا المعنى فانى أطلب
الاطلاع عليه . أنا لا أطالب إلا بحقوقى القانونية» .

وهنا حدث اشكال .. قال الاستاذ فيرنس متديرا : «مادام
الشيخ فلان يرفض مراقبة كتابك فليس أمامى إلا أن أحيله إلى
رقيب آخر . هل تقبل هذا الحل ؟

قلت : «هذا شأنكم ، أما أنا فأطلب اجازة كتابى للنشر» .
ومن جديد رفع سماعة التليفون وهمس فيها ، وبعد دقيقتين
دخل علينا رقيب آخر ، وكان هذه المرة «أفندى» قصير القامة إلى
درجة ملفتة للنظر يميل إلى السمرة . وقدمه إلى الأستاذ فيرنس
قائلا : «الأستاذ توفيق صليب ، لعلك سمعت عنه» . وصافحت
الرجل ، وكنت أسمع عنه سوءا ، لأسوءا شخصا ، ولكن سنوءا

سياسيا محوره تعاونه مع الحكومات الدكتاتورية في مصر ،
فحملت فيه وبدا على وجهى التطير ، ثم أستأذنت وانصرفت .
وحققت الأيام تشاؤمى . فبعد أسبوع وجدت نفسى من جديد
فى رقابة النشر اتسلم من الأستاذ توفيق صليب نسخة من كتابى
ختمت كل صفحة من صفحاتها بختم أحمر بيضاوى يقول «حذف
بمعرفة الرقيب» . أو شيئا من هذا القبيل ، وقلبت صفحات الكتاب
صفحة صفحة فسقط فكى من فرط الدهشة لأنى وجدت أن
الأستاذ توفيق صليب قد أعمل القلم الأزرق بغزارة فى صفحات
الكتاب .. ولست أذكر الآن كل تفاصيل ما شطب ، ولكن يحضرنى
أنه ضرب بالقلم الأزرق على كل فقرة أو صفحة جاء فيها ذكر
للحرب أو تعريض أو زراية بالانجليز أو وصف لمشكلة التفرقة
العنصرية فى جنوب افريقيا . وأخذت أجادله فيما فعل ولكن دون
جدوى . جدار أصم ولكن فى منتهى الأدب واللباقة : «أنت تنسى
يا أستاذ عوض أننا فى حالة حرب» «أنت تنسى يا أستاذ
عوض أننا حلفاء انجلترا» . ولكى تعرف سخافة ما شطب
فتأمل هذا الحوار : «لا داعى لأن تقول : الانجليز اللى تعبونا من
سنة ١٨٨٢» . «وماذا أقول إذن ؟» «قل : الانجليز اللى
عرفناهم من سنة ١٨٨٢» «ولكن أقصد أن أقول : اللى تعبونا .»

«هذه تعد دعاية ضد انجلترا» . أو «كيف تقول أن أولاد اللوردات في جامعة كامبريدج يسرقون ؟» . «ولكنهم بالفعل كانوا يسرقون . وأنا كنت هناك ورأيتهم يسرقون .» «أنت تعلم أنه ليس كل ما يعرف يقال» . أو : «أنت تصف المصريين وهم يركبون ظهور الانجليز السكارى وهذا يصور الانجليز في صورة زرية» إلخ
مئات من العبارات والسطور والفقرات وعديد من الصفحات الكاملة قرئت بعناية وشطببت بعناية ومعها فصل كامل عن رحلتى إلى جنوب افريقيا .

قال : «الآن تستطيع أن تنشر كتابك يا أستاذ عوض .»
أجبت : «أنا أفضل أن أحرقه بيدي عن أن أنشره على هذه الصورة المبتورة .» وكان في كلامى القاسى ما يكفى لأن يجعلنا نتشائم لولا أدب الرجل ودبلوماسيته الشديدة .
وهكذا خرجت من وزارة الداخلية انتفض غيظا ومعى النسخة المختومة من كتابى ، وقد انتهيت إلى قرار : لن يخرج هذا الكتاب إلى النور الا فى صورته الكاملة عندما ترفع الرقابة بعد الحرب بأذن الله .

(بين قوسين : مرت سنوات عديدة ثم قرأت فى الصحف نعى المرحوم الاستاذ توفيق صليب واستلفت نظرى أن النعى يصفه

بالمجاهد الكبير ، وكنت فى نقابة الصحفيين وأثارت هذه العبارة فضولى فاستفسرت من بعض الصحفيين المسنين عن «جهاد» الأستاذ توفيق صليب فأجابنى عاجبا من جهلى :

ألا تعرف أن الأستاذ توفيق صليب كان فى طليعة الفدائيين فى ثورة ١٩١٩ ، وأنه حكم عليه بالاعدام أو بالسجن المؤبد فى قنبلة كذا أو فى اغتيال كذا ؟ .

وتذكرت كل كلمة دارت بينى وبينه فى مبنى وزارة الداخلية فى خريف ١٩٤٤ ، وأطرقت . قالت نفسى : سبحان مغير الأحوال . رحمه الله ورحمنا رحمة واسعة . وتعلمت «لا أدين الناس . كلنا خطاؤون كما قال الحديث الشريف» .

ثم ضاعت منى أصول الكتاب فى ظروف لا أذكرها ، وإنما المحقق انها ضاعت قبل ربيع ١٩٤٧ ، ففى مقدمة ديوانى «بلوتولاند» الذى صدر فى تلك الفترة إشارة إلى ضياع هذا النص منى ، ضاع بعد أن أطلع عليه عديد من الأصدقاء أذكر منهم الآن الصديق محمد عودة ، ولست أذكر أن كان محمد مندور قد أطلع عليه أم لا ولكن الذى لاشك فيه أنه كان يعلم بوجود الكتاب . ولكم كنت أتمنى أن أعثر على نسخة من النسخ المختومة فى الرقابة ، سواء نسختى الضائعة أو نسخة الرقابة التى تجرى عليها

المضاهاة عند النشر ، لأن اثبات ما شطبته الرقابة على وجه الدقة
يمكن أن يكون مفتاحا فى أيدي مؤرخى الفكر والسياسة لحالتنا
الفكرية والسياسية أبان الحرب العالمية الثانية .

لقد نبش كنارى قبرا من قبور الماضى الدارس بعد ربع قرن
من الزمان ، بعد أن تغير وجه مصر وتغير وجه أوروبا وصوح قلب
صاحب هذا الكتاب فى خريف العمر فلم يعد ابن الثانية
والعشرين الذى خرج من مصر غازيا وعاد إليها غازيا وكان خياله
يكسو كل شئ ببردة من الأحلام . ولست أدري إن كان كنارى قد
استخرج لنا من بطن الأرض عظمة أو استخرج لنا كنزا كما
يسميه . ولكن أيا كان الحكم على هذا الكتاب فهو وثيقة تاريخية
نرى منها جانبا من صورة مصر وجانبا من صورة أوروبا وجانبا
من صورة فتى مصرى متفتح كان يريد أن يجتنب الدنيا فى
أعطافه بين ١٩٣٧ و ١٩٤٠ .

«لويس عوض»

القاهرة فى ٣٠ يوليو ١٩٦٥

كلمة «كنارى»

ثارت ثائرة بعض أصدقائى الأدباء عندما أعلنت اعتزامى نشر رسائل أحمد محرم شاعر العروبة والاسلام . وفيها بيتدى الرجل بأمل عريض ثم ينتهى إلى يأس قاتل . وفى هذه الرسائل يختفى الشاعر العملاق وراء ظهر صحفى شاب لا يتجاوز الثالثة والعشرين .. وقال الأدباء يومئذ أن نشر تلك الرسائل جريمة ضد الصداقة ، وجريمة ضد الامانة وضد الثقة التى وضعها أحمد محرم فى شخصى الضعيف . ولكن رسائل محرم لم يكن من حقى ولا فى استطاعتى أن أكتبها وأخفيها عن النقاد والدارسين لأنها جزء من مصادر دراسة هذا الشاعر الكبير ، حتى أن إذاعة البرنامج الثانى من القاهرة يوم أن أرادت اعداد برنامج عن حياة الشاعر لم تجد مرجعا لحياته غير ذلك الكتاب «رسائل أحمد محرم» فأذاعت الكتاب بأكمله .

واليوم أقدم للأدباء والنقاد والدارسين كتابا آخر اكشف فيه عن عمل أدبى قديم لأديب كبير كتبه عام ١٩٤٢ ولم يكن للمؤلف يومئذ من الشهرة والمجد الأدبى ما يجعل فى كتابه ما يغرى الناشرين على تحمل مخاطرة نشره .

وكان النشر فى تلك الحقبة من سنى الحرب العالمية الثانية وما بعدها مجازفة دونها المضاربة فى بورصة الأوراق المالية وبورصة عقود القطن ثم تغير كل شئ . لقد أصبحت دور النشر العربية تنتج كتابا كل ساعة أو بعض ساعة وأصبحت فرص النشر متاحة للكتاب الهواة قبل الكتاب المحترفين الراسخين . وانتقل مؤلفنا من كرسى الجامعة وأصبح مشرفا على القسم الأدبى فى أكبر صحف الشرق وأقدمها جريدة الأهرام . ونشر المؤلف كتابا فى كل مجالات الأدب إلا هذا الكتاب فلم ينشره ولم يشأ حتى أن يشير إليه ولو إشارة عابرة فى سياق ما يكتبه ويسوده من مقالات .

وكان هذا الكتاب قد ضاع أو لكأنه نسى أنه كتب مثل هذا الكتاب أو لكأنه تشكك فى نجاح تجربته وأحس بالوجل من تقديمها للأدباء والنقاد بل لعله أحرق تجربته عامدا كما أحرق الدكتور إبراهيم ناجى صحائف ديوانه من قبل ، ولكن هل يملك لويس عوض أن يصادر كتابه بعد أن جرى به قلمه ؟ لقد أراد قبله الدكتور إبراهيم ناجى أن يصادر شعره فاستعصى الأمر عليه . ولم تمنع النار تلك الصفحات أن تعود من جديد ليقرأها آلاف القراء ولو كره الشاعر الكبير .

فليس من حق الفنان أن يتحكم فى إنتاجه ينشر منه ما يشاء
ويخفى ما يشاء . فكل ورقة فى درج الفنان ملك للأدباء الدارسين
حتى ولو كانت خطابا إلى زوجته أو عرضحال لمدة الخدمة بعد
بلوغ سن التقاعد كقصيدة الشاعر القاضى حنفى بك ناصف إلى
وزير الحقانية . ولعل صاحب هذا الكتاب هو أدرى الناس بقيمة
هذه الآثار فى دراسة حياة أى أديب . لهذا رأيت أن أزيل
الستار عن هذا الكتاب وأن أدل على مخبئه مئات من الأدباء
والدارسين لأسمع ماذا يقولون ولعل رأى المؤلف فى ذلك هو آخر
ما نطمع فيه .

«كنارى»

(١) رحت قاعد لك على كرسى الاعتراف وخطيت قدامى
طقطوقة أرو قديم بوهيتها راحت ومعصفة حبر . روحى تملي
وايدى تكتب مافيش تصحيح ولا تنقيح ولا تردد ولا كسوف ..
اشمعنى والتر سكوت كان بيكتب والمطبعية بيصفوا ؟ اشمعنى

(١) عندما سلم «كنارى» إلى أصول الكتاب فى مايو ١٩٦٥ ، وجدت أن الصفحتين
الأوليين ناقصتان . ولا أنكر إن كان الرقيب هو الذى نزعهما فى فترة عرض الكتاب
على الرقابة عام ١٩٤٤ ، أم انهما نزعتا بفعل فاعل فى تاريخ لاحق . وواضح أن
الازالة تمت باستخدام الموس فى نزع الصفحتين .

بلزأك كان بىكتب تمتأشر سآعة ع القهوة السودا ؟ رحت يا
أفندم حاطط لك دباییس فى كرسى الاعتراف عشآن روحى
ماتعسلش من التعب واشتریت لك كام رطل بن محمصین أقرش
فیهم طول الوقت عشآن جسمى یبقى دینامو مش ناقص لا جاز
ولا تشحیم .

قعدت على كرسى الاعتراف وابتدیت أكتب ، وأدى اللى كتبتہ :

الحر ومكتب البعثات

ركبت القطر الى بيقوم من المنيا قبل الفجر وبيوصل الساعة ٨ الصبح . وكنت فى حالة انفعال عجيبة . تصور واحد يلاقى آماله المهمة كلها تتحقق بالسهولة دى ، المنيا مهما كانت بلد صغيرة ولما واحد يكون خياله نشيط وأحلامه كثيرة مش ممكن يبقى سعيد ف علة السردين دى . أنا عاوز أروح انجلترا عاوز أشوف نهر التيمز ، وستمنستر ، سوهو ، برج لندن ، بيكاديللى ، سانت بول ، البحيرات ، عايز أشوف الكارت بوستال يبقى حقيقة قدامى ، عاوز أعاشر الناس اللى تعبونا فى مصر من سنة ١٨٨٢ . عاوز أعيش فى مرتفعات وذرنج ويطاح نيوركشير مع كاثرين وهيئكليف . بلاد الثلج والمطر والضباب البنى اللى فى قصايد مستر اليوت . أنا عمرى ما شفت ثلج غير فى السينما والمطر بتاعنا الدش أجمد منه ، أما الشابورة (هنا ما فيش ضباب) فى هيه بعدما تفوت بتاعت اللبن ؟ إلى لندن إذن على بركة الله .

كل الصور دى ملت راسى لدرجة أنى نسيت الكرسي الخشب اللى هو أفخادى وأنا قاعد فى الترسو ، وبعد ساعة الشمس طلعت

من ورا المقطم . طلعت بره ف الطريقة اللى بين العربيات عشان ما
أشوف رع اللى أجدادى عبده قبل ما يسخن ويحرق الخيمة
الزرقا ويلهب العشب ويكفر اللى ما يكفرش كان فيه سحابتين
جنب بعض فوق سن الجبل على طول. أما بقية السما أطلس
زاهى مفروش أزرق م اللى أنا عارف .

لكن دى آخر مرة حاشوف فيها الطبيعة المصرية . لما الواحد
يروخ يعزى تلاقيه يحضر نفسه للعزا من غير تصنع أحيانا . أنا
مش قصدى لبس البدلة الغامقة والطربوش ، إنما قصدى أن وش
الواحد نفسه تلاقيه يطول من غير ما يكون زعلان صحيح ، وأن
لاحظت كويس تلاقى شىء خفيف من الوجوم يهد الجسم شوية
ويكسر العين ويلوى الشفايف . أنا كتير لاحظت الحكاية دى ف
نفسى وأنا ف مياتم ناس كان المفروض أنى أزعل عليهم . وأنا
بطبيعتى ما أقدرش أزعل قدام الناس. يمكن أنا لوحدى ابكى ع
الميت لكن مجرد وجودى مع الناس يخلينى شخص هادى، ومع
ذلك ب ألاقى نفسى ساعة ما أخش الميتم أحط على وشى شوية
وجوم وقلبى ف منتهى عدم الاكتراث . ممكن تقدر تسمى دا
استعداد للعاطفة .

العملية دى بتحصل ف كل المواقف المؤثرة معايا مثلا مرة انتحر واحد من أعز أصحابى (١) وكنت ف جروبي القديم مع واحد صاحبى اسمه سكوت واطسون (٢) . لما قرئت الخبر ف الأهرام قرئت الخبر كانه خبر انتداب موظف ف وزارة الزراعة للعمل ف جمع الدودة . طبعنا قرئت الخبر خمس ست مرات وفهمت معناه المخيف تمام ، ومع ذلك كان قدامى آيس كريم فضلت أكل فيه وأنا مستغرب ازاي طعمه ما اتغيرش ف بقى . كان لازم طعمه يتغير . مش حلمى رفاعى مات ؟ وازاي أنا لسه قاعد مع سكوت واطسون ؟ كان لازم أقوم بسرعة وأروح أعمل حاجة . أروح المشيخة اشترك ف دفنه، أشوف أهله وأصحابنا المشتركين ، أنا مستنى آيه ؟

والأغرب من كده أنى مش زعلان حقيقى ، انكسفت من نفسى

(١) اسمه حلمى رفاعى ،وقد امتدت صداقتنا طوال فترة الطلب فى المنيا الثانوية ثم كلية الآداب بجامعة القاهرة (فؤاد الأول يومئذ) وكان متخصصا فى التاريخ ثم اشتغل بالتدريس فى الفنون التطبيقية وانتحر عام ١٩٤٣ .

(٢) كان صحفيا انجليزيا واستأذا للصحافة بجامعة القاهرة أثناء الحرب العالمية الثانية ثم مات فى حادثة سيارة فى فرنسا سنة ١٩٦٢ أو ١٩٦٣ .

أنى مش زعلان كما يجب . واتهمت نفسى بالبلادة والأنانية ، بل بالشنود ويمكن الجنون .. يجب أنى أزعل . قمت من سكات حطيت شوية وجوم على وشى . ولكن أمتى ؟ بعدما أكلت الآيس كريم أو تصفحت الجرنال من تانى قال يعنى ب أقرأ الخبر لأول مرة .. خفت أحسن سكوت واطسون يستغرب أنى عارف أن صاحبى مات ومرضه قاعد أكل آيس كريم ، فتحت الحكاية وسألنى قوم قلت له ففتح البورص وقرأ فيها الخبر وتأسف ف كلمتين وقال «معلش ما تقدرش تعمل حاجة دلوقت» ده كان كلام صحيح .

لكن لسه فضلت مكسوف ف نفسى من الجمود بتاعى . خفت أحسن أكون ماكنتش با أحب حلمى رفاعى حقيقى لكن أنا متأكد أنى ما حبتش واحد فى الدنيا أكثر مما حبيت حلمى ومش أكثر من اثنين تلاته قد ما حبيته . ودا خوفنى أكثر . المهم ، قعدت من الساعة حداشر للساعة اتناشر ونص ف جروبى ، مش زعلان لكن ب استعد للزعل وأخيرا قمت بطبيعة الحال عشان اشوف الحكاية دى .

وإذا كنت عاوز تعرف قد ايه أنا كنت ب أحب حلمى ده ؟
كفاية أنى أقول لك أنى بعدها قعدت مدة أضطاد أصحابى

عشان يسهروا معاه للصبح ، وقعدت خايف من النوم حوالى
شهر وزيادة ، وهريت من مصر وجيت ع المتيا عند عيلتى عشان
ما أدفع الوحدة وانسى . كل الاستطراد دا بس عشان أدى لك
فكرة واضحة عن شعورى وأنا فى القطر اللى هايودينى أوروبا .
الغيمتين اللى كلمتك عنهم فضلوا قدامى تلت ساعة ومش عارف
ليه ألوانهم كانت جميلة لدرجة أنى فاكرهم لحد دلوقت . الغيمتين
كانوا بيخبوا الشمس ، والشمس كانت بتخبى سن الجبل
الرمادى، والشرق أصبح زى الشفق النادر اللى بيحصل مرة كل
مدد وتلاقى فيه سيفونية من الألوان دايمًا تخلص قبل ما تشبع
منها . وأنا ما أعرفش اذ كان الشرق فى الريف دايمًا جميل ولا
لا . لأنى ما عشتش فى الريف وما ب أصنحاش قبل الضحى ف
الاجازات ولا قبل الصبح العريض ف أيام العمل . الفلاحين يمكن
يدروا يقولوا لك .

المهم أنا فضلت قاعد ع القضيب الأفقى اللى بره عربية
الترسو ومتشعبط ف القضيب العمودى أبص مشرق والقطر
مبحر، والأرض مبسوفة قدامى أميال والنيل مش باين وف مدى
النظر حيلة ثقيلة ودى تلال المقطم ، قعدت أتأمل ف الغيطان
وأسلاك التليفون طالعة نازلة ، ونخل الريف اللى طالع قطع قطع

وتحتة البيوت الطين ، والتراب ملا أجفاني لكن أحتملته ساعتين ف
ساعة الوداع . كنت ب أودع الريف المصرى بحرارة . الريف
المصرى اللى كنت بحن له وعمرى ما عشت فيه صحيح .

كانت عواطفى ف اللحظة دى من نوع العواطف اللى وصفتها
.. وأنا سايب مصر ، وربما إلى الأبد، فلأزم أبص على أرض
بلادى وأتملى وأخذ زاد يكفينى أربع سنين . ما حسستش أنى زى
سايب بيوشف حاجة مش حاشوفها تانى . إنما جالى حنين
للوطن وأنا لسه ف أرض الوطن . وكان سببه أنى استعديت
للموقف بكل عواطفى وأنا ب أحط رجلى فى القطر يعنى حطيت ف
وشى حبة فرح زى ماب أحط ف وشى شوية وجوم عند الكوارث
وأذكيت العاطفة بالتفكير المستمر ف الموضوع ، حتى لما عدت
الواسطى ابتديت أبص مغرب عشان أودعهم هرم ، فهرم فهرم ،
فهرم .

لكن أنا ماكنتش رايح المركب ، أنا كنت نازل ف مصر اكشف
كشف طبى وكل الانفعال الظاهرى اللى اعترانى فى السكة كان
منشؤه أنى مش راجع المنيا تانى ولما نزلت مصر ابتديت ألف
والوخ لى كام يوم . أنا مش فاكرا أن كان لى مرة شغلة مع
الحكومة وما تعبتش . كل الناس بيقولوا لى كمان أنهم بيتعبوا مع

الحكومة ودى مسألة خطيرة جدا ح أشرحها بالتفصيل لما بيحى وقتها ، مش بس من باب السرد لكن عشان أعلم الناس أنهم ما يسكتوش عليها وكم ان عشان أثبت أن السياسيين والناس اللى عاملين سياسيين ف مصر لازم يبتدوا ومن دلوقت يدوروا على طريقة يصلحوا بيها الأداة الحكومية من تحت الأرض . المثل العامى بيقول أن يوم الحكومة بسنة . الكلام دا سمعته وأنا ف الابتدائية وما فهمتش معناه تمام قبل ما اتخرج وابتدى بيقى لى احتكاك رسمى بالحكومة لكن اللى أنا مندهش له هو أن فيه آلاف الناس عارفة الحكاية دى والجرايد طول عمرها تتكلم ف نفس الموضوع واللى ف أيدهم الحكومة شاعرين بالموقف تمام . ومع ذلك وما فيش تغيير بيحصل والحكومة المصرية دلوقت زى ما كانت من أيام ما نظمها بوغوص نوبار باشا ف القرن اللى فات .

الشاهد أنا مش فاكركل اللى حصل لى من أغسطس ١٩٣٧ لحد ١٤ أكتوبر ف نفس السنة . فاكركل أنى سافرت مصر بناء على جواب مستعجل جدا من الوزارة بيقول لى أحضر لتوقيع الكشف الطبى عليك تانى لأنك سقطت ف النظر ف الكشف الأولانى .

طبعاً أنا كنت محتاط للأمر ورحت عملت نضارة جديدة تنجحنى .. رحت الكومسيون قالو يكره بعده ، يكره بعده ، اسمك ماجاش .. أنت مين ؟ يوم السبت يا أستاذ .. يادكتور ايه الحكاية؟

انتم مش كشفتم على قبل كده ؟ لكن يا أستاذ أنا مقيد بورق
قدامى روح شوف ف الوزارة سبب التأخير ايه ؟

رحت الوزارة .. «روح الكومسيون احنا خلاص بعثنا ورقك» .
رحت الكومسيون «مانعرفكش» . الوزارة . الكومسيون الوزارة
نهايته كشفت ونجحت .

فى الأثناء دى وأنا ب أتردد ع الوزارة كان لازم أقول لهم أنى
معتذر عن بعثة الوزارة ، وقابل بعثة الجامعة ، فمش فاهم أية
السبب ، كان فيه موظف هناك فى مركز مسئول ف سكرتارية
البعثات (١) كان بيحاول طول الوقت يضغط على عشان أعكس
المسألة واعتذر عن بعثة الجامعة . دخلت عليه يوم من الأيام وقلت
«سعيدة يابيه» .

«سعيدة مبارك يا افتدم» .

«أنا اسمى لويس عوض وعازب اعتذر عن بعثة الوزارة » .
«ليه كفى الله الشر؟» .

«أبدا المسألة أن الجامعة طلبانى لكامبريدج» يظهر أنه كان
عرف حكايتى فأنعدل ف كرسيه وحاول أنه يكون رقيق معاه ..
«ما تفضل تقعد» .

(١) الكاتب الكوميدى المعروف ابراهيم رمزي .

قعدت . الراجل كان شوية يتعب ف وصفه . كان قصير وتخين
واسمرانى بس مش قوى . انما كان عليه حتة شنب من اللى ب
يقف عليهم الصقر . وماكانش غيبى أبداً ، ولا كان حتى يتظاهر
بالسلطة، أنما كان راسى وراسخ فى مكتبه ، ويباشر ادارته ف
وثوق : مش الوثوق المكتسب من الروتين ، انما وثوق الشخص من
أنه صاحب كلمة . أنا كنت اسمع عنه كثير ف غير حدود عمله من
قبل ما يخلينا الحظ نتقابل . فيه ناس كثير كمان ف مصر يعرفوه،
لأنه كاتب معروف ، أشتهر بسبب كوميديا كان ألفها زمان
ونجحت (١) .

على أى حال أنا ماقريتهاش وما أعرفش أن كان كتب غيرها
والا لا . المهم . الراجل دا كان مزيج من حاجات كتيره مثلا كان
شديد المزاح زى كثير من الناس التخان . ساعة تقول عليه «بون
أوم» وساعة تقول عليه «جالان» وساعة تقول عليه «ريجولو» ، قعدت
وأنا متهيب وكان فيه بنات طالعة وداخله ما أعرفهمش من بتوع
البعثات طبعا، أهملنى كام دقيقة وبعدين بص لى وقال :

«أنت حكايتك لطيفة أنما يا ابنى لازم تتروى قبل ما تختار » .

«أنا اترويت خلاص» .

(١) «دخول الحمام مش زى خروجه» .

ما تخليك معانا يا ابنى وتسبيك من الجامعة».

«متشكر يا بيه ، لكن كامبريدج أنسب لى ».

دا احنا نريحك يا ابنى ، بس أنت روح اكستر وأنا متأكد أننا

ح نفهمك كويس لما ترجع .

استغريت شوية . الراجل بيسمسر للوزارة والا ايه ؟ والا

يكونش له غرض أنا مش فاهمه ؟ الحاحه كسفننى وعرقت، لأنه

كان مزيج من الحنان الأبوى والنصيحة الخالصة وعدم التكليف ..

لكن دى مسألة خطيرة مافيهاش كسوف طبعاً . حاولت أنى اقرأ

اللى فى مخه مافلحتش . ايه يعنى بس يكون الغرض ؟ سكت

شوية قام حاول يضرب على نقطة حساسة . «أنت باين عليك

يا ابنى من الشباب النابغين واحنا لازم نحفظ بيك».

«العفو ياسعادة البيه . لا نبوغ ولا حاجة ، دى كلها مسألة

شغل» . صحيح أنا كنت الوحيد اللى أخذ البكالوريوس فى الأدب

الانجليزى بامتياز ، ودى كانت أول سنة يطبقوا فيها نظام

الامتياز. صحيح أنا واخذ ٨٦٪ وبينى وبين الثانى ٤٨ نمرة .

صحيح أنى كنت ب اعتقد ف نفسى أنى نابغ من ساعة ما كان

عمرى حداشر سنة . ماتعيبش على . لأن فيه ناس كتير كدا

ويمكن أنت منهم . وكل واحد مريحه عقله . لكن دى مسألة خطيرة

ما فيهاش لا كسوف ولا عبط أنا قدامى فرصة لازم ما أفوتهاش
قلت «أنا متأسف قوى يابيه، أنا مصمم على بعثة الجامعة .
كان بودى أتعاون معاكم إنما الظروف كده والمستقبل ما حدش
يعرفه» صمت . نظرف الورقة اللى قدامه . التفات للبنات اللى
كانوا قاعدين على حرف الشباك وحرف الكنية . انصراف كامل
عنى . وأنا مستنى . مستنى ولا هو هنا . ابتديت امتعض ،
ابتديت افور . وأخينا بالرقه بتاعته اتفرغ للزباين التانيين . وأخيرا
رسمت على وشى ابتسامه خفيفة ونبهته . «أنا هنا يابيه» التفت
لى ، وأتأمل كم ثانية ويعدين قال :

«شوف يا ابنى أنت مش كنت سقطت فى الكشف الطبى ؟»
عرفت أنه دارس - الدوسيهات اللى قدامه تمام . «ايوه يابيه .
لكن أنا غيرت النصارة وليه فرصة ثانية» .

«وأن سقطت ؟» .

«ليه فرصة تالته» .

«وان سقطت ؟» .

«يبقى هاردك يبقى خلاص حظى كده» . وماحبتش أقول أنى
ساعتها مثلا أفوت على عميد كلية الآداب وأشرح له الموقف وهو

كله نظر (١) . ماحبتش أقول له أن كلية الآداب يمكن صحيح تكون عايزانى تقوم تتساهل ف المسألة . ماحبتش أخش فى مناقشة يمكن قبل أوانها . وطبعاً أنا مش مغفل أوردى كل الكروته اللى فى ايدى لراجل بيكسر مقاديفى . ابتديت أخاف . وبالأخص لأن الناس كانوا قالوا لى أن فلان دا هو الكل فى الكل ف اللجنة الاستشارية للبعثات .

قال لى شوف . أنا مستعد أن أقبلك زى ما أنت . عندك ستة على تسعة وستة على اتناشر مش كدا ؟

«أيوه يابيه» وأضفت فى حزم غريب «لكن أنا متأسف يابيه» أنا لازم أمشى ف حكاية الجامعة دى للآخر . وزى ما تيجى . غالباً النظارة الجديدة تجيب ستة على تسعة وستة على تسعة أنا عاوز أدرس أدب . أنا عاوز أدرس . اشتغل . مش أروح اللعب سنتين ف اكستر وأرجع بدبلوم بتاع أجنب ، أنا عاوز أبقى مسئول وعاوز سكة مفتوحة . أنا مع الجامعة إلى النهاية» قام بص لى بصة جديدة ، فهمت أن عنده سلاح جديد ونزلت القنبلة .

«لكن هي فين بعثة الجامعة دى يا استاذ» أحنأ ما نعرفش حاجة عنها».

(١) الدكتور طه حسين.

المسألة قلبت جد . ابتديت انتبه لكل كلمة تنقال قلت له :
«مجلس الكلية طلبها ف جلسة كذا ومجلس الجامعة وافق عليها ف
جلسة كذا . تبقى الجامعة هاتبعتنى بعثة ، ولا أية؟».

- «يمكن . دلوقت لكن لحد دلوقت أنت مالكش عندنا غير بعثة
واحدة، ودى بتاعت الوزارة .. يافلان أفندى . هات دوسيه سى
لويس» .

المعروف عن فلان أفندى دا أنه كان ننوس عين البيه اللى أنا
بأحكى عنه . دخل فلان أفندى بالدوسيه وحطه ع المكتب . ويظهر
أنه كان متتبع المناقشة من أولها لأنه اشترك ف الموضوع على
طول .

- «أيوه يابيه . الاستاذ لويس مالوش غير بعثة واحدة».
البيه فر الوق . وقال لى بلهجة كزية معناها ضببطك يا شاطر
. والا ما تقولى يابابا .. «لويز حنا خليل عوض أفندى . أيوه
ياسيدى . بعثة واحدة مافيش غيرها لا جامعة ولا يجزنون أية
رأيك يابطل ؟ برضه مصمم ع الجامعة ؟ أنا : «
«طبعاً» ، هو :

«طيب هات لى يافلان أفندى ريشة وفرخ ورق يعتذر دلوقت
أهوه عن بعثة الوزارة » .

أنا «خائفا» «اشمعنى دلوقت أهوه ما أنا باجى كل يوم» .
هو «دلوقت أهو ياتقبل ياتسيبها لغيرك . احنا مش عاوزين
نضيع وقت . فيه شبان غيرك كتير يتمنوا أنهم يروحوا اكستر ،
احنا لازم نبت ف الأمر بسرعة لأن التعطيل فيه ضرر . بس أنا ب
أحذرك . إذا اعتذرت دلوقت يعنى خلاص راحت منك لأننا ح نكون
ارتبطنا بغيرك . واضح ؟» .

أنا «بديهي» .

هو «كمان ريشة يا فلان افندى» .

أنا «مرسى، عندى قلم» .

ابتديت اكتب ف اعتذار . أهى قلبت غم ، أنا خفت صحيح ..
طيب وإذا ما جتش الثانية . يبقى ايه العمل ؟ يبقى أمرى إلى الله؟
دى تبقى نكبة وسوء تصرف مش أمرى إلى الله ؟ لكن ليه يعنى
ماتجيش الثانية ؟ لازم الورق زمانه فى البوستان.

لكن مين يعرف ؟ يمكن ياواد يكون فيه تعصب زى ما بيقلوا
مش بعيد . مش معقول دا مش لعب عيال . مش بعيد .. يمكن
الموظف دا يقف ف وشى لوجه الله ف اللجنة الاستشارية . مش
بعيد ، مش معقول ، أيه المناسبة ؟ يمكن المالية (١) تقول
ما عنديش فلوس لبعثة أدب . جايز . يمكن واحد يكون عنده

(١) وزارة الخزانة

واسطة يَبُوظ الشفلة . مش معقول . يعنى هاياخدوا مين ؟ أول دفعة السنة اللي فاتت أو اللي قبلها أو اللي أو اللي قبلها ؟ لكن مافيش فايده . اللي مايغامرش عمره ما يكسب . المسألة عاوزه حزم وبت سريع .. اعتذر . ورحت ماضى الاعتذار «اتفضل يابيه» «مع الشكر يابنى ، أنت ونصيبك» .

قضى الأمر . والله باين أن السبع بدل اللي فصلتهم ف الدنيا قبل ما أجى هاييوظوا على . ربنا يسترها . يبقى السموكنج مالوش فايده وبدلة الجولف أديها لواحد سايس . ومن شدة خوفى فكرت أنى أقدم طلب لمعهد التربية أحسن لا أطول عنب الشام ولا تمر اليمن وألاقى نفسى السنة الجاية بادرس ف أهلى أو داير اتهلف ف الشوارع . مجرد فكرة عابرة ومافيش طلب اتبعت .. الصبر طيب . ومنظر يمخانة المعهد وحياة القشلاقات السخيف اللي فيه باسم النظام أو التربية الاجتماعية اتجسموا ف خيالى وصرفت نظر . الرزق على الله وابقى ساعتها أرجع الدنيا أسكن بلاش مع عيلتى وادرس لى بخمسة ستة جنيه ف الاقباط الكبرى بالمنيا زى ما بييسموها .

طبعاً ساعتها أنا كنت خام ما أعرفش حاجة عن الكتبة اللي فى بدرونات ادارة الجامعة اللي اشى ارشيف ، واشى مستخدمين واشى قلم مراجعة واشى قلم شطب واشى كائن واشى مانى .

ماكنتش أعرف حاجة عن الكتبة اللي ف وزارة المعارف العمومية
الى خلونى ف يوم من الأيام افكر جديا ف الانتحار . طبعا كنت
أقرأ ف الجرايد انتقادات على الروتين الحكومى لكن الحاجات دى
مافهمتش معناها الحقيقى إلا بعدين بالتدريج .

رحت تانى يوم الصبح بسلامة نية لسكرتارية البعثات ، وحتى
ابتسمت للموظفين اللي هناك . وأنا فاهم وهم فاهمين أنا بابتسم
ليه ، عشان أمشى الشغل . قال عامل حويط أو مدرج
ما تفهمش :

«الجواب وصل؟» .

– «جواب ايه» .

– «جواب الجامعة الى فيه بعثتى» .

«لا يا أفندم . ماتقعد يالويس أفندى نجيب لك قهوة» .

وتانى يوم برضه : «الجواب وصل؟» .

– «أن شاء الله يوصل بالسلامة . ما تتفضل نجيب لك قهوة» .

تالت يوم : «ياواد يازين مات فنجان قهوة مضبوط . ياسيدى

الجواب لسه» .

رابع يوم – مافيش قهوة . مافيش تكليف . مافيش جواب .

خامس يوم ، سادس يوم . كفاية عد مافيش فايده . ف الاثناء

دى كانت حصلت حاجات تانية زى نجاحى فى الكشف الطبى

مثلا . كمان فلوسى خلصت ، أنا دايمًا فلوسى بتخلص .
واضطريت أنى أدرس كام تلميذ مدة شهر ، واحد كان ف الكفاءة
وتلاتة كانوا ف سنة تانية ف كلية الآداب من قسم الأنجليزى .
وكلهم بالصدفة نجحوا . القصد أهوه كله تحايل ع المعاش لحد
ما يفرجها . أتارى الجواب وأنا مش دارى قاعد ف ادارة
الجامعة، هناك ف قلم تحسين الخطوط بيكتبو فيه نص يوليو وطول
أغسطس ونص سبتمبر بالخط الثلث والنسخ والرقعة والكوفى
والبصرى المكعب والطره .

وصل الجواب فمافضلش غير موافقة اللجنة الاستشارية ..
لكن اللجنة الاستشارية دى زى ما قالوا لى . مابتعقدش غير مرة
كل تلات أربع أشهر . موت يا حمار طلبوا منى أنى أمضى
استثمارات فيها شروط أهمها أنى أخدم الحكومة سبع سنين ..
أفكر وأنى ما اتجوزش ف أوروبا وأن الحكومة مش مسئولة
قانونا عنى بعد ما أرجع .. شروط مجحفة من غير شك .

نهایتہ أنا طولت فى الكلام ع البعثات . زى ما قلت لك أنا
مضيت ع الاقرارات دى كلها ، مضيت ع الكلام دا وسبتهم وأنا
فاكر أن الشغلة خلصت وأنى خلاص سافرت بس واقف ع التذاكر
. وفات اسبوع ومافيش خبر ع التذاكر ، واخيرا رحت لسكرتارية
البعثات أسأل قام حصل حادث مضحك .. قابلت الأفندى اللى

كنت كلمتك عنه ، مش الموظف الكبير ، الموظف الصغير ..

هو : يا أخى دا أنا كنت ب أدور عليك بالحلاوة -

أنا : ليه خير أن شاء الله ..

هو : خير .. انت بس ياسيدى مامضتش زى الأصول ..

أنا : ليه ؟ أنا اسمى لويس عوض ومضيت لويس عوض

مافيش غلط ..

هو : فيه .. أنت مش اسمك لويس عوض أنت اسمك لويس

حنا خليل عوض .. زى ما ف شهادة الميلاد ..

أنا كنت دايما باتضايق من الجزء الوسطانى من اسمى لأنى

كنت دايما حاسس أنه طويل وبايخ .. اتفاظت قوى وسألته : هو

ضرورى اكتب اسمى بالكامل ؟

«أيوه ضرورى» .

رحت كاتب لويس حنا خليل عوض ، ولما قرأها رجع تانى

يقارف فى ايمانى .

هو : لا يا أستاذ ، أنت مش أسمك لويس لكن لويز

أنا : لويز ؟ كلام ايه دا ؟ دا لويز اسم بنت .

«هو» مش مهم شهادة الميلاد بتقول لويز مش لويس»

أنا : « وأنا ذنبى إيه إذا كان حلاق الصحة إالى حرر الورقة

كان جاهل ؟

«هو : أنا ماليش دعوة ، أنا مقيد بأوراق رسمية» .
أنا : «لا ، أنا أكتب حنا خليل معلش ، لكن لويز لا . مش ممكن .

«هو : أنت حر ، يعني أنت متنازل عن البعثة» .
أنا : «ازاي ؟ مين قال كذا ؟» .
هو : «احنا عاوزين واحد اسمه لويز حنا خليل عوض اذا كان اسم حضرتك لويس حنا خليل عوض فماتكونش حضرتك الشخص اللي احنا عاوزينه» .

حاجة تترفض ، ورحت مانت نفسى والأمر لله . بأه لما مسجل جامعة كامبريدج يبعث لكم جواب عن مستر عوض تعرفنى ولما أنا أمضى اسمى الكامل لويس حنا خليل عوض ماتعرفونيش ؟ وأنا خارج الأفندى ميل على يوشوشنى وأفضى لى بسر خطير :
«عملت طيب يا استاذ لويس ، تعرف لو كنت صممت ع الاسم الثانى كانت راحت منك البعثة» .

شفت بقى أنا ها اسيب الكلام ده من غير تعليق ، تعرف بعد التعطيل دا كله أنا أخذت التذاكر يوم كام وسافرت يوم كام ؟
استلمت التذاكر يوم ١٢ اكتوبر سنة ١٩٢٧ وسافرت يوم ١٤ اكتوبر .. ف يوم ١٢ اكتوبر استلمت التذاكر وصرفت شيك بخمستاشر جنيه مصاريف استعداد للسفر كل دا لحد الساعة

واحدة بين المعارف والمالية وبعد الظهر طلعت فيزا لانجلترا وفيزا
لفرنسا وبعث تلغراف لأهلى أودعهم واشترت شوية هدم وضربت
تليفون لمستر فيرنس (١) أقول له جودباى ويوم ١٤ الصبح كنت
فى قطر اسكندرية ومعايا ابن عمى بيودعنى واتنين ثلاثة من
أصحابى . والساعة اتناشر كنت ع الكوثر (٢) أبص ع المينا
بتحرك قدامى . والشياطين اللى ف جلايب وسخة والعساكر اللى
فى بدل بيضا وصناديق البضاعة والونشات اللى منظرها
بشم وشوية المودعين المفركشين ع الرصيف البعيد يبعدوا شوية
شوية .

(١) رئيس قسم اللغة الانجليزية بكلية الآداب (جامعة القاهرة) .
(٢) «المحرر» : الكوثر وزمزم والنيل أول بواخر مصرية اشترتها شركة مصر للملاحة
حوالى ١٩٢٤ .

فى عرض البحر

كل المسافرين اتلموا على جنب المركب اللى بيص ع المينا وكل
الى ع المينا هزوا منادلهم ، والمركب ماتفهم ماشية ولا واقفة
والرصيف بيبعد بشكل محسوس . ومن نون الخلق دى كلها أنا
وحدى ماليش حد يهزلى منديل ، كأتى مقطوع من شجرة . قعدت
أدعى سرى على موظف البعثات النطع اللى أخذنى ف بوكة لويس
ولوىز وضيع على الفرصة أنى أشوف أهلى ، وعلى نظام الكتبة
الحكوميين اللى يخليك ثلاث أشهر بورق ومذكرات وف آخر أربعة
وعشرين ساعة يعمل كل الحاجات المهمة .

بصيت قدامى وحوالى وقدامى وف كل اتجاه ، لأن دى كانت
لحظة دقيقة فى تاريخ حياتى وحسيت أنى لازم أتنبه لكل حاجة
بتحصل وأحاول أفكرها للمستقبل . زى ما هى عادتى كل ما أمر
ف تجربة جديدة . لقيت مصر بعيدة . مصر . الوداع يا مصر .
يامجمع حبى ومعقد آمالى ، الوداع يامصر ، أنا قرئت كتير ف
الروايات والجراید عن وداع الوطن والأهل والأحباب والموقف
مسرحى جاهز ، والباقى على . قمت اتركت ع الحاجز وأرسلت
عينى للمدى واستغرقت ف تأمل حوالين محور واحد الوداع يا

وطنى ، وسرحت سرحة نصها تكلف ونصها شعور صادق . ف الوقت دا كان جنبى على طول بنت من بنات البعثة كانت رايحة فرنسا ، وعنها وأبص ألاقياها لك ف وسط الكلام تشير بالدموع .. «الله .. الله ما تعمليش كده يا فاطمة . أنت صغيرة ولا أية ؟ ، وراقت فاطمة والساحل ، يعنى مصر ، لسه ما اختفاش خالص . قعدت زى العادة أحلل شعورى . اشمعنى يعنى البنى آدمين دول كلهم ليهم قلب وأنا ماليش ؟ اشمعنى يعنى أنا مش زعلان . حتى السرحان اللى سرحته بعد التحليل لاقيته أغلبه بوز مصطنع . أنت فاكر البوزات العاطفية اللى كلمتك عنها ف الفصل اللى فات أهى رجعت لى ف الوقت ده .

ولقيت نفسى باستعد بعقلى للعاطفة المرغوبة خد عندك محاورات غريبة مفتعلة بين الرأس والقلب زى - الرأس : «الوداع يامصر» القلب : «الوداع ياوطنى الغالى» الرأس - «ازاى-ما أزعلش وأنا ما ها أغيب أربع سنين ..» القلب «معلوم» (فرصة قلبية الرأس . «الساحل القديم ده أديله ساعتين بيختفى وإسـه) القلب : «وما أصفى سماك يامصر» (أهـى .. أهـى .. أهـى) .

وبالرغم من كل المناجيات الداخلية ، مافيش حاجة دخلت على بعكس ناس كتير أنا مش من السهل على أنى أضحك على نفسى

.. أنا كنت فاهم أن كل ده «موقف» لازم تأديته ، لازم زى ما تروح الجامع كل يوم جمعة . عادة الاستيطان عندى من أشنع العادات لأنها بتبوظ طعم الحياة . أحب واحدة أقوم أحل ف شعورى لحد الحب ما ينشف «صحيح أنا باحبها؟» ، «ليه أنا باحبها؟» ، «أد أيه أنا باحبها ؟ اد ميت جنيه ؟ لا أكثر . أذ شهادة الدكتوراه ؟ لا أقل . أد عشر سنين من عمرى ؟ أيوه . اد سنتين سجن ؟ لا ياعم يفتح الله » وهكذا دواليك زى برنس هاملت ، حياتى كلها كده مش كده ؟ أه ، لا .. ليه ؟ وازاى ؟ وامتى ؟ وفين ؟ كمان أنا سايب مصر قوم لازم أتأسف بالغصب ولما آخذ بالى أن أسفى مفتعل أقعد اشتتم ف نفسى ، واسأل ياترى ليه أنا مش زى بقية الناس .

اختفت مصر . وفاطمة فاقت : وأنا فقت واثنين وعشرين سنة من الماضى غرقوا ف الأمواج الباهتة اللى بينى وبين الشاطئ المسحور ، رحت انتقلت «للأستاربيورد» زى ما بيسموه ، يعنى الدك اللى بيطل ع البحر مش ع المينا . وقعدت أتأمل ف أمواج الشاطئ المجهول ، الشاطئ اللى استكشفتة ألف مرة بخيالى وأنا عيل ، وأنا يافع ، وأنا شاب ، الشاطئ اللى ياما روحى أويت إليه كل ما قرئت الصاوى وتوفيق الحكيم كأنه وطنى الحقيقى اللى ماشفتوش من يوم ما خطفونى الفجر وأنا لسه رضيع

وجابوني مصر . أنا طول عمرى أحن للناحية الثانية من البحر الأبيض ! ، وسبت الاستاربورد ورحت بوز المركب، طبعاً ايه تنتظر من واحد بيدرس أدب زى ؟ قعدت أفكر ف قصيدة «الفلاح القديم» بتاعت «كوليريدج» وأحط فى السطر المشهور ..

أى واحد ركب مركب ودقق ف حركة الأمواج من ورا لايد لاحظ أن الزيد مايبتعشى السفينة لكن بيجرى بعيد عنها . وكمان المركب لما بتحرت المية لا الطاش ولا الحضان بتجرى ورا المركب لكن بتجرى بعيد عن المركب . وازاى كوليريدج يقول أنها كانت بتجرى وراها ؟ أنا عارف أن كوليريدج كان عارف الحكاية دى لكن ساب السطر زى ما هو عشان الجناس اللى فيه . وعشان الشعر ماحدث بيدقق فيه .. شوف شوقى بيقول :

تشكى. لييد لطول الحياة ولو لم تطل لتشكى القصر

طيب وإذا أجل لييد انتهى حايحق يتشكى فين ؟ ف القبر :
نهایتہ ، بصيت لقيت النظر ف الأمواج اتحول لمشكلة ف النقد الأدبى . هيه . أد ايه تتساهل مع الشاعر . رحى من بسكات بطلت أبص ف الأمواج وابتديت أعمل ف رحلة استكشافية الغرض منها المعرفة والمنفعة ، ابتديت أدور أنا ساكن فين ، وبعدين نورت ع العفش بتاعى وبعدين نقلت العفش ف الكابين ، وبعدين خدت

حمام وغيرت هدومي ، تعرف لبست ايه ؟ لبست جاكته نورفوك
وينطلون جولف وطلعت أتمشى ع الدك . دى كان أول مرة ف
حياتى ألبس بنطلون جولف ولذلك كنت مكسوف خالص . وخايف
أحسن الشراب مثلا مايكونش ماشى مع البنطلون .. أنا أبقى
اسلم أنه لازم فيه ع المركب ناس بيّفهموا . كان كل همى أنى
اتظاهر بعدم الاكتراث كائن من لابسى البنطلونات الجولف طول
عمرى مع أنى مافصلتش البدلة دى إلا لأن كان عندى فكرة أن
الناس ف انجلترا بيلبسوا كده أحيانا ف السفر . ما أعرفش أنا
جبت الفكرة دى منين يمكن من الروايات اللى قريتها يمكن من
السينما . يمكن واحد قال لى . يمكن شفت واحد انجليزى عامل
ف نفسه كده والحكاية جت سليمة لأن ماحدثش أخذ باله أن فيه
حاجة غير عادية فى لبسى قمت اتشجعت وابتديت اتحرك . دورت
على أصحابى ساكنين فىن ، وشفت صالون الأكل ومش فاكرايه
تانى .

دى كانت أول مرة أركب فيها مركب ، وده كان السبب أنى
كنت باسميها مرحلة استكشاف . وأؤكد لك أنى تعلمت ف يوم
واحد حاجات كتير ماكنتش أعرفها ؛ لكن كل ما كانت تصادقنى
حاجة جديدة كنت أشعر ببرودة تشبه البرودة الناشئة عن الفقر ،

والسبب ف كده معروف ، أحناف مصر لما واحد يورى أنه مش عارف حاجة معينة ، بالأخص حاجة من الحاجات المتصلة بأسباب المدنية ، يكون رد الفعل الطبيعى عندك أنك تضحك عليه وبعد كده تحاول أنك تشرح له المسألة بطريقة تخليه يحس طول الوقت بجهله ، أو أن كنت رجل طيب ، على الأقل بعلمك».

خد عندك مثلا حكاية «الجونج» بتاع الأكل ، أنا عمري ماركبت مركب قبل كده فبيديهي أنى ما أعرفش أنهم بيدقوا طيلة صاج زى بتوع المسحراتية ف رمضان قبل كل أكلة ، ويدوروا بيها ف مماشى المركب عشان ينبهوا الركاب ، كمان أنا جاي من عيلة متوسطة مابتقدش جرس ولا غيره قبل الأكل . يمكن الحاجة الوحيدة اللى تشبه دى وكانت فانت على ، هى جرس الغدا بتاع مدرسة المنيا الثانوية ، ودى حكاية كنت نسيها أدى ست سنين . ثانيا دى طيلة ماتفهمش صاج والا نحاس والا زنك مش جرس يقول تن تن .. فلما سمعت الجونج أول مرة كنت متكى ع الحاجز باتفرج ع الموجة ازاي تندمج ف الموجة ، والموجة ازاي تنفصل من الموجة ، قوم مافهمتش الحكاية ايه . كل اللى لاحظته بعد كام دقيقة أن كل الناس اللى حواليه بيتحركوا ف اتجاه واحد . برضه لحد كده ما أخذتش بالى ، استغربت شوية لكن ما أخذتش بالى

.. وبعد كام دقيقة كمان ، بصيت لقيت نفسى لوحدى ع الدك .
ابتديت أجمع اتنين واتنين زى ما بقولوا الانجليز وجت البخة ،
راحوا فين ؟ ويعدين ؟ أروح فين ؟ طيب دا فيه صالونات كتيرة
للأكل ، أنا كنت عادتى أن ف الحاجات اللى تمس الكبرياء ما
أسألش اللا ضرورة القصوى ، حتى ف الضرورة القصوى
أتحايل ف السؤال بقدر الأماكن ، طبعاً أنا اتغيرت خالص دلوقت
لكن ساعتها كنت أفضل أنى أستنى جاهل أو أنى اكتشف الحالة
بنفسى ، عن كونى أسأل واحد غالباً يعرقنى مقابل ما هو يفهمنى
، نزلت الصالون اللى كنت اكتشفته بنفسى قبل كده ولحسن الحظ
طلع هوه ، دخلت لقيت كل التراييزات مشغولة وأنا ملبوخ ، وعينى
زايفة من الكسوف ، ما تفهمش ليه الكسوف ؟ انما ساعتها اتها
لى أن كل الناس بتبص لى . الغرض قعدت أظاھر بأتى بأدور
على محل وأنا واقف وأنا مش شايف حاجة أبدا ، طبعاً كان فيه
خمس ست محلات فاضية منطوره . لكن أنا من لبختى ماشفتش ،
ولما شفت محلين فعلاً اترددت ، أروح والا ما أروحش .. «يمكن
الناس دول كلهم حجزوا وأنا غلظت اللى ماحجزتش» ، أخيراً جه
المتروودوتيل لحد عندى ورطن بالفرنساوى بسرعة .. مافهمتش
حاجة طبعاً انما عرفت أنه عاوز يريحنى .. مشيت وراه وفعلاً لقيت

نفسى قاعد مع تلاته تانيين ما أعرفهمش خالص .. بعد صعبوية
شوية اتعرفنا وزال التكليف ف خمس دقائق زى ما هى العادة بين
المصريين .. واحد ابتدا ينكت - «تعرفوا حكاية الجريجى
والالمانى؟» - «لأ» مرة واحد جريجى وواحد المانى ركبوا نفس
المركب ومن حظهم أنهم قعدوا قدام بعض ف سفره واحدة».

يظهر النكتة كويسه .. ابتديت أندمج .. على الأقل موضوع
النكتة كان له مناسبة . استمر الأفندى - «وبعدين الالمانى حب
يجامل الجريجى قام قال له (مالتسايت) ، مالتسايت معناها
بالالمانى أتمنى لك شهية كويسة ، قام الجريجى افكره بيعرفه
بنفسه فرد عليه «بابا دويولو» . وف معاد العشا قعدوا قدام بعض
قام الالمانى ابتدا «مالتسايت» . الجريجى قال ف عقله يظهر يمكن
الراجل ماسمعش الاسم كويس ف المرة الأولانية ، ورد بأدب «بابا
دويولو» تانى يوم الالمانى برضه ع الاكل قال للجريجى مالتسايت
قام الجريجى اتضايق خالص وماردش عليه . وما صدق خلص
من الأكل قام راح يشتكى لواحد صاحبه من جاره اللى كل أكلة
يهوسه بمالتسايت ، قام صاحبه فهمه أن مالتسايت دى مش اسم
الراجل ، انما معناها أنه بيتمنا له شهية كويسة قام الجريجى
أتأسف خالص ولما جه العشا راح مالى وشه بالابتسامات وقال

للألماني بأدب كثير «مالتسايت» قام الألماني رد عليه «بابا دويولو»
آه ..

ضحكنا قوى . لأن دى أول نكته مؤدبة كنت سمعتها لمدة سنة.
ع المركب اتعرفت بالاستاذ على عيسى المدرس بالمدارس الثانوية ،
وبمدا م عيسى ، ويسببهم الرحلة هانت قوى على .. كمان كان
معانا الاستاذ عباس عمار المدرس بكلية الآداب والاستاذ قدرى
المدرس بمعهد التربية والآنسة زينب شعرانى . الأول بتاع جغرافيا
وكان رايع مانشستر والثانى بتاع علم نفس وكان رايع ردينج ،
والثالثة بتاعت تربية وكانت رايحة بريستول ، أما بعثات فرنسا
فكانت كتيرة .. ودول أغلبهم كانوا من اللى اتخرجوا سنتها من
قسم الفلسفة ف كلية الآداب بعثتهم الوزارة باريس عشان ياخدوا
دبلومهم فى تدريس اللغة الفرنسية وبعدين يرجعوا يدرسوا
فرنساوى ف ثانوى .

أنا مش فاكّر حاجة أبدا عن ليالى البحر الأبيض المتوسط ،
مش فاكّر إذا كانت مقمرة ولا سوده . مش فاكّر شكل النجوم ف
السما وف المية وف خيالى اللى بيلون كل حاجة . لكن فاكّر الريح
اللى قامت واحنا ف بوغاز مسينا واستشاطت الأمواج ف ليلة من
الليالى . دخلنا سالمين وطلعنا سالمين والبحر رجع حصيرة . شفت

أنا اللي امباذوقليس وقف عليه بعدما البشر نبذوه ف المنفى
وشاور بعصايتة السحرية لرياح المضيق فهاجت ، ولسه من يومها
هايجه ، واضطربت العناصر الأربعة ومن جوف البركان ارتفع
لسان من النار اتلقف النبي القديم . قرئت أغنية كاليكيس عشر
مرات ف ديوان ماثيو أرنولد وعينه حايره بين الكتاب وجبل النار ،
لحد ما غاب الجبل بسحابه بضبابه ورا الهوا الثقيل . ابتديت
الكتب اللي كنت قريتها ف الخمس سنين الأخيرة يبقى لها معنى .
لأن السما راح صفوها والبحر انطفأ زى الرخام والهوا رطب
جبينى لو كنت فإكر القصيدة اللي كتبها كريستوفر سكيف على
أننا جبل الموت كنت نقلتها هنا . الفاتحة على روح انبا ذوقليس
النبي الشهيد قبل أرميا واشعيا وعيسى الأمين .

وصلنا جنوه يوم ١٨ اكتوبر سنة ١٩٢٧ . كل اللي ع المركب
نزلوا واتفرجوا ع البلد ، واتقسمنا شلل . شلل . واحنا فاييتين على
ظباط المينا اللي اشرروا على باسبورتاتنا . أنا ماكانش معايا
فلوس طليانية ساعتها . فرحت غيرت عشرة شلن من الاكشاك
الى ف ميدان المينا قالوا لنا روحوا المقبرة بتاع جنوة ، رحنا
المقبرة بتاع جنوى ، تماثيل ايه ، وفريسكو ايه . ونضافة ايه .
وهندسة ايه . يعنى مع المبالغة الكثيرة الواحد يتمنى يكون من

سكان جبانة جنوه ذات الجنائين المتحدرة والتماثيل ، مافيش رهبة
كثيرة لكن فيه جمال ومجهود واضح . يعنى تدى فكرة أن الموت
نفسه له مباهج . وإن الواحد يقدر يمشى من عالم الاحياء لعالم
الأموات من غير تكليف ، ومن غير ما يشعر بفرق كبير . الناس
نول بيحترموا موتاهم . أما أحنا . مافيش لزوم للكلام . أنا مش
من رواد المقابر لكن مرة رحت الامام الشافعى لما مات عبد الحكم
الجراحى وعبد المجيد مرسى (١) وشفت التراب اللى ما يوحىش
بغبار الموت أو جلال الزمن أنما يوحى بعقار وليورات سك حديد
الحكومة المصرية لما تبص من الشباك .

إذا كنت عاوز تشوف مقبرة جنوه تعال تفرج ع الكارت
بوستال اللى عندى ، كمان عندى صورة تانية عن البياتزا
ديلافيتوريا ، يعنى ميدان النصر . البلد نفسها عادية ومليانة حتت
وسخة وحوارى ضيقة وبنى آدمين ف منتهى القذارة . الحقة اللى
جنب المينا مثلا تفكرك بأوسخ أحياء مصر .. أما الميادين
والشوارع الجميلة فمش ممكن تبقى جميلة زى اسكندرية ولا حقة
نص اسكندرية .. اشتريت من جنوه جون جوانتى بمعرفش كام

(١) «المحرر» : عبد الحكم طالب الطب ، وعبد المجيد (اسكندراني) طالب زراعة
استشهدا برصاص الانجليز فى مظاهرات عام ١٩٢٥ التى جرح فيها الرئيس جمال
عبد الناصر .

ليرة واشارب رخيص بحاجة تعادل شلن بس للذكرى . الجوانتى
ضاع والاشارب أخذته واحدة ف انجلترا ومايقاش من ذكرى
جنوه غير صورة لسه حية ف ذهنى . منظر البلد العجيب من
البحر وهى ماتعرفش مبنية على جبل والا ايه ، والجبل نفسه
المكسى بالخضرة اللى مافيش انسجام بينها وبين سطوح البيوت
المعمولة جمالونه حمرا .. ومع ذلك تلاقيها جميلة خالص .. المنظر
دا ماشفتوش بعد كده غير ف فرى تاون عاصمة سيراليون ، وف
كيب تاون .. البيوت طبعا شفت زيتها كتير ، لكن البيوت اللى ع
الجبل هى اللى دى اللى مافيش منها كتير ، كل ده حصل ف كام
ساعة . لأن المركب قامت بينا ف نفس اليوم العصر . وأنا راجع
المركب كنت باقابل قطعان من الفاشست بقمصان سودة ، أشى
شبان واشى بنات واشى عيال سن تسع عشر سنين ، حتى ضباط
المينا كانوا لابسين قمصان ملونة . لما وصلت ميدان المينا قابلت
واحد من السفرجية بتوع الكوثر فسلمت عليه وقعدنا نتكلم وأخيرا
اقترح على أنه ياخذنى يفرجنى على جنوه . قلب جنوه .. قعد
الراجل يتكلم ف مواضيع الستات واللى البحارة بيعملوه لما ينزلوا
كل مينا وأنا سايبه يتكلم .. طبعا الحاجات اللى ذكرها ماكانش
فيها حاجة جديدة على ، لكن أنا كنت مبسوط من أنى أسمع

الكلام ده من واحد بحار شخصيا . أنا واحد من الناس على فكرة دائما مستعد أنى أعمل أى عمل ف حدود المعقول بشأن ما أتعلم حاجة ، أو حتى أشوف حاجة جديدة .. حالة نفسية ربنا يحميك منها . وكمان حدود المعقول عندى مطاطة قوى لدرجة أن بعض الناس المتصلين بى ييفكروا أحيانا أنى مجنون مثلا تبص تلاقينى أحب أسهر للصباح من غير أى غرض .. أو أسافر ميتين كيلو لأنى عاوز أشوف واحد من غير ما أعرف هوه موجود ف البلد والا مش موجود أو حتى أعرف عنوانه ، أو أبعت تلغراف لأنى كسلان أكتب جواب ، أو أقعد ف لندن ثلاث أسابيع مستتى فيزا لفرنسا أيام باريس ماكانت بتسلم . فماتستغريش أبدا أنى قلت للبحار مافيش مانع . لكن نبهت ع البحار قبل مانبتدى الرحلة أنه يمشى بأديه لما نوصل هناك .. بعد ربع ساعة لقينا نفسنا ف وسط شوارع ضيقة وحوالينا ستات كتار لابسين لبس خلع . واحنا ماشيين بقم الستات يوقفونا ويسألونى عن بلدى أقول «اجيبشيان» مايفهموش، أقول «اجييسيان» برضه مايفهموش ويعدين بصوت عالى «اجييسيانوا . اجيشيانو» ويشدونى .. شعرت بشىء من الندم أنى غامرت

بالرحلة دى . «نو ، مرسى مدام» ماحدث فاهم «نو ، مدام
برضه ماحدث فاهم . أشاور ع المركب وأحاول أفهمهم
بالإشارة أنى ماشى مافيش فايده .. أبص على زميلى . يخرّب
عقله . اختفى وسابنى لا يصر .. قلت أما فصل مؤلم ، الموقف
كان مؤلم مش بس سخيف ، طيب وأنا أعرف أخرج ازاي من
الحتة دى ؟ والمركب باقى على ميعادها نص ساعة بس ، خفت
أتحرك من مكاني وأبتدى أدور بنفسى ع السكة أتوه زيادة .
ابتديت أعرق ، وكل ما أتصور نفسى قاعد لوحدى ف جنوه بعد
المركب ماتسينى أعرق زيادة .. ابتديت أعد الثوانى . الدلع بتاع
الستات والنكت اللى مش فاهمها أصبحت ف نظرى مسألة يجب
وضع حد لها بسرعة .. استعملت الخشونة مع اتنين منهم
وشتمتهم بالانجليزى فسكتوا .. لأنى فاهم ولا هم فاهمين أنما
مظهرى دل على أنى مش فاضى للكلام ده .. ابتديت أوقف
الرجالة ف السكة وأسألهم عن طريق المينا ، قلت يمكن أعتز ف
واحد راح مدرسة ولو سنتين ف عمره . أسأل بالانجليزى
مش نافع . بالفرنساوى مش نافع . ابتسامه ، أجابه بالظليانى
ثم انصرف ودى وحسه ايه الوحسه دى .. ودى شوره ايه النيلة

دى .. ابن الكلب مش هايرجع ؟ ابن الكلب راح فين .. باقى
عشرين دقيقة (١) .

وأخيراً ابن الكلب جه .. واحد غيرى كان غلط وضربه قلمين
وشلوت ، لكن أنا كنت با أعلى جوه واتكلفت عدم الاهتمام . قلت
له وأسنانى بتزيق ..

«مش تفتكر أحسن نرجع؟» .

وافق . ورجعنا . ف السكة ماحدث قال حاجة ، خطر لى أنى

(١) «كنارى» وإلى هناك أترك لويس عوض الشاب فى ورطته مع نساء
جنوه ، وأترك القراء فى حيرتهم وقلقهم على مستقبل لويس عوض ،
فبهذا القدر من الحديث يصل بنا الدكتور لويس عوض إلى ثلثى
الصفحة الثانية والعشرين من مذكراته البالغ عددها ثمانى صفحات بعد
المائتين .

على أنه فاتنى أن أقرر فى صدر حديثى أن اسم الكتاب كان «سوفتير»
ثم عدله المؤلف بخط يده إلى اسم مذكرات طالبة بعثة - تجربة
«بالعامية» وأهداه إلى «مادلين برنيه - واهبة السعادة» . والكتاب كتب
على الآلة الكاتبة عام ١٩٤٢ وقدم إلى الرقابة فى ٢٥ أكتوبر ١٩٤٤ فى
الساعة ٩،٣٠ صباحاً وقيد برقم ٢٥٤٥ وقد حذفت منه الرقابة
الصفحات ١ ، ٢ ، ٢٠٧ و ٢٠٨ .

وبهذا القدر من الصفحات اشعر بأنى قدمت لمحة سريعة من كتاب
منسى أو كنز مدفون يرسم لنا خطوطاً عريضة واضحة للغة التخاطب
التي يبحث عنها أستاذنا الكبير توفيق الحكيم .

أناقشه ف تصرفه لكن عدلت .. إيه الفائدة . الغلطة غلطتى من
الأول أنى أفكر ف رحلات من النوع ده . هو مش مسئول ..
وصلنا المركب وكان لسه قدامنا خمس دقائق .. قلت له «متشكر»
وسبته ورحت لأصحابى . كان موضوع الحديث طبعا جنوى ، لكن
أنا ماشرتكتش ف الحديث ، كان لسه دمي متغير .. كان عندي
حكاية ظريفة أقولها لأصحابى ، لكن فضلت أنى أسمع بس .
وقامت المركب وخرجت من المينا وأنا لسه با أسمع بس .

طبعا ما تنتظرش منى بعد اللي حصل دا أنى أديك فكرة عن
مستوى الجمال بين بغايا جنوى . ولا حتى عن الهدوم إالى كانوا
لابسينها أن كانت غالية والا رخيصة أنا مش فاكرك حاجة
لأنى كنت ساعتها ملخوم . مش فاكرك حاجة غير المغرز اللي
أكلته ..

ووصلنا مارسيليا على خيرة الله . وبكده انطوى البحر اللي
شق البشر شقين . بصيت جنوبا وشففت افريقيا ف خيالى ..
بصيت شمالا لقيت أمم من الأقزام والقروء ف غابة صنوبر
مالهاش حدود بتشتغل بتشتغل بتشتغل ما أعرفش ف إيه .
وأنا واقف فهمت اللي جاى أكثر من اللي رايع ، فاستنجدت
بالله وشديت أعضاء جسمى وابتديت أعمل لى سكة بين شيالين
مارسيليا .

دون كيشوت

زى ما المصريين اللى ف الكوثر عملوا شلل فى جنوى كمان
عملوا شلل ف مرسيليا . أنا مش عاوز أوصف لك البلد انما
أكتفى بأتى أقول لك أنها بلد وسخة خالص من بره . منظرها من
البحر مش ولايد . منظر جنوى من البحر أجمل منه كثير ، وعلى
كده تقدر تستنتج أن اسكندرية أجمل مينا أنا شفتها ف البحر
الأبيض المتوسط .. وأنا واقف ف المينا بتاعت مارسيليا بقى يفوت
على ناس غالباً سوريين ومغاربة ويقولوا لى بالعربى أن عندهم
ستات حلوين وسينمات زرقاء فيها أفلام قبيحة حاجات تانية
أوحش من الستات الحلوين والسينمات الزرقاء . أنا ما كنتش لسه
نسيت الفصل اللى حصل لى ف جنوى . ورفضت انى حتى أسمع
الكلام اللى بيقلوه وبقيت أطردهم بشدة ، ده يدك فكرة عن
الموانى واللى بيحصل فيها زى ما تلاقى فيها شيالين وعمال جمرك
تلاقى فيها سماسرة أعراض .

أخذت اتنين أصحابى ومشينا ف البلد . رحنا قهوة اسمها
«كافيه ريش» قالوا لنا أنها قهوة المصريين ف مارسيليا .. وفعلاً
لقينا فيها مصريين . أنا لحد دلوقت مش عارف ليه يكون فيه

مصريين فى مارسيليا . بصراحة أنا أفكر أن مافيهاش جامعة ما
أعرفش ، إنما بيتهالى كده . أنا أفهم أن يكون فيه مصريين ف
مونبيليه ، ف ليون ، ف تولوز ، مش ف مارسيليا . بيتفسحوا ،
يمكن . المهم مادام فيه مصريين ف بلد ، يعنى هایتقابلوا فى
طبعا ف قهوة . لكن لازم اعترف أن القهوة دى كان بمها خفيف .
كانت ف شارع الكانبير المشهور اللى اتقتل فيه الملك اسكندر
بتاع يوغسلافيا أو بطرس الحالى والمسيو بارتو وزير خارجية
فرنسا . فاكرا . طبعا مكان الحادث ما عرفتش غير وأنا ف كافيه
ريش ، «شاي ف البناء الغامق اللى ف الصف الثانى هناك ده .
ده . مش ده . أيوه ده .. أهو ده مكان الاغتيال .» أول ما سمعت
كده قلت «عن أذنك» وفردت رجلى لحد هناك لاقيت البورصة
أفكر . وقفت قدامها وقعدت أتصور الحادث ازاي حصل . دى
حاجات ليها أثرها ف النفس لأنى حسيت طول الوقت أنى
«باشوف» التاريخ الشعور دا جالى ف أوروبا بس لكن عمره ما
جالى ف مصر ، غير ما رجعت وابتديت أدور بنفسى نهايته .
رجعت لأصحابى ف القهوة ويعدين جت تلميذه معانا وقالت لى :

– تعالى يا لويس نشترى جزمة لى .

وراح لويس يشترى جزمة ليها . مش يشترى يشترى يعنى

بس يصاحبها وهي تشتري ، ف الأول قلت «خاضرة» وبعدين
ابتديت استغرب «وليه هي ماتشتريش لوحدها» «وليه هي تاخذش
بنت معاها» قبل الرحلة دي أنا كنت عمرى ما كلمت بنت فى حياتى
غير من محاضرة أو اسم مرجع حتى كلام عن الجو مافيش ،
وأزى صحتك حتى .

ما فهمتش إذا كانت الأنسة دي طلبت منى أنى أصاحبها ف
المشوار دا لأنها خايفة من واحد فرنساوى يعاكسها ف السكة أو
لأن العرف جرى أن الست ديما تبقى مصحوبة أنا با أذكر
الحادث ده على تفاهته عشان أوريلك ازاي شاب عمره تنين
وعشرين سنة ف مصر اختباره مع الستات مش ضيق بس نما
صفرا، المهم خدتنى المدموازيل شارع يشبه شارع الموسكى عندنا
بس أضيق شوية . يظهر أن ف كل بلد ف العالم فيه شارع زى
شارع الموسكى . مشينا ووقفنا ومشينا ووقفنا . كل دا قدام
دكاكين الجزم والمانيئاتورة وهيه تطلب وتتفرج وتقلب ترجع . أنا
عمرى ما اشتريت هدية لست . عمرى ما اهتميت بلبس الستات .
عمرى مثلا ما أخذت بالى من تطور مودة الجزم أو الشنط أو
الجاكيت عندهم . أهو كله كعب عالى ف نظرى وعمرى ما قلت
لواحدة أنت جميلة قوى ف الفستان ده .. صاحبتنا طبعاً

ماتفهمش ف الحكاية دي . قام قعدت توريني . «دا مش حلو
يالويس» أقول ف عقلى «أيوه حلو يا ماما بس اخلصى اشترى»
وأقول قدامها «أرجوكى ماتسألينيش ف المسائل دي . أنا ما
أفهمش فيها حاجة أبدا» فعلا . أنا لبسى تمام زى لبس ابراهيم
لنكولن وجيوبى دايمًا محشية ورق ف اللى أنا مش واخد بالى من
لبسى ازاي هاأخد بالى من لبس الستات سألت خمسة وعشرين
دكان واستشارتني خمسة وعشرين مرة واعتذرت لها خمسة
وعشرين مرة . دي حلوه بس غالية دي حلوه بس فاتحه . دي
حلوه بس بطلت . دي حلوه بس ملابس الستات يا خسارة . بس .
بس . بس وروحي طلعت . البنت كان دمها خفيف بس مش عاوزه
تشتري . «يلا بنا يا لويس. كلها ستاشر ساعة ونبقى ف باريس
هناك الجزم أحسن» . أنا جايه أتفرج على مارسيليا والا الموسكى
يمكن أنا كنت غلطان ف الملل بتساعى . يمكن كان لازم أهتم
بملابس الستات عشان ما أبقي انسان متمدن . يمكن هى تعرف
اللى فيه الخير والحكاية مش مجرد لكاعة زى ما اتهاىلى ساعتها .
الغرض حسيت ف وقت واحد أنى عاوز أضربها قلم وأنى عاوز
أحط راسى عل كتفها . ولما كان التنفيذ مستحيل ف الحاليتين ،
عرضت عليها أننا نقضنا من حُسبة الجزم ونروح نتفرج على

كنيسة نوتردام دي لاجارد يعنى كنيسة سبتنا الحارسة يعنى ،
أفكر كنيسة سبتنا مريم . وفعلنا رحنا وبعد كنيسة نوتردام العالية
فكرنا نروح جزيرة ايف الى كتب عنها اسكندر دumas أن الكويت
دي مونت كريستو كان محبوس فيها ، لكن قالوا لنا مافيش وقت .
أنا مش ها أقول أنا شفت ايه فى نوتردام بتاعت مارسيليا لأنى
مش فاكّر غير المنظر البرانى .

وعنها ورحنا محطة مارسيليا ف آخر النهار عشان نساافر
باريس . وداخ محسوبك بين الشنط . خلص الخيال والمغامرات
وما فضلش من «الرومانس» وموج البحر وقصر ايف الى شفته
بس بعين خيالى غير شيالين بيتخانقوا مع بعض ودخان سمج
وخواجات رايعين جايين . وأنا واقف زى الفرخة الداخنة ، أفكر
ف كل كلمة سمعتها وكل حاجة شفتها عشان ما أنساها . قالوا
لى دى مارسيليا بلد الفلس ، قلت كل الموائى كده .

قالوا لى دى مارسيليا بلد البخل . قالوا لى مارسيليا بلد
النكتة . قالوا لى مارسيليا بلد الفشر . وأنا أسمع ساكت كل ما
أفكر ورجيه دى ليه رافع ترالتريكولور بأيديه الجوز ويغنى «إلى
السلاح ، أيها المواطنين» أقول بلاش الحاضر وكفاية اللى فات لما
الرجالة كانت رجالة . حتى دلوقت تلاقينى أبتسم كل ما أفكر

ماريوس وأوليف ، ماريوس اللى بنى برج ايفل وأوليف اللى قتل
البحر الميت . ماريوس وأوليف دول زى جحا وأبو النواس عندنا ،
دايما يحكوا عنهم نكت مع بعض ، والاتنين يمقلوا فسشر
المارسيلىين وبديهة أبناء الساحل ، ماتستغريش لو قلت لك أن أهل
مارسليا فيهم صفات كتير من الاسكندرانية . الفشر النكتة ،
البخل ، التعصب الشديد لبلدهم .

لكن دى كلها حاجات مش مهمة . كفاية على مارسيليا
المارسيلىين . لما الرجالة كانوا رجالة كتب التاريخ كترت . ومع ذلك
سيبك من دا كله ، «القطر الأزرق» صفر ف المحطة وكلنا ركبنا .
حتى أساميهم فيها سحر ، احنا نسمى قطر مصر اسكندرية قطر
البحر . جينا ايه من عندنا وهم يخلوا مياه الجنوب وسما الجنوب
نترجرج قدام عينيك لحد ما توصل باريس .

المائدة المسحورة

ف القطر الأزرق قعدت مع الأستاذ على عيسى ومدام عيسى ،
نص يوم سفر دا حاجة كتيرة ، القطر دا من المحلات اللى أنا
أكرها بكل جوارحي لأن شعور الانسان بالوقت بيشتد لدرجة
الاختناق . وان ماكانش معاك حد يلعبك بوكر طول السكة
تغطس ، أتا عمرى ما أنعس ف قطر ، وعمرى ما أقدر أقرأ حاجة ،
الأستاذ عيسى كان راجل ف حاله وفكرة الكوتشينة ما طرأتش
على أى حال . كل الكلام اللى ف الدنيا خلص ف ساعتين ولسه
باقى نص يوم ، يعنى بس لو كانت الدنيا نهار كان الواحد يبص
من الشباك يتفرج على الريف الفرنساوى أو يشوف الدساكو
بتطوى واحدة ورا واحدة . من الديوان للكوريدور ، من الكوريدور
للديوان مافيش تعب انما فيه زهق ، ف المدة دى اتعرفت باتنين
أشى مصرى وأشى فرنساوى ، المصرى قال لى أنه كان تلميذ ف
جامعة ستراسبور بيدرس كيميا أو صيدلة ما قالش حاجة مهمة ،
الفرنساوى قعد يسأل عنى وعن مصر وعن رأى ف كل حاجة ،
برضه ما استفدتش منه حاجة . رجعت الديوان أدرش مع

عيسى. أتكلّمنا من جديد عن المرحوم مستر هوكارت أستاذ علم الاجتماع ف كلية الآداب بتاعتنا اللى عيسى كان بيحضر معاه رسالة ماجستير . خيلته يحكى من جديد ازاي خطب امرأته وإزاي وإزاي وإزاي . برضه لسه فاضل نص يوم .

وأخيرا نمت . نمنا كلنا . وصحينا ف باريس . الحقيقة اننا ما نمناش ولا صحيناش في باريس ، انما إذا قعدت أحكى لك عن اللى حصل ف نص يوم هاكتب كلمة «زهق» طول الوقت ، نسيت أقول لك . كان الجماعة اللى ربحين انجلترا وأنا منهم متفقين على اتنا ننزل مع بعض ف باريس عشان نساfer مع بعض انجلترا ، كنا أربعة ، الأنسة زينب الشعراني بتاعت تربية ف بريستول والأستاذ قدرى يتاع تربية أو علم نفس ف لندن والأستاذ حاجة مندور يتاع ألبان في ريدنج والأستاذ عباس عمار يتاع جغرافيا ف مانستشر وأنا يتاع أدب في كامبريدج انشانتية ..

وصلنا محطة ليون ، مش ليوم بحق وحقيقى انما محطة ليون اللى ف باريس ، أعمل لها ايه ، اسمها كده ، بيسموها في باريس جارد ليون عشان الناس بيسافروا منها ليون واللى جاين من ليون نزلوا فيها ، وصلنا محطة ليون ف باريس قوم انفصلت بالغريزة من اليسار ، زى ما كنت با إسميهم ع الطريقة الانجليزية يعنى

عيسى ومراته وانضميت برضه بالغريزة - لشلة انجلترا ، ولحسن
الحظ كان فيه ناس مستنيين ع المحطة . كان الأستاذ عمار بتاع
الجغرافيا مستتية الأستاذ حسان عوض بتاع الجغرافيا برضه ف
باريس ، وكان الأستاذ حاجة مندور مستتية إنسان خطير الشأن
جدا ما أعرفش يقرب له ايه ، الا وهو الأستاذ محمد مندور بتاع
أدب ف السريون . «كومبينيشن» عجيب ، اتنين بتوع جغرافيا
واتنين بتوع أدب واتنين قرايب واتنين أصحاب وأتتين بتوع تربية ،
خلطة عجيبية ، مين يمشى مع مين ، خلطة عجيبية .. أمرجة
متضاربة ده ها أحكى لك عنه وها أقول لك إزاي الأمور حلت
نفسها .

إحنا وصلنا باريس الصبح ، ما أعرفش الساعة كام . كان
أول حاجة عملناها طبعاً تاكنسى وع اللوكاندة وأرمى العفش
وحمام ويالله إحنا أحرار . اللوكاندة اللى نزلنا فيها - أنا فاك
كويس - كانت ف شارع مونج ف الحى اللاتينى . مش فاكركام
بالضبط إنما غالباً حسبة ٢٥ فرنك فى الليلة . افكر عمار بتاع
الجغرافيا كان معاه عنوانها من الأول لأنى سمعته بيقول أن
الدكتور حزين مدرس الجغرافيا بكلية الآداب كان بينزل فيها كل
ما كان يفوت ف باريس ، دا دليل على إنه كان يعرفها من الأول .

الشاهد . أنا كنت مضطرب طول الوقت . ف التاكسى عيني كانت
زايفة عاوز أشوف كل حاجة ف مدينة النور ف دقيقة واحدة ، كما
لأنى كنت مضطرب لأنى وجدت نفسى فجأة ف الحى اللاتينى اللى
ياما قرينا عنه وكنت بحلم بيه ولسه با حلم بيه . الحى اللاتينى أنا
ف الحى اللاتينى حاجة تخلى الواحد يضطرب . أبص حوالى ما
ألاقيش حاجة تخلى الواحد يضطرب . كل حاجة عادية . برضه
ناس لابسين برانيط وشوارع وبنائات ، لكن الفكرة ، آه الفكرة .
وتعمل ايه ف الفكرة . مجرد انى ف الحى اللاتينى اللى اتشرد فيه
كل أدباء مصر خلقتى أرتعش . أمتى ياربى أتشرد ف الحى ده
زى زكى مبارك والصاوى وتوفيق الحكيم ، أمتى ياربى أتشرد
وأكتب زى ما كتبوا .

كمان من أسباب اضطرابى إنى ماكنتش أعرف حد ف الشلة
اللى إنى ماشى معاها لا زملائى ولا اللى بيفرجوننا ، طلعتنا من
اللوكاندة عشان نغزو مدينة الأحلام ..

خدونا من سكات على محل الديبون اللاتينى قال ايه نفطر ،
كرواسان . اتنين كاكاو .. مرسيه .. مين يدفع هم قال اللى يدفعوا
حسان قال :

— دا يبقى محل الديبون أشهر محل ف الحى اللاتينى ، إحنا

كثير نجى نأكل هنا..

قام الجدع الثانى قال :

- دا اسمه ديبون لاتان ديبون دا يبقى اسم راجل صاحب
محلات كتيرة كلها قهاوى من النوع دا منتشرة ف كل أحياء
باريس ، ولاتان دى صفة يعنى اللاتينى . ومحل ديبون اللاتينى
يعنى الفرع من محلات ديبون الموجود ف الحى اللاتينى والذى
اللاتينى زى ما أنتم عارفين دا حى الجامعة ولذلك تلاقوا المحل دا
دايما ملىان تلامذة ودا مستعمرة المصريين ف باريس شايفين
البنا الغامق اللى قدامنا ع الشمال شوية ف الناحية الثانية من
الشارع ، دا يبقى السوربون .

كفاية بقى ، عرفت ، عرفت بالخريزة إنى ها أستفيد من
الأفندى دا أكثر من حسان . صحيح حسان كان فارق شعره من
الوسط انما مافلحش . لكن هوه دا اللى يقدر يفهمنى كل حاجة
أنا عاوزها .

ميلت على واحد من زملاء الرحلة وسأله ..

- مين الأفندى دا ؟

- دا اسمه محمد منور ، بعثة كلية الآداب لدراسة الأدب ..

قديم هنا تمن سنين ..

تمن سنين يابوى زى ما بنقول فى الصعيد لما نستغرب وهو بعينه دا لازم يعرف حجارة باريس ، كل حجر باسمه . قربت من محمد مندور دا وقلت له ، بعين مليانة عاطفة زى الأطفال .

– من فشلك أنا عاوز اتفرج ع السوربون .

– تعالوا نفرجكوا ع السوربون .

واحنا بنعدى الشارع قعدت أتأمل ف مندور دا لاقيته شاب طويل ف اعتدال ملىان أسمرانى شعره أسود زى شعر الهنود وطويل قوى قوى زى شعر الأرتيستات ومناخيره واضحة ف وشه، أما ملامحه كلها فتدل على إنه من أصل رومانى مافيش شك مافهوش مصرى غير سماره . تمثال مترهل شوية ، عينيه كبيرة محفورة ، با أقول محفورة مش غايره ، طول الوقت يعلق ع الحاجات يعلق وينكت نكت عقلية غير مألوفة ، نكت زى اللى بنقرأها ف الكتب ، نكت ماتضحكش قوى إنما تشعرك أن قدامك مخ شديد الالتفات ، وكان كل ما ينكت يضحك بشویش أو يبتسم وف ركن شفايفه التواء التهكم واضح واللى بتقوله شفايفه بتقوله عينيه ، وأحيانا يتهايلك إنه بيتهكم بيك .

دخلنا السريون وهات ياشرح وهات يا سؤال . «دى اسمها سوربون لأن الراجل اللى بناها ف العصور الوسطى كان اسمه

كونت روبير دى سوربون . السوربون دى تشمل بس كلية الآداب والعلوم والحقوق ، أما بقية الكليات زى الطب فتدخل تحت جامعة باريس. الأنفتياتر دا اسمه اتفتاتر فولتير على اسم .. الخ البنا اللى جنبنا اسمه الكوليج دى فرانس يمكن سمعه عنه .

أنا - يا لله نروح الكوليج دى فرانس .

هو - والبنا اللى ورانا من الناحية الثانية أبوقبة دا ، دا يبقى البانتيون ..

أنا - يالله نشوف البانتيون ..

حركة تنمر من بقية الجماعة ..

الجميع - إحنا عاوزين نشوف المعرض .

أنا - الحى اللاتينى قبله ..

ورحنا الكوليج دى فرانس ، ورحنا البانتيون ، «الشارع اللى فيه السوربون والكوليج دا اسمه شارع المدارس ، والشارع دا اسمه بولفار سان ميشيل . احنا بنسميه من باب الإختصار بول ميش . دول أهم شارعين ف الحى اللاتينى . شارع - سوفلوا دا فيه مطابع كتيرة . البانتيون دى كلمة جايه من الأغريق بأن معناها كل زى ما تقول بأن جيرمانيك يعنى بتاع الوحدة الألمانية وبأن آراب يعنى الوحدة العربية وثيوس معناها آله . يعنى كل

الآلهة . يعنى المكان المدفون فيه كل الآلهة ، والآلهة دول يعنى
العظماء . هنا فولتير مدفون . روسو بعده بشوية . المدخل العام
زى ماشفتوا كلاسيك عواميده مجوز ف العدد كورينثيه ف النوع» .
- يا شيخ يالله نتفرج على باريس .

واحد قال . ابتديت اتفرقز . آمال يعنى إحنا بنعمل ايه ؟ أنا
قلت إنه ف الأول حصل لخبطة يمكن سببها أنا ومندور . لأن بقية
الشلة كانت زى ما تقول متفقة ف الميول من ناحية الفرجة يعنى
كلهم زى السياح الأمريكان ، هم مالهم ومال فولتير منحوت فين ،
هم عاوزين يتفرجوا على «باريس» المعرض الدولى بتاع باريس
أول وقبل كل شىء . أبتدت حركة تنقلات واسعة . كل دقيقتين
ثلاثة يجى واحد يشوف مندور بيهتش بيقول ايه وبعدين يرجع
لحسان . وأنا طول الوقت لازق ف مندور . شعرت بحروجة مركزى
لأنى أولا أجنبى عن الجماعة ثانيا لأنى حرمتهم من مندور ثالثا
لأنى كنت متعب أسئلتى كثيرة رابعا لأنى كنت بأسأل عن حاجات
ماتهمش حد منهم خد مثلا أخذونا على حى السيتيه .. مندور قال
«دا تياترو سارة برناره ، ودا الشاتليه» ، وبعد شوية «دى
كاتدرائية نوتردام» ، وبعدين بمزيج من التهكم والبلازانترى «أنتو
سمعتوا عنها» الأبتسامة إياها اللي ف ركن بقه تخليك ماتعرفش

تضايق منه والا تضحك ، دا كمان من أسباب شعورى بخرج
مركزى مندور نفسه ماكانش يديك معلومات بالساهل . مش
قصدي إنه بيتكلم قليل ، أنما قصدي إنه مافيش مانع إنه يتريأ
عليك وعلى جهلك أثناء الشرح ، مش ضرورى تريأه صريحه . مثلاً
هو عرف إنى با أدرس أدب زى زيه ومع ذلك كان فى سياق كلامه
يشرح تفاصيل كثيرة بسيطة مفروض أن كل واحد يعرفها ودى
حاجة أحياناً كانت تترفضنى منه ، مثلاً يقول ، سارة برنار دى
كانت أكبر ممثلة ف فرنسا فى أيامها ، وأن كانت حاجة عويصة
شوية يقوم يفهمك طول الوقت إنه بيعلمك حاجة جديدة فى ناس
كتير بالشكل دا .. مندور دلوقت بقى صاحبى ولسه ماغيرتش
رأى فيه . صحيح بالتدريج عرفت عنه خصال وصفات كثيرة
جديدة لكن الأثر اللى سابته المقابلة الأولى لسه باقى زى ما هو
ويظهر إنه صحيح .

وقفنا كتير قدام كاتدرائية نوتردام ولفينا كتير حوالين نوتردام
ومشينا كتير جوه نوتردام ومندور يشرح ويشرح وأنا فاتح عقلى
وعينى وودانى زى ما فتحت عقلنى وعينى وودانى يوم ما قرئت
رواية «عشيق الليدى تشاترلى» بتاعت د. هـ لورنس ف العشر
سنين الأخيرة قبل ما أزور باريس ، أنا من يوم ما أبتديت أقرأ

رواية «الفرسان الثلاثة» بالعربي لحد ما قرئت «لأجارسون» بتاعت فيكتور مارجريت بالفرنساوى ، ف الفترة دى رسمت ف عقلى خريط لكل مفصلة ، يعنى مدن بشوارعها وقصورها وحواريها وعششها ، مثلاً أقرأ عن ميدان الكونكورد أقوم أرسم له خارطة ف مخى فيها المرشوشة . الحتت الى ماشفتش ليها كارت بوستال كانت فكرتى عنها تسعين فى الميه غلط ، وياما أتأملت لما كنت أكتشفت أن الحقيقة مش ماشية مع الخيال .

لفينا زى ما قلت لك حوالين نوتردام سبع مرات ولفينا جواها سبعة تانيين ومندور نازل شرح «كل كنيسة مبنية على هندسة صليب من جوه . فيه ثلاث صلبان . صليب فرعونى دا مالوش رأس و صليب جرجى ودا أضلاعه متساوية و صليب لاتينى ودا رأسه أكبر من جسمه . شوف لو وقفت هنا ف المدخل ووشك للمديح تقدر تشوف فكرة الصليب .. شوف الأقباء المكسورة فوق دى وجودها عضوى مش للزينة . «طبعاً مندور ما يقولش كده من سكات انما بيتدى يشرح فى معنى الحاجة العضوية ف الفن والفرق بينها وبين الحاجة الى الغرض منها الجمال بس» .

الحاجة العضوية ف لغة الفن هى الحاجة الى بتلعب دور أساسى ف التصميم ، شوف الأقباء المكسورة فوق دى هيه الى

بتسند السقف . ف الواقع السقف معمول من مجموعة قباء
مكسورة .. على العموم كتر خيرہ «أفادك الله يا أستاذ» حكاية
القبو الناقص دا من قواعد العمارة القوطية الحقيقية ، إنما
العمارة القوطية التليد - ودي غالبا جت ف عصر متأخر - تلاقى
فيها أقباء مكسوة برضه لكن الغرض الزينة بس وما بتسندش
اسقف . دي حاجات ضيعنا فيها وقت كثير عشان نعرفها .. أنا
مرة أخذت كورس فى العمارة والموسيقى كامل ف العمارة عن
الأستاذ لان ، الموسيقى برضه أخذت فيها كورس» .. وهلم جرا ،
من العبث إنى أشرح لك عيبى اللى شفته فى عماير باريس لكن
إذا كان الموضوع يهكم تقدر تقابل الأستاذ محمد مندور وعنوانه
على كلية الآداب .

زى ما أنت شايف الأستاذ مندور وفر على قراية كتابين تلاته
ع الأقل . بلغته هو اللى نصها تهكم ونصها بليزانتييرى «من
علمنى حرفا صرت له عبدا» . ع الحساب دا أنا مش بس ها أبقي
عبد له إنما ها أبقي عبد لكل واحد فى الدنيا . للشيخ البشلاوى
اللى رقبته قعدت أربع سنين فيها دمامل لأنه مرة عطانى حصّة
إضافية ف ثانوى قبل ما ألون عبد مثلا للأستاذ أحمد أمين اللى
نوية أمتحنى شفهى عربى ف اليسانوس وقال لى عن «ذهب

الأزرق» ، دليل السياح لمدينة باريس . الحق يقال أن من غيره أنا كنت دخلت فرنسا حمار وطلعت منها حمار . الحق يقال أن سببه أنا عرفت عن باريس والفرنسيين واللغة الفرنسية حاجات كثيرة ناس عاشوا ف فرنسا ما يعرفوهاش . طبعاً دا ما حصلش كله ف اليوم اللي مضيته ف باريس أول ما سافرت إنما حصل لما زرت باريس ثلاث مرات بعد كده لمدد طويلة .

أنا ما أقدرش أوصف لك قد ايه زملائي ف الرحلة كانوا متضايقين من إهتمامى بالحجارة المصدية اللي بيسموها كنايس ومعالم ..

– إحنا عاوزين نشوف المعرض ..

هم عاوزين يشوفوا المعرض . إذن إلى المعرض ، تاكسى وبالله ع المعرض . شفت ميدان الكونكورد والمسلة ف وسطيه ومندور نازل دش ، دا اللوفر ، دى جناين التويليرى دار يفولى دا كوبرى اسكندر السادس . دا الأفاليد . دا التروكاديرو .. دا المعرض ستوب ، ورحنا نازلين . مافيش غير كلمة ونص على كل حاجة شفتناها ف السكة . مافيش فرصة . سواق التاكسى عمل بالضبط زى أريل ف آخر رواية «العاصفة» بتاع شكسبير لما عمل مائدة سحرية لأعداء سيده الساحر بروسبرو وقعد يخيلهم بيها ،

كل ما يمدوا أيديهم عليها تختفى . أهى كمان مدينة الأحلام
أنطوت قدام عيني ف عشر دقائق زى الجزيرة السوداء ف ألف ليلة
وليلة ..

كل واحد شاف معرض باريس الدولى بتاع ١٩٣٧ لعن خاشه،
أنا طبعاً لما أسافر من مصر والا الولايات المتحدة مخصوص
عشان أشوف معرض لازم حاسة النقد عندي تنشط غصب عنها ،
يمكن دا السبب ، واحد صاحبي انجليزى قال لى أن المعرض كله
ما كانش فيه غير الجناح الروسى والجناح الألمانى ، ودول كانوا
بيتنافسوا ف التفاهة وصف طريف ، أن كنت عاوز تعرف إزاي
أهى صور قدامك ، أما أنا أقول لك الحق أنبسطت خالص لأن من
الأصل ما كنتش منتظر حاجة ، ولا كنتش حتى عاوز حاجة .
بالأخص الليل لما دخل ولاقيت الدنيا حوالى شعلة نور . نور ف
الميه . ونور ف الهواء ونور ف برج ايفل لما دخلت الجناح المصرى
فتحت عيني شوية بس عشان أشوف أهل بلدى عاملين ايه جنب
الدول الثانية . أنا مش ها أخبى عنك حاجة . أنا لو كنت ف أيدي
سلطة كنت أوكل محمد محمود خليل بك عيش حاف مدة ٤٨ ساعة
عقاباً له على مجهوده الضايع ف تنظيم الجناح بتاعنا ، لكن ايه
فايدة الكلام اللى حصل حصل .

رجعنا الحى اللاتينى بعد ما هيصتنا طول اليوم ومع إنه كان

ميعاد نوم لقينا الحى سهران زى السيدة زينب ف ليالى رمضان .
أترميننا ف قهوة ويعددين طلع ف دماغى حكاية غريبة . قال لازم
أخذ أبسنت . أنا كنت قرئت كتير عن إزاي شراب ألابسنت قتل
نص فنانين فرنسا وكل الستات البائسين وكنت ناوى أنور عليه من
تحت الأرض عشان أشوف ايه هو ، السائل السحرى دا اللى
طبق جفون الأنام . قعدت أفكر ف فنانين نهاية القرن – اللى فات
طبعا – شلة الفن اللى كانوا دايمًا ف هياج عصبي وميلانكونيا
مالهاش حدود . وأنا كمان لى أحزان كتيرة وعاوز أغرقها ف
جرعة النسيان . شفت واحدة وشها ناكل وعينها دبلانه وشفافيتها
صفر إزى الكركم ماشية بتجر ف رجليها ، مشيت وراها من بعيد
، لاقيتها خارجة من شارع سان ميشيل وعند الكويرى وقفت مدة
طويلة تبص ف الميه وتبص ف السماء وتبص ع الحى وأهدابها
الساقطة بتقول الوداع يا حبيبى الحبيب . الوداع يا مارسيل ،
قلبي أرتجف وقربت منها لحد ماوقفت جنبها ، شفت الفرو على
كتافها بيتساقط زى العهن المنفوش ، قلت لها «ماذا تشكين يا
أختاه» بصت لى بصة سهتانة وحتى شفافيتها ماتحركتش .
مدت أيدى ف جيب الجاكتة وطلعت المحفظة وقدمتا لها
المحفظة من سكات . بحلقت فى مدة وهزت رأسها وشاورت لى
على قلبها . قلت لا إله إلا الله ، نفذ قضاء الله . وبعد شوية شفت
دمعة واحدة من كل عين ، أنا كنت أفكر أن العيون اللى زى دى

نزفت كل دموعها من سنين . تمت «الوداع يامارسيل» تمت
أنا «الوداع يا أختاه» وسابتني وراحت في نهر السين ، وأنا واقف
أتفرج عليها بتغالب ف الموج الخفيف المضطرب لحد ما اختفت ،
وأول ماشفت الفقايع بتتفجر على وش الميه عرفت أن الكتاب
أنقل ، ورجعت الحى أدور على كتاب جديد أقرأه . طبعاً الحاجات
دى ماوصلتش فعلاً ، لكن شفتها بعين خيالى ، شفت شاعر من
الشعراء قاعد ف بار منحوس ووشه مكفى ع الكأس اللى قدامه
ودقنه الطويلة المهوشة مرتاحة ع التراييزة . طبطبت على كتفه
وقلت له . «مالك يا أخى قاعد مهموم» قال لى «خلاص مافيش
الهام . خلاص .. أقعد سلىنى . أفكرت جان اللى كتب عنه
توفيق الحكيم ف «أهل الفن» ، قلت أقعد أسامره لمطلع الصبح ،
قلت له «ودا ايه اللى قدامك دا ؟» .

قال لى : «دا أكسير الراحة ، دا حشيش مقطور دا رسول
النوم ، دا الفارس الأخضر اللى خطف روحى من بين الضلوع ،
دا جرعة من نهر النسيان . شوفوا أخضر إزاي زى عيون البنات
اللى جايين من بريتانى . دا الأبسنت ملك الأحلام» .

وسرح بعيد عنى ، سرح سرح ف مساقط الألهام ، سبته ودنى
خارج لقيت ف وشى واحد ممثل قديم جمهوره ضاع من زمان ،
قلت له «أنت لسه عايش ؟» .

قام مسح نضارته أم شنبور ذهب ف الكرافات الوسخة اللي
نايمة على صدره زى فراشة هلكانه وخط ايد ف السديري وفرد
الايد الثانية كانه ع المسرح تمام وقال لى : «بس ليه يا أرمان
ياولدى تعشق بغى . ليه تلوث شرف العيلة . أنا أبوك دوفال
شريف أشراف بروفانس وشهر الدوق دى جيز وحفيد الخادم
الأول لملك الشمس ، أضرع إليك انك تنسى مرغريت» .

قلت ف عقلى دا لازم أستاجلينا ، دا لازم فاكّر نفسه لسه على
خشبة الأوديون أدى عشرين سنة . دا لازم نسى .

آه دا لازم نسى .. نسى ؟ آه دا لازم أخذ أبسنت ، أنا كمان
لازم أخذ أبسنت عشان أنسى الأتتين وعشرين سنة اللي راحو من
عمرى بلاش من يوم ما أتولدت ف شارونة مركز مغاغة مديرية
المنيا لحد يوم ١ أكتوبر سنة ١٩٤٧ ، يوم ما قامت بى الكوثر من
الأسكندرية ، أفكرت يوداير وفرلين ورينبو وأوسكار وايلد ولانيل
جونسون وجورج موروكل «المنحطين» ف الأدب على حد تعبير
ماكس نوربو . أنا لازم أعيش ولو ساعة ف الجو اللي عاشوا فيه .
إزاي أسيب الفرصة دى / أدى باريس أهى ، ومونمارتر بفرنك
وتلاتين سنتيم فى المترو ، مش ناقص غير الأبسنت . أن ما
أخذتش أبسنت دلوقت أمتى ها أخذه لما أرجع مصر ؟ مصر فيها

حشيش بس . ولما أوصل انجلترا أمال هم «أوسكار وايلد وجورج
مورو ولايونييل جونسون طفشوا من انجلترا ليه ؟ أنا لازم أخد
أبسنت . قلت :

- يامندور : أنا عاوز أشرب أبسنت .

: - مافيش أبسنت .

- لازم فيه ..

- حرموه خلاص .

حرموه . إذن الحاجات اللي حصلت ف روايات ماري كوريلى
صحيحة .. تفاحة أمانا حوا أحمرت ونضجت قدام عيني . لما لقيت
أن مافيش فايدة ف مندور أتحولت على حسان . أستغربت لما
لقيت حسان بيفيض حنان أخوى ومفهومية .

- أبسنت مافيش دلوقت . لكن أنا أعرف صنف تانى اسمه
برنوه صحيح مش ف درجة الأبسنت إنما كفاية انه يجيب لك كل
الأحلام اللذيذة اللي أنت عاوزها . دا عبارة عن ميه أكسوجينية .
تحب تجرب ؟ .

- مافيش مانع . عن أذنكو .

أخذنى على قهوة ف آخر شارع مونج وقعدنا مطرطين ع
الثلثوار كائننا قاعدين فى «البول نور» لحد ما جه الجرسون . قلت

ف عقلى دا حسان دا باين عليه «شيك تيك» ويحب يخدم الأخوان.
أخذت كأس واحد . الميه ليها لون لكن دا مالوش لون الراجل اللي
قال «شفت عن كأس حتى لايشابهها لطافة وجفا عن شكلها الماء»
دا لازم كان بيشرب برنو . لولا بس إنه قبل كدا كان قال «صفراء
لا تنزل الأحزان ساحتها» ماكانش يبقى فيه مجال للشك . لكن
بالشكل دا ماتفهمش دا كان بيشرب وسكى والا زيب يظهر إنه
ماكانش بيشرب خالص ، ويظهر أن عمره ماشرب أنا ماعنديش
غير كلمة واحدة أوصف لك بيها البرنو كريستال . وهو بيترجرج
إنكسرت فيه ألف شعاع من أنوار البار ومن أنوار البار اللي جو
المرايات ومن أنوار البار اللي قدام البار بتاعنا . أم عمل زى
الزبيق أو الكورا المعدن اللي يبص لها كتير ينام دا بالضبط اللي
أنا عملته . نمت تنوين مغناطيسى . من كأس واحدة لاقيت نفسى
بانوخ . أطرافى تملت ورأسى لفت حسان قال لى :

- جرى ايه ؟ خليك سبع كأس تانى يا أبرينيه .

كأس تانى أيها القارئ ويقيت ف عرض تاكسى . صرخت .
- تاكسى .

لكن ماحدث سمعنى غير حسان . قام قال لى :

- تاكسى ايه العبيط دا دى الوكائدة دقيقة ونص . ومع ذلك

أنت حالتك عادية خالص . دى بس تهيئات . كل شوية الزيتون
دى ..

· أكلت شوية الزيتون دى .. توزنت شوية ..

– كمان كئس ..

– مش ممكن ..

– والله كمان كئس ..

– لا والله .

– أديك رقت أهو .. يا أبرينيه ، كمان واحد ميه أوكسوجينية .

– بقى أسمع يا حسان أنت يظهر انك عاوز تتفرج على با

أطوح ف الشارع .

– أبدا والله ..

– طب أنت مابتشريحش ليه .. أشرب وأنا أشرب ، عشان

ماحدث يضحك على حد .

– أنت مش قلت انك عاوز تجرب الأيسنت ومع ذلك أنا ها آخذ

واحد ..

وأحنا بنتكلم الكلام دا طبوا علينا بقية الأخوان وطب

الجرسون بالبنورة اللى بيترجرج جوه بنورة . هزيت رأسى عشان

أفوق قدام الجامعة وفعلا صحيت شوية . إذا لم يكن من الموت بد

فمن العجز أن تموت جباناً ، أدى الكأس وأدى حضرة المجرب
الأعظم أدى الجمل وأدى الجمال .. يا أشرب يا أتلهى على عيني
وبلاش تلحمة فاضية تانى . يعنى أنا هايقلبوني ثلاث كاسات برنو
شربت الكأس تقريبا فى بلعة واحدة ، وأنظر ما كان من أمرى
أخينا دون كيشوت دى المنيا . لما استقر السائل فى جوفى ،
أحسست بالقىء فى حلقى وأنفى وقلت يا حسان ، يا أخلص
الأخوان ، فنلعد لوهلتنا إلى الخان ، فما تردد الصديق ، بل
جذبني إلى الطريق ، وأنا أتمايل كالمخمور ، والدنيا أمامى تدور ،
فاتكأت كذلك على مندور ، حتى بلغنا الأوتيل ، فشددت الحبل
ورفعت هامتى ونصبت قامتى ، فما أن بلغت غرفتى حتى شهقت
على خيبتى وأنكفأت على الحوض وصحت أن أع أع . غفرانك
يابديع الزمان ، هنا تعجز القوافى عن التبيان ، هذا ما كان من
أمر أخينا دون كيشوت دى المنيا . مالك ومال الكاسات ، روح وفر
وأخلق ياعبده .

صحيت تانى يوم الصبح بدرى قوى بصدا ع أمريكانى أصلى،
لاقيت الأولاد كمان صاحيين . على فكرة ، إحنا كنا تلاته نايمين
ف أوده واحدة ، لأن اللوكاندة كانت مزحومة بسبب المعرض .
وهات يا تاليس . «الله يأرفك ياشيخ» . «فضحتنا يا أستاذ» «قوم

نصف الحوض قبل ما حد يدري» مش ضرورى أقرفك بالتفاصيل
صدعت بالأمر ونصفت الحوض . مش ضرورى تعرف إزاي . ودى
كانت خبطة فوقتتى .

بيتنا ف باريس ليلة تانية ، مش عارف ليه ، قعدت ف الأول
أعارض أن إحنا نبات في باريس وقاموا كلهم هبوا فى زى كلاب
جهنم . سكت ، غلب طبعا ، لأنى ماحبتش أسافر وحدى انجلترا ،
إزاي أسافر وحدى انجلترا وأنا ما أعرفش مخلوق هناك .
عزمتنا وحزمتنا وف الظهر قمنا من محطة الشمال - اسمها
كدا - على بلاد الانجليز .

دى ساعات خطيرة ف تفكير الانسان . انك تحس انك مش
عايش إنما بتتفرج ع الدنيا جو سفيرة عزيزة . أنا مرة مثلا كنت
راكب تاكسى ف شارع إبراهيم باشا وشفت بلوند قاعدة ف
تراس ف الكونتنتال . دى أجمل مرة شفتها ف حياتى ، ومع إنى
ما أحبش الشقراوات لكن قلبى نبض وغمضت عينى لحد باب
الحديد عشان ما أشفش حاجة تانية . أنا كمان شفت باريس
بالشكل دا . حرام دا . يمكن المؤلف المسرحى أفيدله إنه «يتفرج»
ع الناس ، لكن الشاعر الزم له أنه «يعيش» مع الناس .. أنا مش
شاعر ولا حاجة لكن أن كان ولا بد فأنا عايش ف برج عاجى

مدندش بالصدف الملون والأبتوس ، ويفتح ع البحر الكبير ، زى
القصر اللى كانت عايشه فيه ليدى شالوت بتاعت تيسون ،
والقصر اللى وصفه كيتس ، أبو شبابيك مسحورة .

أنا برضه لما كنت ف كمابريدج وطلعت ف حكاية الكتابة
بالمصرى عملت قصيدة أولها :

أنا سكنت فى قلعة
والقلعة دى مسحورة
وفيهما لمبة والعة
يشوفها ف الشبورة
اللى تعب والتايه
وأبو آمال مكسورة
أنا سكنت ف القلعة
تطل ع المحيط
أبراجها مايله تحكى
للزبد الغويط
يمكن بناها جنى
يمكن بناها القوط
وعشت عيشة هادية

بكره زى الأمس
وشفت ألف موجة
تغسل حفاقي الشمس
حياة وتيرة واحدة
طول عمر الحب همس
والغيمة قرمزية
والليل سمير الرمس
كان المرحوم حلمى رفاعى دائما يأس ع الشعر بتاعى ،
ويعايرنى بالقصيدة دى .

أنا عارف أن شعري وحش إنما أنا ما با أعملش شعر عشان
يعيش لكن عشان «أجرب» وأشجع غير أنه يجرب . ما تنساش
إنى مدرس أدب وعندى نظريات عاوز أنشرها .

أنا با أنكر الحاجات دى كلها عشان أورى لك إزاي حز فى
ترك باريس . لكن فى شعور أهم من دا كله . شعورى وأنا ف
القطر بأتى ساعة ما أحط رجلى ف دوفر حياتى الجديدة تبتدى .
القطر مريح والهوا جميل والصحبة لطيفة ، وأبص من الشباك
أشوف الريف الفرنسى مكشوف الجمال ، يعنى مافهوش جمال .
مافيش تراب . أيوه مافيش تراب كل بلاد الله مافيهاش تراب .

إشمعنى يعنى مصر بس اللى فيها تراب . حاجة تحير . يعنى
إحنا بس اللى عندنا ريف ؟ ما كل العالم فيه ريف . أصل مستر
ماكادام كان من أعداء الشرق برضه وعشان كده أمتنعت وزارة
الأشغال المصرية أنها تبطل الطرق . كان فيه مدرس انجليزى ف
مدرسة ثانوية عندنا مرة سألته تلميذ عن معنى كلمة «ليك» قام قال
له دا اللى بيستنى ف شوارع مصر بعد ما يخلص المطر . وفيه
واحدة فرنسوية مرة كتبت كتاب عن مصر قام أفاضت ف ذكر
أهمية التراب ف حياتنا الأهلية . تراب في تراب . كل حاجة هنا
فيها تراب . تراب ف دوسيهات الحكومة . تراب ف عيون الناس .
تراب في السكك . تراب وعماص ووساخة ربانى أنا أفهم ليه بيت
الفلاح المصرى يكون وسخ . الفقر . أنا أفهم ليه جلابية الفلاح
المصرى تكون وسخة . برضه الفقر . لكن ليه الشوارع والطرق
عندنا تكون زى ما خلقتها الطبيعة الحكومة المصرية مش فقيرة .
الحكومة المصرية بتصرف كل سنة ١٥ مليون جنيه ع الكتب اللى
بيسركوا جوابات ف المصالح وأنا كل مرة أسافر ف مصر من بلد
لبلد أتعمى ويدلتى لعدم ولما الناس تاخذ رمد صديدى يقولوا لك دا
الرمد من أمراض المناطق الحارة . أبدا . الرمد الصديدى من
أمراض الحكومة المصرية .

نهايته أهواريل شال المائدة بتاعته قبل ما تاكل زى ما أنت
شاي ف ، وباريس بقت ف عيني ذكرى أغمض عليها الجفون ..
ودخلنا كاليه ماريتيم ودخلنا المركب اللى هاتعدى بينا المانش ..
أهى فرنسا كلها أصبحت ف عيني ذكرى أغمش عليها الجفون ..
وأنا لسه ف أرضها وأنا لسه على ميتها . دا لأن تفكيرى كله
أشتغل بالمخاطرة الكبرى اللى ورا الميه ، المخاطرة التى أبتدت
ساعة ما أصبح المانش «الفتاة الانجليزية» زى ما بيسموه
الانجليز.

الوداع يا فرنسا . لا أذكر إننى دخلتك أو خرجت منك مرة من
أبواب الشمال أو من أبواب الجنوب الا لازم لقيت اتنين شيالين
بيتخانقوا .. الوداع يا فرنسا اللى حسيت فيكى إنى لسه ف مصر
الأهل أهلى والقهاوى ع الرصيف .

مخزور دوفر

ماتيو أرنولد

ما فيش حاجة اسمها مصر قطعة من أوروبا . أوروبا انهيه ؟
فرنسا وإيطاليا ، يمكن انجلترا لأ . أقرب إلى الصواب انك تقول
أن فرنسا قطعة من أفريقيا . الطلياني مش غلطان لما يسمي
البحر المتوسط «نوسترا ماري» ، يعني «بحرنا» ، وطرابلس
«نوستر أريفا» يعني «الشاطئ» بتاعنا» المصري كمان لو قال نفس
الكلام دا عن إسماعيل باشا ما كان عاوزها - حنة من أوروبا -
بالكتير هاتبقى زي إيطاليا أنا مابا أعيش ف إيطاليا . أنا مابا
أعيش ف حد .. لما أقول أن الفرنسي ماختلف عن الانجليزي ما
أقصدش أن واحد فيهم أحسن من التاني . كل اللي با أقصده هو
أنهم مش زي بعض . الفروق اللي بين انجلترا وفرنسا والانجليز
والفرنسيين جوهريه أكثر من الفروق اللي بين فرنسا ومصر
والفرنسيين والمصريين . يمكن دا الوضع العلمي بتاع الفكرة .
أركب المانش نوية وشوف بنفسك . شوف إزاي الطبيعة نفسها
مختلفة بين كاليه ودوفر . مرة واحدة تلاقى السما أتملت غيوم
والبحر الأزرق الفاتح بقى لونه زي القصدير . شوف إزاي الريح

نفسها مجراها وسرعتها ووزنها الموجة تتنفس زيد أغبر زى
الفضة المطفية . شوف السهل يضحك ورا ضهرك بالسنا السابغ
والدفع العميم والصخر قدامك ينطح أجواز السما الغامقة .
ووقفت أنا وهتتر وماثيو أرنولد ويولس تلميذ المسيح قدام صخور
دوفر وصحنا .

فا أتصدعت الصخور وأجامت زى الملك لير لكن ف تهكم .
ولما وصلنا المينا وقفت ف بوز المركب وأفتكرت كلام أدجار
لدوق جلوسترف رواية الملك لير .

كل ده شعر عظيم من الدرجة الأولى ، ولكن شعر بس . ماثيو
أرنولد كتب قصيدة عن «شاطيء دوفر» شبه الشاطيء فيها
بحصى الحياة المكشوف .. هى دى الجملة اللى أنا بدور عليها وأنا
ف المركب با أتأمل ف ساحل انجلترا الجنوبي . أيوه حصى
الحياة العارى . الحصى العارى مش المدفون . هى دى الجملة
اللى دايمى با أفكر فيها كل ما أسيب عزلتى وأندمج ف العالم
عشان أكل عيش أو عشان أعمل واجب اجتماعى مكتوب على
جبينى إننى ها أعمله ، لأننى ماشى حافى والرملة سخنة تحتى
والقحل أصفر فاتح كله ظلط مدبب . كان حلمى رفاعى الله يرحمه
دايمى يقول ع البنت اللى بيحبها دى واحة ف صحراء الحياة . أنا

كمان با أدور على واحة . مافيش غير حسانين باشا هو اللي
بيلقى واحات ، ويمكن كمان الناس اللي لابسين جزم يقدرُوا
يمشُوا ف الرملة أكثر ، أما أحنّا الحفيانين ماشيُو أرنولد وأنت وأنا
، فحقنّا ياندور على دير نسكن فيه يانموت ف نوره ناكل الأشواك
اليابسة ونصهر الحصى المسموم . ياريتها رمل أملس ممدود
للأبدية ، كنا سمعناها نقول خيبة الرجا بقت روتين . لكن دتي ظلط
عارى . أنا شفت حاجة أجذب من الرمل ، ودي الظلط القاسى ،
البازلت اللي أتعصر بعد الطوفان على طول .
كل دى أفكار جت وراحت ف ثانيتين . وأسود منها كمان وجه
وراح ف ثانيتين وأنا واقف ضهرى لهولندا ووشى لضابط الجمرک .
قال لى ع اليمين ، قلت «رايت» .

اليوم الاول ..

قبل ما نركب قطر السهم الذهبى بين دوفر ولندن فتننا على دكتور المينا قام كشف على أسنانا واحد واحد ، غير كدا مالفيناش صعوبة فى الجمر ك ، ان كان معاك خمس شنط يسالك موظف الجمر ك ، «أنت معاك حاجة ممنوعة أو جديدة تقول «لا» يقوم ينقى شنطة واحدة ويخليك تفتحها ويلقى عليها نظرة عامة وأن مالفيناش حاجة ممنوعة أو جديدة يأشر على كل النشاط الباقية من غير ما يشوفها قلت فى عقلى شعب عنده معقولة ، المعقولة دى تحسها لما تقارن الطريقة دى بطريقة الفرنساويين ، مافيش مرة دخلت فرنسا الا خلونى أفتح كل الشنط ، حتى الآلة الكاتبة اللى كنت دايمًا أشيلها معايا ، ويدويك الحق قطر الجنوب بجهد فظيع ومع ذلك فرنسا كان نصفها جواسيس بينما انجلترا ما حدش قال عنها حاجة .

ركبنا السهم الذهبى وانطلق بينا ف وسط الريف الانجليزى . إذا كنت فاكّر رحلات المدارس فى مصر والروح اللى بتسود الجماعة فيها تقدر تعرف حالتى النفسية وأنا ف القطر ، زى ما قلت لك أنا ما كنتش لوحدى . طول الوقت فى قطر بكاليه كنت قاعد

أضحك وأهرج وأتكلم بصوت عالى . كان فيه ناس كثير بيعملوا كده ومافيش حد واخذ باله من حد . حببت أعمل كده ف قطر لندن بصيت لقيت العربية كلها ديوان واحد زى ما تقول الديزل مثلا .. بصيت حوالى لقيت خواجات نضاف فكونى بالمساتر الانجليزى بتوع الثانوى ، كل واحد قاعد ف حاله ماحدث بيكم حد . الى فارد جرنال ، واللى بيضع بييه وعينه شاردة ف المراعى والغيوم الغربية ، واللى مغمض عينيه من غير ما يتفك ولا يفكر . وهنا وهناك كان فيه مرة تخينه لابسة بالطوقطن بقلم وبرنيطة رخيصة بوردة غامقة . كما كان فيه راجل أو اثنين باين عليهم بقالين أو كومسيونجية .. وف آخر العربية قعدت بت حلوة قوى قوى ، ودى أول مرة أشوف فيها الجمال السكسونى الأصيل .. أتلفت ورايا لقيت عيلة بأولادها بيناتها قاعدين ساكتين يبصوا لبعض .. حاجة تضايق بصيت لعمار ققام زغرلى زغرة معناها «أعقل وما تفضحناش» ، بصيت لقدرى لقيت حواجبه بتقول «أقعد على بعضك ، مش شايف الناس هادين» مافيش صوت ف العربية كلها غير صوت العجلات . والنهاية ؟ نهاية الصمت دا ايه ؟ مديت بصرى من تانى واللى شفته ف الأول شفته من تانى . طليت من الشباك لقيت سحب رمادى مفضض . لقيت مراعى منحدره علينا

كأئنا ماشيين ف وادى من وديان الجاريو - الوادى اللى كان
بيقابل فيه اليونورا ، والخضرة زاهية ، أزهى من أى حاجة شفتها
ف مصر ، أزهى من لون العلم بتاعنا وأزهى من الخضرة اللى ف
أناشيد عبد الوهاب . لادى دف جوردون يمكن معاها حق لما تقول
أن ما فيش خضرة أخضر من خضرة وادى النيل . إنما اتهاىلى
ساعتها أن مراعى قلعة كنت دى أخضر من الحشيش المبلول اللى
مشى عليه سيدنا آدم قبل ما يهوى . وف قمم المنحدرات فيه بيوت
صغيرة حمرا مبعثرة سقوفها زى سنام الهجين . وع المنحدرات
شفت خيل حمرا بترعى لونها واضح قوى . بالرغم من الشمس
المحجوبة . وهوا اكتوبر الخفيف المشحون بالندى يمسح خدى
برفق . دى مش المناظر اللى رسمها تيريز .. تيريز ماشافش لون
إلا من ورا قزاز مكسى بالبخار . دى ألوان واضحة زى ألوان
روينز ولا فرمير . دى ألوان واحد مبسوط من الحياة ، واحد
القرينة بتاعته صافية .. واحد شهوانى طروب بيشرب شاي ف
الخلا ويشم السندس البليل ويرقص كل عصرية مع فلاحين القرية
حوالين دابر ويسيب أثر ما يروحش ع الحشيش . دا كله بره
القطر . جوه القطر أبص ألقى الراجل اللى بيقرأ الجرنال لسه
بيقرأ ف نفس الصفحة ويمكن ف نفس الخبر .. والبيه اللى ف يق

جارى البعيد ماتخلصشى أبدا بين بوفر ولندن ، والست التخينة
لسه تخينة والبنت الجميلة لسه جميلة وعمار قاعد سهتان وقدرى
نايم على روحه وصوت العجلات واضح من الأول والتفعية
الخالدة اللى بتفكرك بشعر برايور هيه هيه طالعة من الكرانك
النشيط ومحدث بيكم حد «حسيت» أنى ف انجلترا . تم تى تم ،
تم ت ت ، تم ت ت ت ت تم ، فاعلن ، فاعل مفعول إذا كنت من
دار العلوم ولا قرئت كتاب «الكافى» ، فى علم العروض والقوافى
تقدر تفهم العجلات كانت بتقول ايه .. بديهى أن الراجل اللى كان
فارد الجرنال ماكانش يقرأ لكن بيحلم .. والبيبه اللى بتحلق ف
المجهول لازم كانت بتحل مشكلة زى بيبة شرلوك هولمز .. والبنت
الجميلة لازم كانت بتفكر فى ايد فرنسوا بتضغط ايدها وهم
واقفين بيتفرجوا على فترينات ريفولى . كل الناس باين عليها أنها
بتفكر . أنا أعرف أن الواحد فينا إذا اضطر أنه يقعد ساكت لا بد
يفكر ..

ع القياس دا الانجليز كان لازم يكونوا أكثر شعب بيفكر ،
لأنهم أكثر شعب يستأنس بالوحدة ، والسكون . ع القياس دا كان
حق الانجليز يكونوا أكبر شعب فلسفى أو مغرم بالتأمل .. ومع
ذلك فالانجليز ما يكرهوش قد الفلسفة والتأمل . الانجليزى مع

الاعتذار لكوليريدج - هو الحيوان الوحيد فى صورة آدمية اللى
يقدر يقعد ساكت عشر ساعات من غير ما يعمل حاجة أو يفكر ف
حاجة . افرض أن أنت البقال اللى كان راكب معاينة ف القطر
ومعاك أربع ساعات لحد محطة فتكوريا بشرط أنه مافيش كلام .
تفكر فى أية هاتبص من الشباك وتقول ف عقلك «ما أجمل هذه
المراعى» الله ع الحصان دا لو كان بتاعى . كل غيمة ولها دايير
فضى . الجو منعش زيادة عن اللزوم . أيوة الله ع الحصان دا لو
كان بتاعى، وبعدين تبص جوه العربية وتتصفح كل الوشوش ..
مافيش حد . الراجل اللى قاعد ف الركن باين عليه سمج ..
خلصت الأفكار المباشرة .. ولسه فاضل السكة كلها إلا عشر
دقايق . تبدى تفكر ف المسز والبرنيطة اللى اشتريتها لها يا ترى
مسز بورتر ومسز ويلكنسون وامرأة القسيس اللى ساكن قدامنا
هايقولوا ايه . يا خسارة الفلوس اللى ضاعت هدر . مش يمكن
المسز هاترضى تلبسها لما توصل بوستون . برضه احنا أحسن
من الفرنساويين كثير . احنا محتشمين وهم سايين . أوه يعنى فيه
حاجة أحسن من الروسيف واليور - كشر بودنج قال اسكالوب
قال . قال بينت قال . قال بورديو قال . هو فيه أحسن من بيرة
تولى والحلوة مين عندها صدغ تلبس البرانيط بتاعتهم . شوف

أحنا طوال ازاي وهم قصيرين ازاي . جيمى المغفل ماكنش حقه
يسقط السنة دى . أنا لازم أطلعاه واشغله معاياه فى الدكان . ايه
قائدة التعليم الكثير ؟ التعليم ما بيعلمش رجاله . الركب مع التعليم
والحياة أيوه مدرسة الحياة اللي أنا وغيرى اتخرجوا منها . أنا
مثلا من سن خمستاشر اشتغلت صبي بقال ، وأنا دلوقتى صاحب
بقالة ف سن خمسة وأربعين . ايه يعنى اللي ناقصنى الجرايد
ويقرأها ، أدى لى عشر سنين مافاتنيس عدد من الديلى اكسبريس
والمسز كمان بتقرأ الديلى ميرور .. البار وباروحيه . الكنيسة
وباروحيها كل يوم حد ، وعمري ما غشيت حد ايه بعد كده ؟ كل
اللى بيعرفونى بيحترمونى ، واللى ما بيعرفونيش . أنا عوز ايه
أكثر من كده ؟

مستر تشمبرلين مش قال أن الانجليزى محترم منين ما يروح؟
الحمد لله أن الواحد انجليزى . ازاي سعر البطاطس الايرلندية
نزل الاسبوع اللي فات . أحنا مش قلنا أن الايرلنديين ملاعين ،
وهكذا . أنت ما تقدرش تسمى دا تفكير . أن كان ولايد أنك
تسميه تفكير فهو تفكير بدائى يقدر عليه أى واحد بسيط . أركب
مرة ترسوف سك حديد الحكومة المصرية . تلاقى فلاحين برضه
ساكتين بيفكروا . بيفكروا ف المحصول ف شئون البيت . ف

المستقبل القريب ومع ذلك المصري عشرين . يعنى ساكت صدفه
يعنى لما فلاح جنب فلاح ما يعرفوش ويسأله من الباب للطاق «الا
يا أبو أحمد ، كيلة الدرة فى بلدكم بكام» يجوم يجول له «بستاشر
جرش الأسبوع دا» ويبتدوا يرددشوا مع بعض كأنهم أصحاب من
زمان . الانجليز بأه مايعملوش كده . كل واحد فيهم محتضن ورا
جرنال أو كتاب أو مغمض عينيه بس عشان ما حدش يعكر عزلة ،
بالشكل دا يشعر بأنه ملك نفسه طول الوقت . ودى حاجة مهمة
عند الانجليز .

السبب ف الحكاية دى بسيط وهو أن الانجليزى خليط عجيب
من حاجات كتير تلاقيه مثلا خليط من الثقة بالنفس وعدم الثقة
بالنفس . ف الوقت اللى تلاقيه متكبر جدا ومعتقد تمام أنه
بشخصه وجنسيته أحسن منك ومن غيرك ، تلاقيه ف داخلته
ما عندوش ثقة كافية بنفسه تخليه يكشف لك عن شعوره ومعلوماته
وتفكيره قبل ما يعرفك معرفة كافية . انجلترا جزيرة وكل واحد
انجليزى ف نفسه زى الجزيرة . فيه رابط طبيعى بين الشعورين .
إذا كنت أنت متكبر - صحيح - مش بعبط - تحاول أنك تبعد
مش بس عن الناس إنما عن كل حاجة يمكن تجرح كبرياك .
مناقشة مثلا مع واحد ما تعرفوش ف القطر جاز تجرح كبرياك

إذا ظهر أن اللى بيناقتشك بيفهم أحسن منك . فعلى اية ؟ أبعد عن الشر وغنى له . طبعاً دا مش السبب الوحيد . سبب تانى هو أنك إذا تعرفت بواحد بسرعة ودخلت معاه ف كلام هاتضطر بطبيعة الحال أنك تكشف له عن نفسك . ويوم ما حد يعرف أفكارك ، وأسرارك بديهى أنك تبقى ف قبضة أيده أو ع الأقل نص سحرك يزول زى المرة تفضل سر طول ما هى مكسية ويوم ما تقلع الهدوم بقت زيتها زيك . دا السبب فى الحكاية المشهورة عن الانجليز أنهم لما يتعرفوا جديد مايتكلموش غير عن الجو والرياضة والحاجات اللى لا تودى ولا تجيب ، والحاجات اللى مالهاش دعوى بشخصية الانسان .

بالمناسبة دى ، مرة كنت راكب القطر من كامبردج للندن ، وكان معاه ف نفس الديوان راجل انجليزى باين عليه من رجال الأعمال متوسط الحال . يومها كان اليوم اللى هتتر دخل فيه تشيكوسلوفاكيا . يظهر أن الراجل لما لاحظ أنى أسمر قال فى عقله يا واد جرب يمكن تتعلم حاجة جديدة . طبعاً افكرنى هندى ، على فكره ، ف انجلترا كل واحد أسمر هندى لحد ما يقول أنه مش هندى . بعد ثلاث دقائق لقينا نفسينا بنتكلم عن الموقف الدولى ويظهر أن الراجل دا نسي شوية أنه انجليزى لأنه ابتدا يدخل بصراحة فى السياسة .

كل واحد فاكرا الى حصل . وكل واحد كان له رأى ف الموضوع . بالنسبة لى أنا كان مستر تشمبرلين غلطان ودى كانت فرصة نادرة لاعلان الحرب وسحق المانيا قبل ما تستعد وخصوصا أنه كان لسه فيه معاهدة هجومية دفاعية بين باريس وبراج وموسكو وكان لسه فيه تحالف صغير . كل الناس كانت خائفة من الحرب وصاحبنا دا كان زيه زى بقية الناس المهم أنا قلت له افكر أن ألمانيا أن مالحقوهاش ساعتها هاتبقى حكايتها حكاية طبعا ما صدقنيش لأنه كان من النوع اللى عاوز يشتري السلام بأى ثمن . كمان أضاف لكده أنه برضه يؤمن بتفاهم الانجليز مع الألمان على حساب الروس وأنه لازم يكون فيه كوربون صحى بين غرب أوروبا وبين البلشفية الخ الخ .. وكل الأفكار القديمة العقيمة دى . ما صدقنا وصلنا رويستون نبص نلاقى ثلاث عمال دخلوا علينا الديوان وقعدوا معانا . وعنها وأبص ألاقى الراجل اللى قدامى من سكات سحب جرنال وقعد يتأمل فيه . فهمت أن المناقشة انتهت هنا وسحبت كتاب وقعدت أفكر وراه . السبب الوحيد اللى خلى الراجل يبطل كلام هو وجود أجانف ف الديوان . هو نسي نفسه مرة معايا وفتح حديث غويط من غير ما يعرفنى ، وأظن أنه ماكانش مستعد ينسى نفسه مرة ثانية . آمال

ايه يبقى الفرق بينه وبين الراجل الفرنساوى مثلا اللي يحكى لك عن دخله وغرامياته وخصوصياته من أول قعده .

التحفظ دا - قبل ما نسي - خصلة من خصال الطبقة المتوسطة وطالع بس ف انجلترا . لأن العمال هناك ما يعرفوش يخبوا حاجة . يكلموك من غير معرفة يكلموك ف كل حاجة . ويكلموك ف أى مكان . أدخل أنت بار من بارات العمال تلاقىهم يجروا معاك حديث من الباب للطاق . الستات كمان ما عندهم مش تحفظ . يمكن عندهم تحفظ بينهم وبين بعض ، لكن مش بينهم وبين الرجال ، يوم ما كنت أقعد ف نفس الديوان مع واحدة ست أحمد رينا أن مافيش جرنال أو بيبة يفصلونا والرحلة تقوت بسرعة . والسبب واضح طبعاً . ف الحالة الأولى الانسان اللي مش متعلم لسه ع الفطرة واللى ع الفطرة ما عندوش كبرياء ولا حوادث تبعده عن الناس التانيين لأن الكبرياء والحوادث دي اجتماعية صرف وفي الحالة الثانية الدافع الجنسي الخفى اللي بيسيطر على أغلب تصرفاتنا بيكون أقوى من أى نوع اجتماع عرفى .

أنا برضه أفكر أن لى الحق أنى أحكم على اخلاق الانجليز لأنى احتكيت بيهم .. احتكيت بيهم مش بس ف انجلترا ، ف

القاهرة وف مصر ، وقبل ما أسافر وبعد ما رجعت . طبعاً أنا ظروفى مختلفة شوية عن ظروف ناس كتير لأنى تصادف أنى «باشتغل» طول الوقت مع الانجليز وبحكم عملى مضطر أصاحب انجليز يمكن أكثر مما أصحاب مصريين . فيه واحد صاحبنى كان دايماً يشتكى لى من اللى بيسميه برود الانجليز وابتعادهم ، لأنه كان بيلاقى صعوبة ف أنه يتعرف بيهم . وكان دايماً يقول لى أن سبب الحكاية دى أنهم بيحتقروا المصريين . دا مش صحيح ، لأن الانجليز يحبوا الابتعاد حتى مع بعض . أنا فإكر لما كان يدخل علينا مدرس جديد ف أودة أساتذة قسم اللغة الانجليزية ف كلية الآداب ، كنا مانسألش فيه ، نبقى عارفين أنه هو المدرس الجديد ومع ذلك نسيبه لوحده زى الفرخة الداخلة لحد ما ييجى رئيس القسم ، ويقدمه لينا واحد واحد . نفضل بعد كده أسبوع أو اثنين ما نكلموش غير ف الشغل والحاجات البسيطة وف بعض الحالات الرسمية نفضل نشتغل شهور وشهور . يعنى نستعمل اسم عيلته بدل ما نناديه باسمه الأول مانكلموش غير عن المحاضرات والجدول وما أشبه .

مسألة الموضوعات المسموح أن الواحد يتكلم فيها دى مسألة مهمة جداً . أنا فإكر أن نوية كنت قاعد أقرأ كتاب جنيته وبعدين

طب على واحد ضاحي وف ايده واحد صاحبه انجليزى . متقدم
شوية ف السن . عرفنا ببعض ، وهات يا كلام . من موضوع
لموضوع ، لحد ما ابتدينا نتكلم فى الستات . ونسينا نفسنا
وأتكلما ف تفاصيل عن الستات . كل ده من أول مقابلة وبعد ما
انتهيت المناقشة شعرنا كل واحد فينا ببرود شديد لأنها كانت
غلطة وكان تعليق الانجليزى قبل ما يستأنن «يظهر أن احنا
اختارنا موضوع غريب شوية للكلام ، أنا مش عارف جرى لنا ايه
النهارده .. مع السلامة» ضحكنا وقلنا «مع السلامة» . من يومها
ما قابلتوش تانى إنما أنا متأكد أنى لو كنت قابلته يمكن كنت
تجاهلته ، أوع الأكثر سلمت عليه ببرود . فيه واحد زميل
انجليزى ف مصر اتعرفت بيه ف الاتحاد المصرى الانجليزى وكان
يوم بطاله عندنا احنا الجوز فسهرنا مع بعض . انما يظهر أننا
سهرنا شوية زيادة عن اللزوم . من يومها وكل ما نتقابل سعيدة
سعيدة بس . ما فيش أكثر من كده حسب العادة المصرية السهرة
دى كانت ادعى أن احنا نبقى أصحاب أكثر - لكن أنت بتنسى
أنك إذا انكشفت قدام واحد ضاع احترامك لنفسك وضاع مركزك
عنده . قصدى لحد ما تبقوا أصحاب صحيح يبقى ساعتها مش
مهم أى حاجة . ساعتها تبقى الصلة بينكو مبنية ع الحب المتبادل

وده يعوض الاحترام الى ضاع . إنما ف المرحلة الأولى مادام
الحب لسه ما توجدش يبقى ضياع الاحترام لوحده كفيل أنه يموت
العلاقة . فاهم ؟

التحفظ دا له فائدة ثانية . إنك تقدر تحتفظ بوجدتك لما تكون
عاوز . عشان كده أنا كنت ف انجلترا أسعد منى ف فرنسا أو
مصر من الوجهة دى . تدخل البيت الانجليزى تلاقى الراجل فاتح
كتاب والمرة فاتحه جرنال أو بتغزل أو بتحل تمرين هندسة ساعة ،
ساعتين ، يمكن أكثر ، وأخيرا تسمع المرة تقول للراجل «تحب
أعمل لك فنجان شاي يا عزيزى؟» هنا يبقى مافيش نهاية للثرثرة
بتاعتنا . ف فرنسا كمان كل واحد مستعد يكلمك ف أى وقت .
دا طبعا له مزايا ، إنما أنا أفضل الطريقة الانجليزية .

الاعتراض الوحيد هو أن الانجليز يمكن بيبالغوا شوية ف
التحفظ . يعنى ما تستغربش أبدا إذا اتعرفت النهارده بواحد
انجليزى وقابلته بكره قام ماسلمش عليك . دى حاجة منتظرة
وكمات تسميهاش برود بعد كل الشرح الى شرحتهواك . خليك
أنت كمان مستعد أنك ماتسلمس عليه لأنه هو نفسه ما ينتظرش
منك أنك تسلم عليه بعد أول مقابلة . سيب المسألة للظروف ،
وخليك ثقيل .

احنا فين دلوقت ؟ الدنيا ضلعت شوية شوية ، والسما مطرت شوية ، وقزاز الشباك اتملا بالبخر والدموع ، والبرد عضنى قمت انتبهت . القطر وقف . أوعى تكون نسيت أنى أنا لسه راكب ف السهم الذهبى اللى قايم من دوفر للندن . القطر صفر ووقف . بصيت من الشباك المغيش لقيت ستين يافطة ، اشى مكتوب عليها كولجيت واشى بوفريل واشى بيره سناوت .. وعلى يافطة صغيرة لقيت اسم المحطة : كرويدون . يعنى خلاص بقينا ف لندن : قالوا لى .

بالمناسبة دى افكرت نكتة عن واحد مصرى راح انجلترا وكان كل ما يقف ف محطة يلاقى يافطة مكتوب عليها «بوفريل» قام استغرب قوى وزغد اللى جنبه وقال له : «ما تأخذنيش ، هى كل المحطات اللى عندكوا اسمها بوفريل ؟» هأ هأ . ان كنت أنت كمان مش عارف ايه هو بوفريل تبقى وقعتك سوده .

ودخلنا فكتوريا .

ف محطة فكتوريا لقينا واحد مستنينا اسمه عبد الفتاح أفندى صاحب من الشلة . ودى أول مرة اسمع فيها الانجليزى الأصلى ، الانجليزى الكوكنى ، الانجليزى بتاع لامبث ويولاك ويا ب الشعرية اللى ما حدش يفهمه كان فيه شيالين بينادوا «شيال ، شيال» «بتا

، بتا» دورت ف قاموس معلوماتى مالمقيتش كلمة اسمها «بتا»
كانوا لابسين يونيفورم وييشيلوا شنت وينادوا «بتا» ، وكان
التفسير الوحيد هو أنهم شيالين . مع ذلك خفت انده واحد منهم
يشيل شنتطتى ، مين يعرف يا واد ؟ يمكن تسمع كلمة فارغة ،
يمكن يكونوا حاجة تانية . بس يعنى هايكونوا ايه ؟ وعلى كده
وقفت مبلم اصتنت للكلمة اللي بيقلوها ، وحاطط عيني طبعا على
بقية الشلة أحسن نتوه من بعض وقعه سوده .. وعنهما وابص
ألقى عمار بيزقنى على تاكسى . انحشرنا كلنا فى تاكسى واحد
وبعد كام تانية قمت مفزوع وصرخت «الشنت» قعدوا يضحكوا
على . كتر خيرك يا عبد الفتاح أفندى . اتارى عبد الفتاح أفندى
كان واخد باله من كل حاجة ، والشنت كانت فى ظهر التاكسى .
سقنا ف شوارع لندن والمطر كان نازل بشده . «على فين
العزم ؟» «اسكت ساكت» وعبد الفتاح أفندى قعد يشرح اللي فات
دا البرلمان الانجليزى . أنا مالى ومال اللي فات ، أنا عاوز أشوف
«حاجة» . التاكسى ماشى بسرعة معقولة ، والليل داخل ، والمطر
نسخ شوية النهار اللي فاضله ودخان لندن الكئيب كسى كل حاجة
صفرة كئيبة . أنا كنت عاوز كامل التلمسانى والا رمسيس يونان
يشوفوا لون لندن ساعتها أقله كان فيه خمس ألوان ف الجو

ممزجة بعض ، دا خلاف ظل الغيوم المعكوس ع البيوت الحمرا ،
يئست أنى أشوف حاجة ، ومع ذلك قدرت أشوف حاجة ، ومع ذلك
قدرت أشوف «فالوس» طويل طويل ومتحزم بمطر وصماد ،
قضييب طوله خرافى ف وسط ميدان ، فكرنى بعامود السوارى
وهناك ، هناك على سن العامود ، أعلى من أى حاجة شفتها غير
برج ايفل فيه تمثال راجل لابس سيفه ، داكن ، مطموس ، رأسه
فى السحاب ، ملاحمه مش واضحة صرخت ، «دا لازم ميدان
الطرف الأغر ، والتمثال دا لازم بتاع نلسون» الجماعة أندھشوا
لأن عبد الفتاح أفندى قال أن الكلام دا صحيح . «أنا عرفته لأنى
شفت صورته ف القراءة الرشيدة لما كنت فى ابتدائى» . التاكسى
قرب يلف حوالين الميدان ويفوته . بحلقت بشدة فى التمثال يمكن
اشوف إذا كان معمول بعين واحدة زى صاحبه ولا لا . مافيش
فأيدة هانشوف ايه وتخلى ايه .. زماننا بقينا ف اكسفورد
ستريت . المتحف البريطانى ف الضلمة . رسل سكوير . ايوع
رسل سكوير وبيدفورد بليس . وهوب فرامل .

دخلنا اللوكاندة - ميرز هوتيل - مبلولين . أبص حوالى ألقى
فسحة كبيرة مكسية وف آخرها سلم عريض يطلع ع الدور الأول .
أبص حوالى ألقى خدامين لابسين يونيفورم بالتاكيد أنصف منى

. بقيت مكسوف من نفسى . واحد منهم كان ولد عمره حوالى ١٧ سنة شكله جميل بشكل : العيون النوردية الزرقا إياها وشعر أشقر لاتينى وشفاف خفيفة ناعمة كأنه كيوييد كبر شوية . كل مرة أكلمه اتجلج . أنا جاى منين ؟ حتى ما أعرفش أكلم خدام . الولد كان من ناحيته بيعمل المنتظر منه «أقدر أساعدك يا سيدى؟» «متشكر» رحت مناولة البالطو والبرنيطة . «أقدر أخذك لاودتك يا سيدى؟» رحت مسلمة نفسى يعمل فى ما هو عايز . أخذنى ف دهايز وطفن وحواديات وف الآخر أقيت نفسى قاعد ع السرير هلكان ببذلتي المرشوشة . «تقدر تطلع على بدلة ناشفة من الشنطة ..» وكنت على وشك أنى أقول «يا سيدى» ويعبدن افكرت أنه المفروض أن أنا السيد . «تقدر كما تجهز لى حمام سخن من فضلك ؟ » .

نزلت الصالون نضيف وحالق وشيك وقعدت على فوتيل بعيد وقعدت أفكر أنا السيد هنا هاهاها أنا مين ؟ واشمعنى مافيش سبب غير أن ف جيبى عشرة شلن لصاحب اللوكاندة أكل منها وأنا وأخذ حمام منها وبيسهر على خدمتى ثلاث خدامين جرسونات لابسين سموكن والمتردوتيل لابس قراك وتبتسم لى الأنسة اللى قابعة وراء المكتب . ويجى سيد لابس ملابس

التشريفه أصلع وشه ييلمع يفرك ايديه ويقول لى «أتمنى أن سيدى
يكون مبسوط» ، ولو كان فرنساوى كان يخاف منى لدرجة أنه
يخاطبنى بضمير الشخص الغائب .

على ايه دا كله ، على عشرة شلن ف اليوم . ما أسهل الحياة
مغفل مين اللى ما يقدرش يكسب عشرة شلن ف اليوم .
ياللسخرية .

غمضت عينى وناديت ف سرى الولد الجميل اللى واقف ف
ركن الاودة الثانى وقل له «جيمس» ، أنت مغفل كبير لأنك
ما بتقدرش تكسب عشرة شلن ف اليوم . أنت مغفل كبير لأنك
واقف تنحنى لكل بأف داخل وكل بأف خارج وبتشتغل ببطنك أنت
مغفل لأنك ماشتغلتش وسيط فى نادى ليلى أو جيجو لو ف مرقص
عشان تكسب ثلاثين شلن ف اليوم وأجرك مضمون ع الستات
اللى بتخدمهم . بتقول لى واشتغل ازاي شغله مريحة من غير
رأسمال ؟ رأسمال دى كلمة مالهاش وجود .. عندك شغلة من غير
رأسمال . الوساطة مش عاوزه رأسمال البلطجة مش عاوزه
رأسمال . النصيب مش عاوز رأسمال . الأكل مش عاوز رأسمال .
السياسة مش عاوزه رأسمال . روح يا جيمس واقف ف هايد بارك
بدل ما أنت وقف ف ميرز هوتيل وقول ليسقط الألمان ، أو ليحيا

العمال ، أو أى حاجة . يمكن تتحبس ف الأول ، لكن أؤكد لك أنك بعد خمس سنين هاتضمن معاش سنوى أقله ألف جنيه . أنت مش عاوز رأسمال يا جيمس ، أنت عاوز قلب . روح لساحر ميونيخ يركب له قلب . أنت مش عاوز رأسمال يا جيمس ، أنت عاوز صدغ . روح لمستر روبرت تايلور يسلفك صدغه . ايه الفرق بينك وبين رويسرت تايلور ؟ هو مش أحلى منك ، هو مش ممثّل أكثر منك . بس هو صدغ وأنت مغفل . هو يبيع شفايفه عشرين مرة ف السنة لمستر صمويل جولدوين - الوسيط الأكبر - ويوس له عشرين بوسه يقبض عليهم حفن ، وأنت تبيع كرامتك ووقتك وكل جسمك لليهودى الأصلع اللى لابس هدوم التشريفة ووشه بيلمه بس عشان تملأ بطنك . روح يا جيمس أنا زعلان منك .

مين المغفل دا اللى ما يقدرش يكسب عشرة شلن ف اليوم ؟ فتحت عينى ، وقيلت الأمر الواقع ، أنا هنا قاعد ع الفوتيل وجيمس هناك واقف ف ركن الاودة . طلعت سيجارة لقيت جيمس جاي جري عشان يولعها لى . قبلت الأمر الواقع .. الأمر الواقع .. الأمر الواقع دلوقتى غير الأمر الواقع حاجة مالهاش دعوى لا بالعدل الاجتماعى ولا بالمنطق ولا بالتفكير السليم . الأمر الواقع أن دلوقتى لما با أخش على رئيسى دلوقت باجتهد أنه يكون على

راسى طربوش .. مين يعرف ، يمكن جيمس بقى زمانه صاحب
اللوكاندة اللى كان بيشتغل فيها . خلىنا ف الأمر الواقع اللى
نعرفه .

اللى نعرفه هو أننا بعد العشا مباشرة أخذنا عبد الفتاح
أفندى ونزل بينا تحت الأرض عشان نركب الترمواى . كل
التراموايات ف لندن وباريس تمشى تحت الأرض وعشان كده
بيسموها بكل بساطة اندر جراوند الضواحي افترس لسه
ترمواياتها زى ترمواياتنا أنا ما أقدرش أوصف لك التأثير العميق
اللى سابه الأندر جراوند ف نفسى . نفس الفكرة عجيبة . أنا
شخصيا .. افترس أن المصريين حقهم يسافروا بره مخصوص
عشان يشوفو المترو اللى تحت الأرض زى السياح الأمريكان ما
بييجوا هنا عشان يشوفوا الهرم . يمكن كمان تفتكر أن المترو
بتاع لندن أهم واعجب من هرم خوفو وقصر اللابيرانت والتماثيل
اللى بتغنى ف الصبح مع بعض . المدة قريبة كنت أنا والاستاذ
عبد فراج المدرس بالمدارس الثانوية بنحكى لبعض عن ذكريات
أوروبا قام قال لى أنه أول يوم نزل بباريس سأل واحد ازاي يقدر
يوصل للحى اللاتينى قام قال له ، «تاخذ المترو من هناك» وراح
مشاور له على حته من الشارع وسابه . قام صاحبنا مشى لحد

هناك وفعلًا لقي يافطة كبيرة مكتوب عليها «متروبوليتان» يبص
تحتة يلاقى سلاّم تودى تحت الأرض ، أم افتر أن دى مراحىض
زى الكابينيات اللى عملتهم محافظة مصر تحت الأرض ف العتبة
الخضرا وميدان الاسماعيلية . يبص ف الشارع يلاقى مافيش
شريط . يبص فوقه يلاقى «متروبوليتان» . قال ف عقله يمكن يا
ودا المترو بتاع باريس مالوش قضبان . يمكن يا واد اتوبيس
طويل ومسمينه مترو .. ويستنى ويستنى . أن حاجة تجى ما
فيش . قال لى أنه قعد نص ساعة منتظر لحد ما طلعت روحه
ويعدين وقف واحد ف الشارع وسأله «تقدر من فضلك تقول لى
المترو فين» الراجل بص له من فوق لتحت - حكم الفرنساويين دول
خلقهم ضيق - وشاور له ع اليافطة «أمال دى ايه ؟» أنا أدى
لى ساعة مستنى والمترو ماجاش ، وهو بيحى كل قد ايه ؟
الراجل أدرك الغلطة ، وفهم أنه غريب ، وضحك شوية وسحبه من
أيده ونزل بيه تحت الأرض وقطع له التذكرة وزوده بالمعلومات
وسابه .

يمكن أنت تقول طيب دا صاحبك دا لازم كان غبى . أقوم أقول
لك أن صاحبى دا كان أول البكالوريا فى القطر كله وأغلب مراحل
الدراسة بتاعته . على أى حال كان أول على أنا ف الجامعة لما كنا

ف اعدادى سوا . أن كان دا مش دليل فدا من كتر ذكاؤه
اتخصص ف الفلسفة وهضمها أكثر من أى واحد تانى ف
عهدنا . إن كان برضه لسه عندك شك فأنا اعتقد أنه من أذكى
الناس اللى قابلتهم ف حياتى ، ويمكن مافيش ميتين منه ف البلد
كلها . معنى كده أنه أسهل على الإنسان اللى ذهنه خالى أنه
يتصور مترو من غير شريط من أنه يتصور مترو يمشى تحت
الأرض .

أنا كنت دايمًا با أقول للناس اللى بيسألونى عن لندن أن أهم
حاجة فيها الاندر جراوند . أهم يمكن من المتحف البريطانى
وبالتأكيد أهم من البرلمان الانجليزى أو من كاتدرائية سانت بول ..
وأهم حاجة فى الاندر جراوند هى الاسكالياتور . الاسكالياتور دا
يطلع السلم الميكانيكى . ف باريس ينزلوك تحت الأرض غالبًا فى
أسانسير ، أما فى لندن فحضرتك تدخل المحطة تلاقى سلم
مكشوف منحدر غويط قوى بينزل ببطء تقف عليها يقوم ينزل بيك
درجة درجة أن كنت مستعجل تقدر تجرى عليه لتحت . وأنت طالع
من تحت الأرض . برضه فيه سلم ميكانيكى يطلع بيك درجة
درجة وتقدر أن كنت مستعجل ترمح عليه لفوق . وألذ منظر بقى
ف المحطات الكبيرة لما ليقوا السلمين موازيين لبعض ونازلين

لعمق ستين ياردة وتلاقى ناس ثابتين بعضهم طالع وبعضهم
نازل .. يبقي منظر لطيف ، وألف منه الشعور اللي بيحبك
ساعتها .

أنا لسه عند رأيي ان الاسكاليطور ألد عندي من الدستور
الانجليزى .

شهر العسل في المتحف البريطاني

كان المفروض أننا نأتى يوم الصبح نقدم أنفسنا لمكتب البعثات .. وفعلنا رحنا وستمستر حوالى الساعة عشرة .. افكر أنه كان يوم سبت لأنى فاكسر أن تانى يوم البنك كان قافل .. طلعتنا ف كلارنس عاوس لقينا الياطرة ، دخلنا ، لقينا ثلاثين طالب ف أودة الانتظار .. قالوا لنا رنوا جرس ف الحيطه رنينا جرس ف الحيطه ، انفتحت كوه وطل منها راجل ، قال «أفندم» بالانجليزية طبعاً ، قلنا عوازين نقابل مستر وطسون «مدير مكتب البعثة أيامها» ، قال أملوا الورق دا . ملينا الورق دا بالأسم والغرض من الزيارة ، خذ الورق وقفل الكوه وبصينا لقينا أنفسنا مرة ثانية ف وسط الجمهور .

الحاجة اللى كانت شاغلة تفكيرى ساعتها هى الحصول على مرتبى عشان ادفع الفواتير وازق على كامبريدج تانى يوم .. كل دا والأفندية اللى حوالى قاعدين يكلموا كلام غير متصل .

- أنا قلت لصاحبتى أنى ها أسيب ٢١ كامبريدج تراس . إذا كنت عاوز تعزل الحق خذ محلى قبل ما يسكن ..

– أنا قلت له أنى ما قدرش آخذ امتحان يونيو لأنى كنت لسه عامل عملية .. الى حصل بقى .

– دا تالت مشوار أعمله من مانشستر ، يا أخى مطر ايه دا .
وغيره وغيره : واتفحت الكوه وبص الراجل من جوه وقال :

– دكتور حسام منتظر مستر عوض ..

الكوة اتقفلت .. وجا شاب انجليزى ومشى قدامى لحد أودة صغيرة وأعلن اسمى وانصرف .. لقيت نفسى قدام دكتور حسام .. راجل أربعينيش (ولا مؤاخذه قصدى حوالى أربعين سنة) ، برضه ضخم ، شنب أسود غزير ، نضارة برضه تخينة ، فرى كايئد .. يظهر أن مستر واطسون كان مشغول جدا بدرجة أنه ما قدرش يشوفنى .. قلت بمنتهى الاختصار كائنى باكم موظف ف شركة شل وقته ثمين .

– أنا اسمى عوض ، وصلت امبارح ، مبعوث كامبريدج ، عاوز أسافر بكره وعاوز الشيك بتاعى قبل البنك ما يقفل ..

– أهلا وسهلا ، اتفضل يا أستاذ عوض استريح عقبال ما أدبك الشيك بتاعك .. مادمت مستعجل خذ دلوقت العشرة جنيه المخصصة للكتب لحد ما نحسب حسبتك بالضبط .. وماكدبش خبر ، راح صاحب دفتر الشيكات وف دقيقة ونص بصيت لقيت

نفسى عندى عشرة جنيه .. وف دقيقة ونص كمان دخل عند مستر
واطسون ومضى الشيك .. وف دقيقة ونص بصيت لقيت نفسى ف
تاكسى ويا لله على البنك الأهلى المصرى ف كنج ولیم ستريت .

كنت خايف أحسن دكتور حسام يقول لى هات واحد يضمك
أو ورنى الباسبور بتاعك لأنى نسيت الباسبور ف اللوكاندة لكن
جت سليمة . وف البنك قدمت الشيك للموظف وقلبي بيرجف أنه
يرجعنى فاضى .. لكن برضه جات سليمة حتى ما بصش ف
خلقتى أخذ الشيك من سكات وعطاني الفلوس من سكات وخطيتها
ف جيبى من سكات وركبت تاكسى من سكات وقعدت أفكر . دى
بلد جميلة دى اللى كل واحد فيها بيستأمن التانى .

كل دا أخذ وقت طبعاً . وعقبال ما وصلت تانى مكتب البعثة
عشان أتكلم ف مسألة سفرى لكامبريدج لقيت دكتور حسام خارج
من الباب مع الأستاذ شفيق حسن .

حسام الدين : احنا شطبنا خلاص ، أبقي تعال يوم الاثنين .
حسن : على فكرة يا عوض ، احنا وصلنا الجواب من
كامبريدج بيقول أنك وصلت متأخر يوم واحد على ابتداء الفصل
الدراسى فمش ممكن يقبلوك قبل يناير .

وسابونى ومشيوا . يا خير اسود وبعدين ؟ ايه العمل ؟ مرحب
يا بوعرب بدون كيشوت الهمام ف وادى الطواحين . تقولشى دراع
طاحونة طويل خبطنى ف صدغى . دماغى لفت . فجأة بصيت
لقت نفسى بمفردى ف ماكروكوزم مالوش نهاية . أروح فين ؟
أرجع اللوكاندة ؟ أنا جعان ميت من الجوع . لازم اتغذى قبل أى
حاجة . تعبت من الوقفة . لازم أمشى . بس ف أى اتجاه ؟ أنا
شايف وستمنستر أبى من هنا . طيب أروح هناك أعمل ايه ؟
الشارع دا مكتوب عليه سانت جيمس ستريت أو حاجة زى كدا .
سألت واحد قال لى أن دا يودى لمحطة فيكتوريا . امشى ٢ دقائق
يمين ، ارجع ٣ دقائق شمال . أنا عاوز أعمل ايه بالضبط ؟ أنا
عاوز أكل . سورى . اتطصيت ف واحدة . وآكل فين ؟ أى بيع
بورباردون . كمان واحدة . يا سلام الخلق اللى كانوا حوللى .
تقلش نمل . سبعة مليون نفس ف لندن وأنا مليش صاحب واحد
ف الناحية الثانية من الشارع فيه محل مكتوب عليه «غدا»
ومرسومة قطعة سودة . أروح والا ما أروحش ؟ «سورى» اتطصيت
ف .. عمود نور .. كل ما أشوف الناس حوالى كتار يشتد شعورى
بالوحدة . نزلت على كآبة شديدة . حسيت أنى أتعس مخلوق على
وثن الأرض . لا . مش ممكن أدخل الرستوران دا .. أنا أسمر .

مين يعرف إذا كانوا بيدخلوا السود . يمكن أسمع كلمة باردة . ع
الأقل كل الناس هاييصولي مش ممكن أخش الرستوران دا . الله
دا صحيح أنا أسمر ومش بس الرستوران ما ادخلوش الشارع
كمان مش لازم أقف فيه . أقدر أمشي معلش ، لكن وقوف لا «فيه
هندي ماشي هناك اذن أنا اقدر أمشي . لكن الهندي ماشي في
حالة ومحدث واخذ باله منه . أنا مش لازم أقف حتى المصري
مش لازم يقف . قصدي احنا سبعتاشر مليون . اتهاى لى أن
الشاب الطويل اللي جاي على دا بيتفحص في ابن الكلب دا .
أخبي وشي ولا بلاش ؟ وأخبيه ازاي ؟ فانت واحدة حلوة قوى -
وبصت لى . لازم بتبص لى لأنى أسمر . الراجل لما يبص لما
يخلق نقدر عليه لكن العنين الحلوة دي ، واحسرتها ، دب الخدر
ف جسمي كائن شربت رحيق الزعاف . عرفت ، عرفت وجريت
أعدى الشارع بين الاتومبيلات لحد ما دخلت محطة الاندر جراوند
الزرقا واتسندت على الترابزين .

لازم أروح

لقيت يافطة مكتوب عليها «شباك تذاكر» وراجل جوه اليافطة
ياخد فلوس ويقول «كيو ، كيو» ولقيت طاير ناس فائتين بالترتيب
ع الراجل ياخدوا تذاكر ويقولوا «ثانكيو ، ثانكيو» . حببت

أختصر السكة جيت ف أول الطابور وقلت للتذكري ، أقدر ..
«راح مزعق فى وقال» تقدر تستنى دورك ف آخر الطابور» دخت
شوية واتراجعت ببطء . وفعلًا وقفت ف آخر الطابور . جاء الدور
على مديت ايدى بنص كروان وقلت «أقدر أروح رسل سكوير من
هنا» . «طبعًا تقدر تروح أى حته أنت عاوزها من هنا ، بس غير
ف تشيرنج كروس . «ثأنك يو .» وخرجت ولفيت ونزلت السلالم
وابتديت اسأل الناس «أنا عاوز أروح تشيرنج كروس» خد
الرصيف دا من الناحية الثانية» . غير «عاوز أروح الرصيف اللى
ع الناحية الثانية من فضلك» . «ماتروح ، حد مانعك» وسابنى
ومشى .. غيره .. ؟ ازاي اقدر أوصل الرصيف اللى فى الناحية
الثانية من فضلك» «خد النفق اللى هناك . هناك . هناك مش ممكن
تتوه» مشيت ف اتجاه صباعه لآخر الرصيف . لقيت نفق صحيح ،
دخلت النفق ، لقيت نفق بيت جحا حيطانه صينى . داسهم بيقول
٣ ، ٤ ، ٥ ودا سهم بيقول ٦ ، ٧ ، ٨ ودا سهم بيقول فيكتوريا
ووستمنستر ووترلو وتشيرنج كروس ولستر سكوير وكوفنت جاردن
دا سهم ما أعرفش ايه وايه . دا سهم تانى ودا سهم وهكذا . نور
أصفر تمشى عليه ، نور أخضر تتبعه . حاجة تلخبط والناس
: ماشية بسرعة . ما صدقت لقيت يافطة مكتوب عليها تشيرنج

كروس رحت داخل ف النفق بتاعها ولقيت نفسى على رصيف
وبعدين جوه قطر وبعدين محطة وبعدين محطة وبعدين محطة
ومحطة ومحطة ، وأنا كل مرة أبص من الشباك على اسم المحطة
مافيش تشيرنج كروس . حتى المحطات اللى قررتها مكتوبة ف
النفق لما كنت ف محطة سانت جيمس مافاتش على واحدة منها .
ارتعبت وسألت واحد جنبى : «أنت أخذت الخط الغلط . انزل ف
المحطة الجاية وخذ القطر اللى بيمشى بالعكس» .

نهايته ما أطولش عليك . نزلت وسألت وركبت . زى يوليوس
قيصر ماجا وشاف وقهر . ونزلت وسألت وركبت . أه ياتشيرنج
كروس . لازالت بفؤادى منك غصة . الجوع والغربة وتشيرنج
كروس . أنا ها أحلم الليلة بالتذكرجى بيقول لى غير ف تشيرنج
كروس . ثلاث ساعات أتوه تحت الأرض زى الناس اللى بيحكى
عنهم هـ . ج . ولز ف رواية «الة الزمن» لحد مانسيت أنى من
سكان هذا الكوكب . أنا حشرة جعانه ، أنا فار هلكان ف مصيدة
أنا مورلوك ، أنا غريب مقطوع ، أنا الموكوس اللى ما عرفش يأخذ
تاكسى بدل الشحطة دى كلها . ثلاث ساعات تحت الأرض لحد
ما تعودت ع العالم السفلى . أيوه ، أنا أورثيوس ف العالم
السفلى بيدور على تشيرنج كروس .

بعد ثلاث ساعات وصلت رسل سكوير ، ودخلت الاسانسير مع الناس اللى داخلين وأنا خايف طول الوقت . ازاي ها أقابل لندن الكبيرة ؟ أنا لويس الفار وقفت على عتبة المحطة من جوه ومديت رقبتي أتفرج ع العالم اللى بره المصيدة . لقيت البيوت الحمراء القصيرة ف وشى والهوا نفسه «مش السما» داكن زى ما تقول لسه مامطرتش ، لأن الشمس التعبانة اللى كنت سببتها ف وستمنستر راحت تنام ورا الأفق ما أعرفش والا ورا الغمام أدى لندن وأدى تانى طاحونة تضربنى ف راسى ف أول يوم ف حياتى الجديدة .

خرجت من المحطة ألهم . أنا كنت عارف أن اللوكاندة بتاعتي كانت مسافة دقيقة ونص مشى . ومع ذلك جريت ودخلت ف تاكسى واترملت لورا وقلت للسواق ، «ميرز هوتيل ، بدفورد بليس» . الراجل بص لى ويحلق كأنه بيخاطب معتوه . شاور لى ع الحوادية الثانية وقال لى «دى بدفورد بليس يا سيدى ، دى تمشيها ف دقيقة» لا يا أفندم . لا مش ممكن أنزل . أنا قعدت ثلاث ساعات تحت الأرض ودا كفاية على النهاردة . باب اللوكاندة .. لازم أنزل أمام باب اللوكاندة . لازم أقرا الياقطة بنفسى قبل ما أنزل تعرف لما تقول لى ها أخطى الشارع بس . لازم أخطيه ف

تاكسى . كفاية الى حصل . قلت له «أنا عارف أنها قريبة . سوق
مالكش دعوى . أنت مش ها تاخذ فلوس ؟ سوق . أصل الحكاية
أنا تعبان .» التاكسى وقف والسواق نزل وفتح لى الباب وأعلن
بصوت عال «ميرز هوتيل ، سير» كملت الجملة وأنا با أنزل
وأضلت «عايز كام» «٩ بنس ، يا سيدى» . عطيته شلن وشكرته
وشكرنى ودخلت بيتى واترميت على فوتيل .

بعد ما استريحت قعدت اتبطر . ابن الكلب ٩ بنس ف
خطوتين . يعنى كام يعنى تلاته صاغ وستة ملیم . دا لازم قال لى
٩ بنس عشان أديله شلن : بعد كدا طبعا فهمت أن ٩ بنس دى
الحد الأدنى للكروب وتخلص أفكر بعد أول ميل وبعد كدا فيه
تعريف تانية أفكر تلاته بنس عن كل نص ميل . يعنى تركب
خمس ياردات زى ما تركب أول ميل . بعد كدا طبعا قدرت أفهم
الأمانة العظيمة اللى ف الشعب الانجليزى إذا قارناه بشعوب
كثيرة تانية . لو كان الفصل دا حصل ف باريس كان الشوفير
ضحك لك ضحكة عسلية وضحك عليك ضحكة أصلية وقال لك «وى
مسييه ، وى مسييه» . وطلع بيك من محطة كلونى ع البول ديش ع
كورنيش السين ع كويرى اسكندر الثانى وفسجك ع الكونكورد
شوية ويمكن وقف بيك شوية قدام أعمدة كنيسة المادلين وقال لك

«تأمل ياسيدى شوية معجزة الفن الجميل ، تأمل ياسيدى معبد السيدة الخاطئة» ،وسيدى يتأمل العداد بيشتغل ، عشرة فرنك ، ١٢ فرنك، ١٥ فرنك ، وبعدين راح لافف بك ورا التويليرى واللوفر وهوب شارع سيبياستبول وراح كاسر بيك ع البول ميش من الناحية الثانية ورابط بك قدام الأوتيل دى فرانس بتاعك ف شارع المدارس.

لكن أحنا ف لندن دلوقت ، وأنا لسه ع الفوتيل بادعك صدغى مطرح ماضربتتى دراع الطاحونة ، وياشرب الشاى وبأبلغ الكيك من غير مضغ . ياسلام ع الجوع . صدق الى قال الجوع كافر . قعدت أكر ف حوادث اليوم ، وبالأخص ف ضربة الطاحونة الأولى. ها أبقى ماليش شغل لحد يناير . شوف النظام يا أخى . دخل على عمار وبقية الشلة .

- أنا مسافر مانشستر بكره . أنت كنت فىن ؟ أتخطينا عليك، عمار قال : فيه حاجة ف انجلترا ، ما أعرفش أية هيه . تعلمك فضيلة الصمت وقلة الكلام كمان لابد التعب هو اللى منعنى من الشكوى . قلت .

- أبدا . رحت صرفت شيك الكتب من البنك الأهلى ولفيت شوية ، وأدينى أهو . قول لى . أحنا حسابنا إزاي ؟

حكم عمار هو اللى كان بيدفع كل المصاريف المشتركة أثناء
السفر ف باريس وف السكة شيلة . شنت . أحيانا شكوكولاتة .

- وأنتوا أيه حكايتكو ؟

قدرى : أنا قاعد ف لندن ها أعزل لبانسيون لأن اللوكاندة
غالية .

مندور . وأنا مسافر ريدنج النهارده بالليل .

زينب الشعرانى : وأنا مسافرة برستول بكره الضهر .

الله . يعنى ماحدث هاپستنى هتا غيرى . حسبت المسألة مع
قدرى طلع صحيح أن اللوكاندة غالية قوى . اللبانسيون المتوسط
بخمسة وعشرين شلن نوم وفطور في الأسبوع يعنى بمتوسط ثلاثة
شلن وستة بنس ف اليوم . إذا كان كده مش ضرورى الواحد
يصرف سبعة شلن كمان ف الغدا والعشا . أربعة شلن كفاية قوى
. يعنى فيه وفر جنيه تقريبا ف الأسبوع يعنى أربعة ف الشهر .
مش بطالين . أدينا طلعتنا السجائر والسينما . مادام أنا مضطر
أستنى ف لندن لحد يناير إذن لازم أفكر ف الاستقرار من دلوقت .

- تعرفش ياقدرى بيت من البيوت اللى بتحكى عنها ؟

- لا والله . أنا معايا عنوان واحد بس . ودا ف الضواحي

كمان .

المعجزات ف العادة ما بتتزلش غير ف الساعة الحادية عشرة
زى ما بيقلوا الانجليز ، قصدى قبل وقوع الكارثة أو فوات الوقت
بفرصة قليلة . كنت على وشك اليأس وعلى غفلة ألقى العنوان
الى كنت سمعته ف مكتب البعثات النهارده الصبح يعوم ف مخى
زى شطرة شعر أتجمعت كاملة .

– أنا قلت لصاحبتى إنى ها أسيب ٢١ كامبريدج تراس . إذا
كنت عاوز تعزل الحق خد محلى قبل ما يسكن .

مش بس صوت أتردد ف مخى وهو بيقول كدا لصاحبه ، أنما
شكله كمان أفكرت وشه الأصفر وأصداغه البارزة والغباوة الى
ف عينه والسماجة الى ف حركاته .. طبعاً أنا كنت جديد ساعتها
وماكنتش عارف أن مسألة السكن دى من أسهل مايمكن .
ماكنتش عاغرق إنى أقدر أشتري أى جرنال وأشوف الإعلانات
الى فيه وأختار السكن الى يناسبنى بالمناسبة دى فيه تلامذة كتار
ف البعثات كنت لما أقابلهم وأكلمهم أستغرب إزاي الحكومة تبعت
واحد زى دا بعثة .. حتى الذكاء الفطرى – سيبك من العلم –
ماكانش متوفر فيهم .

الذكاء الفطرى الى بيلمع ف عينين خمسين ف الميه من
الأطفال الى يبيعوا يانصيب ف مصر ويشعبطوا ع الترمواى

من الشمال . كان حقهم مش يعلموا لجنة استشارية للبعثات إنما
لجنة للكشف ع ذكاء أعضاء البعثات قبل ما يسافروا .

مش كفاية أن واحد يتعلم مبادئ الخط المسماري أو يعرف
حاجة من الألواح الأثني عشر ف مصر يقوموا يبعثوه بعثة عشان
ما فيش عشرات من الدكاترة والمهندسين بعضهم نجحوا ف
الحصول على درجة يعنى برضه شطار ، ومع ذلك كان تفكيرهم
خارج عملهم زى الجزمة تمام .

«الحق قبل ما يسكن» «الحق قبل ما يسكن» . أبتديت أفكر
بصوت مسموع .. «الحق قبل ما يسكن» . قدرى سمعنى وقال
بتقول ايه .. ايه اللى يسكن ؟ «أبدا ، دا عنوان بيت أفتكركته
دلوقت وخايف إنه يطير منى .» قام ضحك بعبت وقال لى «طيب
يالله الح قبل ما يسكن» .

- جيمس ، تقدر تقول لى كامبريدج تراس فين ؟

- برضه بعيد .

- يعنى قد ايه ؟

- تلت ساعة بالأوتوبيس .

تصور انى ساعتها سألته عن نمرة الأوتوبيس وكنت عاوز أنزل
وابتدى أنور ع البيت الجديد ف المغرب بعد ثلاث ساعات .

من التوهان تحت الأرض . أنا لازم مجنون . لكن ف الوقت دا
كان عمرى تلاته وعشرين سنة وكنت مليان حيوية ، الحيوية اللى
قعدت معايا من سن اربعتاشر لسن خمسة وعشرين ودلوقت با
أشعر أنها سايبانى . مسألة الحيوية دى مسألة مهمة جدا واذا
كنا بس نتنبه لأن الحيوية بتفارق الإنسان بعد سن معين كنا نعمل
حسابنا أننا مانضيعش دقيقة واحدة طول ما لسه عندنا نشاط ..
ف حالتى أنا لاحظت أنه ف الكام شهر الأخيرة لى ف انجلترا ،
بالأخص بين فبراير ويوليو سنة ١٩٤٠ ، إنى مش أقدر اقرأ ، أو
أبحث، وأن قرئت أو بحثت بنفس مسودة أتعب قوام، ما أقدرش
أحصر تفكيرى ، مش سهل على إنى ابتدى القراءة ، أتللك على
أى حاجة عشان أسيب الكتاب ، وهكذا .. ابتديت أحس إنى مش
سعيد . المهم إنى ف سن خمستاشر كنت با اقرا عن كيتس
وازاى مات سن خمسة وعشرين سنة ووليم بت ازاي بقى رئيس
وزارة وهو يدويك فوق العشرين ومصطفى كامل .. و... و .. فكان
طالع ساعتها ف دماغى أنى واصل لأعلى مركز ف سن خمسة
وعشرين وبعد كده اضرب نفسى رصاصة . دا الرومانتيزم بتاع
اليفاعة فى العصر الذهبى . أيبنى عدت الخمسة وعشرين بستتين
وأنا لسه با أشتغل ف كلام فارغ . ولما أقارن شغلى دلوقت

بشغلى سنة البكالوريوس أو حتى بشغلى ف سنة ٣٨ و ٣٩ ف كامبريدج لازم اعترف إنى فقدت نص نشاطى . أنا سألت ناس كتير عن مسألة النشاط دى ويعدين قالوا لى أن دى ظاهرة عامة يشترك فيها أغلب الناس قصدى نضوب الحيوية بعد سن خمسة وعشرين .

زى ما با أقول لك ، أنا فكرت إنى أسيب اللوكاندة بعد الدوخة الجامدة دى وأدور ع العنوان اللى افكرته . لكن الجماعة عقلونى لحد تانى يوم . وفعلًا تانى يوم صحيت وخرجت وسط المطر الشديد بعد الحصول على كل التعليمات المطلوبة .. صحيت نشيط وقلت ف عقلى يا واد مادام أنت ناوى تقعد ف لندن فبلاش تاكسيهات وتتوه تتوه ، كله اختبار . قالوا اركب اتوبيس كذا من محطة يونسون . المطر خف شوية . قلعت البرنيطة .. لقيت راجل أحمر .. وشه أحمر غريب .

– من فضلك محطة بوسون فين ؟

– هو هو هو .. أنا رايع هناك ، خليك ويايه .

– متشكر .

– أنت هندى ؟

– لا ، مصرى .

- هو هو هو ، أنا أحب مصر قوى .
- أنت زرت مصر ؟
- هو هو هو ، قرئت عنها ف المجلات .
- لازم تروح يوم من الأيام .
- اللى يقدر يروح كان راح ، يا ابنى عجزت . عجزت يا ابنى . هو هو هو ..
- ما تأخذنيش . أنت أول انجليزى شفته بيضحك ف لندن .
- سألنى أمتى جيت . قلت له . سألنى إذا كنت تلميذ . قلت له .
- وبعدين قال لى .
- حذر ، أنا جنسيتى يه .
- انجليزى طبعا .
- الراجل ضحك شوية وزعل شوية .
- ازاي تقول عليه انجليزى بقى أنا شكلى انجليزى ؟ بقى أنا
- طبعى انجليزى ؟
- انكسفت ..
- لا ، لكن لغتك انجليزية سليمة . أنت ايه ؟
- مش ها أقول لك ، مادام أنت عملت الغلطة دى .
- أنا أسف .

– أنا بلدى جميلة

، مش كلها دخان زى دى .

– أنا آسف .

– أنا بلدى متمدنه . مش بلد استغلال زى دى .

– أنا آسف .

– احنا نكرم الضيف . مش زى الشعب البخيل دا .. تعال كدا

عندنا وشوف نعطك على راسنا ولا لا .

– أنا آسف . متشكر . يمكن تحصل قسمة بس قول لى ايه

هيه ..

– لا مش ممكن . أدى محطة بوستون .. مع السلامة .

– مرسى قوى .

وادی الاتویس بتاعى جأى . راح واقف وبخلت فيه .. بصيب

لقيت الراجل بيقرّب على وبيشاورلى إنى أطلع وراح موشوشنى ف

ودنى . «نرويجى» والاتویس زق . الاتویس كان بدورين ، رحت

قاعد ف الدور التحتانى وولعت سيجارة بصيت لقيت الكمسارى

جالى وقال لى : أطلع فوق من فضلك « استغربت لكن قمت طبعاً .

لازم أعرف السبب . « من فضلك ليه عاوزنى لكن قمت فوق»

«عشان سيجارتك بس » فهمت الدور الثانى للمدخنين . والتحتانى

لغير المدخنين . معقول والله ابتديت أفكر ف كلام النرويجي . طيب
ودا ليه بيشتتم ف الانجليز . ما أعرفش لازم فيه سبب .. دى أول
مرة أسمع فيها واحد أوروبى يشتتم ف الانجليز ماتنساش إنى
لحد ساعتها ماكانش عندى أى خبرة بالإنجليز غير العشرين
أستاذ انجليزى اللى درست عليهم سواء اللى ف انجلترا زى
مستر سكيف ومستر فرنس ومستر ديفيز اللى كنت باختلط بيهم
ف العمل . إن ماكانش زيهم بالضبط ، أهو بالتقريب . بصيت
لجارى لقيته راجل وسخ قوى ، والأنكى من كذا أن شفایفه فيها
قرحة كبيرة غالبا قرحة سفلس . ابتديت أقرف لكن اتكسفت أغير
محلى ، وعنهما والراجل فتح محدث . « أنا كنت ف الهند من سنة
كذا وسنة كذا .. » أنا مش هندی .. « أنا عارف ، أنت مصرى ،
أنا كنت ف مصر من سنة كذا لسنة كذا ، ف جيش الاحتلال ،
مارديتش عليه م القرف والمضايقة والكسوف . بالرغم من كده قعد
يدش . أنا كل معلوماتى عن الانجليز إنهم أعداءنا الطبيعيين ف
السياسة وأنهم ناس هایلين أخلاقهم متينة بعد ما قابلت النرويجى
ابتديت اتشجع ف التفكير . بعد ما قعدت جنب الرجل أبو قرحة
ابتديت احتقر الانجليز لمدة كام دقيقة . بقى هيه المسألة كذا .
أولاد الایه دول بيعتوا لنا الناس المثقفين بتوعهم عشان يوهمونا

بأنهم أحسن شعب وهم ف بلادهم منحطين كدا .. كمان ايه
الحكاية دى . كل واحد ما يقابلنى يقول عليه هندى .. أما غباوة .
هو مافيش أسمر غير الهنود . ابتديت أكره الانجليز يغلطوا ف
المصريين . حكاية أنت هندى دى حصلت لى مليون مرة ف الثلاث
سنين اللى قعدتهم ف انجلترا ، وكل مرة اسمعها دى يفور .
الشعور دا بيشتبك فيه أغلب المصريين اللى ف انجلترا . بل أؤكد
لك إن احنا فات علينا وقت كنا نعتبر الغلطة دى أهانة ، وف أكثر
من مرة استعملنا لغة ف منتهى الجفاف مع الناس اللى غلطوا
فيها . ابتديت أشعر بالألوان شعور إيجابى . أخيرا الاتوبيس
وصل محطتى . بعد ما نزلت وسألت طلع إنى تايه ف حته بعيدة
قوى عن الحطة اللى بابحث عنها . لكن المطر شديد قوى . مش دا
يبرر تاكسى أنا أى حاجة عندى تبرر تاكسى دلوقت . رحى داخل
تاكسى وزاqq . وصلت العنوان اللى معاياه .. ضربت الجرس .
طلعت لى مرة لابسة قوطة .. « أنا عايز أسكن » . « اتفضل حصل
اتفاق على ٢٥ شلن ف الأسبوع نوم وفطار . عملت لى شاي
ونشفت لى هدى قدام الدفاية . رجعت اللوكاندة ف تاكسى
رجعت بشنطى ف تاكسى ، استحميت واستريحت وبعدين لبست
وقمت استكشف .

فيه فرق بين الراجل اللى بتحصل له حاجات والراجل اللى ما بتحصلش .. كمان فيه فرق بين الراجل اللى بتحصل له حاجات ويستفيد منها وبين الحمار اللى ما يستفيدش من التجارب بتاعته .. أنا مثلا كنت أقعد بالأربع سنين ما تحصلش حاجة مهمة وف شهر واحد ف لندن أبص ألقى نفسى مربوط ف عشرين مشكلة، وياتعلم وياتعلم .

بعدما سكنت أسبوع ف كامبريدج ترأس اكتشفت بالصدفة إن الجهة دى مستعمرة الستات البطالين . فيه زيها كتير ف لندن . اتغظت جدا لما عرفت الحكاية دى وصممت إنى أعزل أولا وإنى أقول لمدير البعثة أنه ينبه ع المصريين اللى جاين جديد أنهم ياخدوا بالهم . العزال عزلت ، وادينى أهوه بعد أربع سنين بأقول لمدير البعثة إذا كان بيقرا الكلام دا . لما سكنت ف البنسيون الاولانى دا لقيت اتنين مصريين قدام ع البعثة ساكنين فيه قبل واحد مهندس وواحد نص مهندس (قصدي من الفنون والصنایع) ... شبان مش أغبيا ولا أنكيا قوى يمكن كانوا شغالين ما أعرفش ، لكن بالتاكيد ما يفهموش العمى بره شغلهم وضرورات الحياة اليومية . ذكاء عملى عادى وكل اللى ساكنين ف البيت ييزنقوا على ألما الخدامة بت مسكينة تطلع عشرين سنة ،

قصيرة قوى ، لطيفة شوية ، أمية تكتب تراس ب آر واحدة ويوردب أو آر دى ، من النوع اللى مالوش شكل معين ولا هو حلو ولا هو وحش عندها فرو مقطع ، ومالهاش اطماع إلا أنها تتجوز جيمى البحار النيزيلاندى اللى وعدھا أدى سنتين أنه هایتجوزھا ع العيد .

أطلع من البيت بالليل الأقى مرة رايحة جاية . أقرب منها تقول لى « كم ويدمى دارلنج » أقوم أرتبك وأتمتم « ثانكيس » وأخاف وأمد . أوصل ادجویر رود الأقى تاكسيهات واقفة وعسكرى بوليس دايمًا هناك وراجل وسخ بعربة كنتين وسخة يبيع فيها شاي وكيك وعيش وزبده وسجق وساندوتشات وجنبهم اتنين بنات غالبا شكلهم وحش منتظرين . يسألونى عن الوقت وييتسموا - المفروض باغراءات أقوم أهرول وأخش الشارع مستعجل . الحكاية دى حصلت لى ثلاث مرات ف أسبوعين ، إنما الشارع كان مرشق بنات دايمًا ، دايمًا ف الانتظار . لما رجعت سألت الأفندية عن الحكاية ، قام قالوا لى أن أهمية الشارع مش ف البنات اللى يتقف فيه لكن ف البنات اللى يبيجوا من الاحياء الثانية مصحويين ويأجروا أوده لمدة ليلة باجرة مضاعفة ويختفوا تانى يوم الصبح . ناديت ألما وسألتها قام قالت . بيقولوا ، لكن البيت بتاعنا نضيف

ومسز مواینو - صاحبة البيت - ست مستقيمة ماترضاش
بحاجات زى كده .

صممت أنى أعزل وعطيت خبر . اتصاحبت مع المهندستين
وعلمونى هويست - دى تطلع لعبة كوتشينة . أهم من كدا بقم
ياخذونى الدكاكين ويعلمونى ازای اشترى اللحمه المحفوظة
واللحمه الباردة والبيض والطماطم والزبدة والتفاح والموز .
بالأخص التفاح والموز من الفاكهاني اللى قدام سينما أوديون ف
ادجوير وود . فهمونى كمان ازای اختصر ف المصاريف وایه
فايدة أن الواحد يشتري عيشه ومربته . عشان ادیک فکره ازای
أنا راجل خيبان من الناحية العملية ، تتصور إنى بعد ما عزلت من
الحتة لحي تانى بقيت أرجع مخصوص لنفس البقال ونفس
الفاكهاني واضيع ساعة ركوب وأربعة بنس مواصلات . كنت
أخاف أدخل الدكاكين . على أى حال هم اللى جرونى وعطونى
فكرة عن أثمان الحاجات . مثلاً قالوا لى على رستورانات ایه بى
سى وجيمى ليونز . ورونى ازای أعرف اتغدا بشلن وستة بنس
وعلمونى ازای أروح النادي المصرى الملكى ماشى . كمان شرحوا
لى على قد أدراکهم ومعلوماتهم حاجات عن عوايد الانجلي
وطبايعهم . والبنات الانجليز .

أه البنات الانجليز . دى مهمة قوى . ياما حكوا لى واحنا
بتلعب هويست ف البيت عن مغامراتهم وفتوحاتهم وأنا رايع مش
عارف أصدق ولا ما أصدقش . فكرونى بالشبان المصريين ف
مصر . فكرونى بالموظفين اللى كنت أقابلهم ف بوفية السيدة زينب
وتلامذه الجامعة اللى كنت باشوفهم ف نادى الجامعة قبل ما
يتقفل ، لما الواحد فيهم يقعد ف وسط عشر تنفار ويفضل يسرد
ياقنر لغة وأعلى حس حكايته الجنسية . النهارده الصبح قابلنى
واحد صاحبى قدام أوريكو ماكنتش شفته من يوم مارجعت من
انجلترا ، بعد السلامة والطيبات ورجعت أمتى ، تعرف أول
سؤال سألهمولى ايه ؟ « إحكى لنا بقى عن مغامراتك المشهورة
إياها » أنت عارف إننى أنا مش بتاع حاجات زى كده » أطلع
يانمس » مرة ثانية بقى لأن عندى معاد الساعة عشرة .
مساكين الشبان المصريين .. ماتعرفش تزعل منهم ولا ترثى ليهم .
نورستانيا . جنسية بتنخز ف عقولنا وبتطفح ع الجلد زى الدمامل
.. شوفوا الكبت عمل فينا ايه ياما حكى سلامة وياما عاد صبرى
جرجس ف المجلة الجديدة وغيرها ومصر برضه هيه مصر .
تشوفه ف الراحة اللى ف عيون الناس وهيه خارجة من السينما
كأنهم كلهم باسوا ماى وست وحضنوا أليس فاى . تشوفه ف

روايات الجيب اللى بيقرأوها الايفاع ومجلات بارى وفينوس وسكس
ابيل وبرافان والمجموعة الفرنسية الوسخة اللى اسمها
«الكليسيون جولواز» .. تشوفه ف الفشر الجنسى اللى بتسمعه
من أصحابك وأنت نفسك بتشارك فيه بحسن نية . أه بحسن نية .
تشوفه ف الحقد الهمجى اللى بيحمله كل شاب لآى واحد يشوفه
مع بنت . تشوفه ف الشارع وف الترمواى وعلى كوبرى قصر
النيل وف الجامعة لما واحد يكلم واحدة تفتكرسه نظرات الناس
ويقولوا له سيب النعجة ياخروف وأنا أشوفه كل ما أكلم تلميذ أو
تلميذه من تلامذتى واتمعن ف خدودهم الصفرا واقرا فيها
الحرمان ، أو اتحسر على ذكاهم اللى طفاه الجوع القديم .
أشوفه كل ما أشوف الحياء الشديد أو الرقاعة المجوجة . أوعى
تفتكر أن الرقاعة دى درحة .. أوعى تحسد واحد رقيق وتفتكره
ناجح مع الستات . قلة الحيا زى الحيا تمام كلها كبت جنسى بس
يقلده مع الشخص الحسيس بكسوف ومع الشخص البليد بعنف .
كما إنى أقدر أشوفه ف الكسل الفكرى الملازم لاكثر المتعلمين وف
القلق اللى اتملك الناس ، وف التفكير غير المنظم عند أغلب
الشبان ، وف النكت القبيحة اللى بتتكون منها مادة فكاهتنا .
كمان أشوفه ف الملل والكآبة ، وأشوفه ف الحماس اللى يركد ف

ساعتها . انتو نايمين ولا أيه . طبقة الأفندية ف مصر دى مش طبقة ، دى مجموعة من العقد النفسية اللى مافيش أمل فيها إلا بتوجيه جنسى جديد أساسه الحرية المعتدلة والإطلاق اللى مبنى على فهم صحيح . يا مين يحلنى .

من الاختبارات الجميلة اللى فاتت عليه كمان أول أسبوع ، رحت مكتبة البعثة وأخذت جواب توصية للمتحف البريطانى بشأن مايدونى كارت أدخل به صالة المطالعة باستمرار وكارت تانى بشأن قسم المخطوطات . خرجت من بيتى ووصلت ادجوير رود ف دقيقة وسألت « فين هو المتحف البريطانى؟ » ها اركب ولا ماشى ؟ » فكرت شوية « ماشى » « تمشى على طول لحد ما تلاقى القوس الرخام ف وسط ميدان ، اكسر شمال ودغرى ف اكسفورد ستريت لحد الآخر تلاقى المتحف . مش ممكن تتوه فيه » غريب . كل واحد انجليزى يوصف لك مكان يقول لك « مش ممكن تتوه فيه » .

اشمعنى يعنى أنا دايمًا باتوه . مشيت حسب التعليمات وفعلا لقيت القوس والميدان .. وقفت اتفرج عليهم لكن أنا لقيت اليمين « ايه دى من فضلكم » « دى هايد بارك » . هايد بارك خيرا . حاجة تانية أهم من القوس والميدان . لقيت جنينة كبيرة على أيدي خطر

لى أننى أخش وأسيينى من المتحف ، لكن الإرادة كانت قوية رحت
كاسر شمال ومشيت ف اكسفورد ستريت سينمات ايه وزحمة ايه
وفترينات ايه ونشاط ايه . الناس رايعين معايه وجاين ضدى
الساعة تسعة الصبح وعليهم حيوية الحياة نفسها فى العواطفية
الى بيقدوا ع البول نور ومارتينى والامريكين الساعة عشرة
الصبح أيوه فى القهاوى هناك مافيش حاجة من دا كله . هناك
مافيش غير رجالة ماشيين وستات ماشيين وأتومبيلات ماشية
وأتوبيسات ماشية . البلد كلها ماشية . تحس أنك فى نهر والنهر
فيه تيار بيصب فى دى مسألة تانية مش تحس أنك فى مستنقع
وجود ثابت قديم . أنا اقترح إن الحكومة الى عاوزة تصلح بلدنا
حقيقى حقها تبتدى بتأليف فرقة من أصحاب الكرابيج الغيورين ،
يفوتوا ع القهاوى كل يوم الصبح وكل واحد يلاقوه قاعد مالوش
عمل يمسكوه يضربوه على أفخاذه فى وسط الشارع ، كل واحد
ببدلة يلاقوه بيتف فى الشارع أو بيناكف فى كمسارى الاتوبيس
المزحوم ويعطل خلق الله أو ييلكك ورق ويرميه فى الشارع والسبت
جنبه برضه يعملوا فيه نفس العملية . نهايته فترينات ايه الى فى
اكسفورد ستريت . دا اسمه جون ليوبس ودا اسمه سيلفريدج
يتهياك إن كل بوصة مكعبة فى الشارع دا تساوى ثقلها ذهب .
ذهب العالم لموه ورموه فى الشارع .

قال شملا قال ها . مشيت والبلد كلها مشيت معاية . وكل
عشر دقايق ألقى شحات واقف بكمنجة حائط برنيطته ع
الأرض. وقفت ف الزحمة دي عشان اسمع . الله . دا بيضرب آفن
ماريا ، ارتجفت شفتاي ورفعت وجهي إلى السماء وقال فوادي «
بل السلام عليك يا مريم يا أم الملاك المحترق الشهيد ولتتم ف
مثواك طيب النفس يا شوبرت وأنت يا سيدى السائل ، لو أن الأ
الحزينة الجاثية عند سفح الصليب سمعت لحنك لأرسلت فيك من
دموعها بعض ما أرسلت فى السيد المسيح» وقفت أفكر دقيقة
تكون ايه المدينة دي هم شحاتينهم ارتيستات واحنا ارتيستاتنا
شحاتين . دي مسألة مفروغ منها دلوقت . لكن بأى حق يسمحو
هم بعد المدنية دي كلها أن راجل يعزف موسيقى كده يدور يشحت
ف الشوارع . يمكن الراجل نفسه فيه عيوب خلقية كدا . يمكن .
يمكن سكرى ولا قبيح ولا مهمل يمكن . مشيت عشر دقايق لقيت
راجل تانى ايديه فاضية واقف يشوح ف الشارع ويغنى .. أوبرا .
يا إله العرش . يعنى دا كمان سكرى ومهمل وقبيح يمكن وغيره
يلعب فالسات خفيفة وموسيقى غجر وغيره بيقرأ فصول من
الكتاب المقدس ، وكل واحد فيهم برنيطته جنبه والمحسنين كل
واحد يرمى بنس اتنين على قد ما تجود نفسه ويسمح جيبه وبعد

كده عرفت إن القانون ف انجلترا ييمنع الشحاته ، يعنى قوله
حسنة لله يا محسنين ، وإن الجماعة دول بيحتالوا ع القانون بأنهم
يغتنوا أو يلعبوا ألعاب بهلوانية ف الشارع مش عشان يبسطوا
المارة لكن عشان يثبتوا للبوليس أنهم مش شحاتين أنهم من أرباب
الحرف . مش تسولوا البنسات اللى ف البرنيطة ، إنما كسبوها
بعرق جبينهم . بعد كدا عرفت أن الشحات اللى كنت دايمًا أشوفه
بيتسكع قدام كوينز هول جنب محطة الإذاعة البريطانية كان
كمنجاتى ف أوركسترا عالمي ويعدين حصل له عطب ف ذراعه قام
فصلوه ومن يومها عاطل لأنه صرف شبابه ورجولته ف المزيكة وما
يفهمش ف حاجة غير المزيكة . بعد كدا عرفت أن المجتمع
الأوروبى فيه قسوة تفكر بأكلة لحوم البشر . بعد كده عرفت
حاجات كثيرة ها أحكيها لك لما ييجى أوانها .

أحكى عن البنات كمان ولا بلاش ؟ ف اكسفورد ستريت
امشى ف حقل من الغانيات مador راسى يمين وشمال ماشوفش
غير جمال ف جمال ، من عجبى ابديت اعد : دى حلوه ، دى
وحشه ، دى وحشه ، دى حلوة ، دى حلوة .. الخ .. طلعت نسبة
الجمال حوالى تمانين ف الميه . لكن للأسف ، جمال وشباب لكن
اتهيالى أنهم عاملين زى تماثيل الشمع ، لا فيها نفس ولا حرارة ..

من شدة إعجابى وعجبنى قررت إنى أول ما أرجع البيت ابتدى قصيدة اسمها « فى متحف الشمع » أوصف فيها سوق التماثيل اللى كنت بأجوس فيها طول الصبحية . تمانين ف الميه يخدوا ستة على عشرة وطالع . قعدت برضه أفكر ف مصر وبنات مصر .. كليونياترا ونفرتيتى ، فيه أجمل من كدا ، العالم كله يعرف أن مصر العاجزة سحرت روما الباطشة وجابتها لورا بجمال العيون وفتنة القدود .

وأخيرا وصلت المتحف البريطانى .. أخذت رخصة دخول لصالة المطالعة ولاودة المخطوطات وجرى ع الكتالوجات .. ابتديت ألم مراجع للرسالة .. ضاع اليوم كله قبل ما أفهم ازاي استعم الكتالوجات . سألت ، قالوا لى .. نخت وعدمت وكل تلت ساعة أقريف أقوم أطلع اشرب سيجارة وأنا باتمشى بين الأعمدة الكورنتية المهيبة اللى دايمًا مبلولة ، وأدرس الناس اللى قاعدين ع البسطة الواسعة ، اللى بيشرّب واللى بيدخن واللى قاعد على دكة خشب مزيج غريب من الفلاسفة والعواطلية والباحثين والمعتوهين الناس داخلة طالعة رجالة وستات ، اللى بدقن زى دقن رسكن واللى بدقن زى دقن شاول الثانى واللى بييريه باسك وكرافات موشوار والنضارة الذهب والعصاية العاج . خرجت ف العصر وف سكتى حييت الحرس ووقفت عند السور أتأمل . هنا كارل

ماركس كان ييجى يلتمس الدفء لأنه كان بلا مأوى ، وهنا سطر الإنجيل الجديد وسماه «رأس المال» هنا درس دكتور جونسون العظيم بعد قرنين من الزمان أطاح فيهم الشعر المستعار وقامت الثورة الفرنسية ، وحكمت الطبقة المتوسطة وانهارت ، والناس غنوا الانترنتيونال ، والآله أصبحت إله ، المتحف البريطانى لسه زى ماهوه بيتردد عليه الصعاليك زى اللى تردبوا عليه أيام الشاعر سافيدج . بيصت للمتحف تانى وافتكرت كلمة ت . س . إليوت أن شكسبير استفاد من تراجم بلوتارك أكثر مما استفاد أى مخلوق من مكتبة المتحف البريطانى كلها . أدى الحكم ولا بلاش .

أدى الكلام الموزون . هزيت كتافى باستخفاف وقلت للمتحف «إلى الغد يا خزانة الفكر ، اتركك ف حفظ توت كاتب الآلهة » ثم توليت عنه باحثا عن بار .

تانى يوم الصبح حببت أعمل نفس العملية ، يعنى أروح المتحف ماشى من ادجوير رود . وهات يا مشى . عبال ما وصلت هايد بارك كانت رجلى اتكسرت . الله ؟ ايه الحكاية ؟ أنا مشيت المسافة كلها امبارح بمنتهى السهولة . لكن امبارح مش زى النهارده امبارح كنت سايح مشغول ف الفترينات وتصفح الوجوه ، قام ماحسيتش بتعب . النهاردة أنا راجل لندنى عارف سكتى

وغرضي . نطيت ف اتوييس طلع هو. هناك الاتوييسات على فكره
بيمشوا ع الشمال . وصلت المتحف وكان البروجرام بتاعى فحص
مخطوط لقصيدة من قصايد بليك . وفعلا مشيت فيها شوية ونقلت
جزء منها ضاع منى دلوقت .. الفكرة فى كل دا إنى كنت باوجه
نفسى بنفسى . مافيش استاذ يرشد أعمل ايه قدامى مكتبه فيها
ما اعرفش كام مليون كتاب وأنا عامل زى الطفل الللى ف
متروبوليس ولا الراجل الى تاه ف قصر اللبرنت .. لازم ابتدى من
نقطة عندى موضوع وعندى فكرة عامة عن الموضوع . « لغة
الشعر » كانت موضوع رسالتى . أبسط طريقة هو إنى ابتدى
بطريقة عملية ، وانسى كل الللى كتبوه النقاد عن الشعر ،
وبالأخص إنى زى ماقلت لك زمان كنت متأثر أيامها جدا بالتكتيك
الريكاردى - يعنى طريقة دكتور ريتشاردز - ف دراسة الأدب ف
المعمل إذا أمكن . قلت ف عقلى خد واحد زى بليك أتكلم كثير عن
الشعر وازاى نزل عليه الوحي من السما ، وتشوف المسودة بتقول
ايه والنص الآخرانى بيقول ايه وفكر ف الكلام المشطوب وف
الكلام الللى حل محله ليه حل محله ، أبص ألقى صاحبنا الللى
دوش دمغانا بنظرية الالهام ونبوة الشاعر مليان شطب . الللى
يشوف الشطب الكثير ف مخطوطات بليك يحتر صحيح . إذا كان
دا كله إلهام ، وأمال الصناعة تبقى ايه الغرض . أنا مش ناوى

أحكى لك عن شغلى ف الجامعة لأنه يصدع الدماغ .
فى المتحف اتعرفت بكام واحد وواحدة . وبره المتحف اتعرفت
بواحد بس ، واحد بس ، إنما كان شخص غريب جدا ، مش فاكرا
اصطادنى ازاي . افكر كنت باضرب بلطة بين العواميد وبادخن
سيجارة قام صاحبنا جالى وقال لى أنه كومسيونجى بتاع مكتبة
اسمها الفينيكس (يعنى العنقاء) وعرض علىّ إننى اشتري كتب
لحد عشرين جنيه وأسدهم على أقساط شهرية بسيطة .. فكرة
هايلة . قعد ينصحنى اشتري إيه وما اشتريش ايه لقيتها كلها
كتب حرة خارجة عن دراستى وأنا شخص نفعى جدا ، إن ماكنش
كتاب عن لغة الشعر أو على الأكثر لغة النشر ماأدفعش فيه نكلة .
البيع مانفعش إنما نشأت بيننا صداقة غريبة من كتر ما كنا
نتقابل ف المتحف ونتكلم . الراجل كان طويل وعريض وغامق
ويهودى وشيوعى وعقله مريض واسمه دافيد سيرميد . لكن أنا
وجدته ساعتها مفيد . كان كل يوم يصطادنى ونمضى كام ساعة
كلام . يدويك اقرأ كام صفحة ف كتاب ريديلى عن كيتس مثلا
واطلع اشرب لى سيجارة وعنّها ونص ساعة طارت ف الكلام عن
لندن ، عن ماركس ، عن الأفلام ، عن الكتب . عن الستات عن
الانجليز . فيه ألف موضوع بيفتحوا أنفسهم بس اللى له غرض .
ادخل اكمل قراية واطلع ، نفس العبارة . وصاحبنا باسط ذراعيه

بالوصيد قدام باب المتحف الجوانى كانه حارس المتحف أو كلب
ولف رابض عند بوابة سيده أو كبش حجر على باب معبد .. ولما
ييجى معاد الشاى نخرج سوا ويشرح لى أحيانا جغرافية لندن ..
وأحيانا مبادئ الماركسية .. مهوشة طبعا .. حد فاهم ؟ أهو دش
ويس .. عمل زى ما تقول دليل الأنصاف إنى أدفع الحساب كله
كل مرة ، إن كان شاى ولا لقمة ناكلها ولا فيلم نشوفه ولا أتوبيس
ناخده .. كان كلامه عن الاشتراكية لا ينتهى ، وحقده ع الطبقة
المتوسطة لا يحد ، لحد كدا مفهوم ومعقول ، فيه ناس كثير أفاضل
برضه كده . لكن صاحبنا كان تفكيره مسموم لدرجة أن نوبة
دخلنا رستوران وحببت أطلب كريمة أحلى بيها قام قاللى .
«أحسن لك ماتاكلش كريمة ، دى طبق بورجوازى» عجيبة . كل
الحاجات كانت بتنقسم ف مخه بشكل اتوماتيكى إلى حاجات
بورجوازية وحاجات بتاعت الكتلة العاملة . كل دا معقول . لكن لما
توصل لدرجة أن طبق كريمة المستغلة ف المجتمع ، دا يكون لحد
زى ما بيقولوا الانجليزى . ابتديت أشعر أنه بيضيع وقتى
صحيح .

- مانعظلكش يا سى دافيد . أنا عندى عنوانك ، وإذا احتجت
لكتبها أبعت لك جواب . مع السلامة .
واشتريت وقتى بقليل من الشجاعة الأدبية .

دولسناف الجنيينة

دولسينا ، إن كنت ماتعرفش ، دى صاحبة دون كيشوت وأنا زى ما قلت لك أول ما دخلت لندن برضه اقتحمتها زى دون كيشوت ما كان بيقتحم طواحين الهوا الكبيرة وهو فاكرا انها عمالقة تقوم تخبطه ف رأسه يقع ويفوق . أنا كمان وصفت لك ازاي حببت اقتحم باريس زى الفارس قام خبطنى طواحينها ف رأسى . اللى حصل ف باريس حصل ف لندن كل عاصمة فيها طواحينها ، أول طاحونة كانت الجدع اليهودى اللى كان بيصطادنى ف المتحف البريطانى ويضيع وقتى . تانى طاحونة كانت أكبر شوية من الجدع اليهودى لأنها أخذت منى شهر كامل قبل ما أفوق من خبطتها ..

نزلت يوم حد العصرية أتفسح ف هايد بارك ، هايد بارك اللى جابت شهرة للنون زى البرلمان الانجليزى والمتحف البريطانى أنا كنت قرئت عن الناس اللى بيجتمعوا هنا بالميات ويخطبوا ف السياسة ويقولوا أى كلام يعجبهم ضد الوزارة وضد الملكية وضد الأديان إذا حبوا كمان . قرئت ازاي إن الانجليز كل ما يفتخروا بحرية الرأى عندهم يفتخروا بهايڊ بارك منبر الرأى العام ف

انجلترا . صحيح هايد بارك مالهاش مثيل ف الدنيا . مافيش حته
فى الدنيا الناس تتلم فيها على كيفهم ويقولوا كل اللى ف صدرهم،
اللهم إلا حرم الجامعة بتاعتنا . لفيت ف المماشى اتفرج .. لقيت
من بعيد شلل كتيرة متنتره ف الجنينة .

قلت لازم أسمع بيقولوا ايه .. ومشيت أمد وأنا قلبى بيدق من
الحماس افتكرت إنى هاسمع بيزعقوا وبيهتفوا «تحيا الثورة» أو
«ايسقط تشمبرلين» . رحت لقيت راجل واقف على سلم خصب
مجوز وف أيده كتاب، عجوز مبهدل ف لبسه ، بالتأكيد فقير
وحواليه حوالى عشرين راجل ومره . سمعته يقول :

- الكنيسة الانجيلية بتمد ايديها للأبناء البرره الجداد ،
والسيد المسيح يببص من فوق وعينيه مرغرغة بدموع الفرح كل ما
يشوف واحد من الضالين دخل بيت الله .. يالله نصلى ونرتل
ترتيله ٥٢٠ .

وداح فاتح الكتاب اللى ف ايده وابتدا يرتل والناس وراه
رحت منسحب من سكات أحسن حد يسألنى ما بترتلش ليه
مشيت كام خطوة لقيت شاب ماحلقش دقنه ادى أسبوع ، باين
عليه عامل ، واقف على منصة بيخطب بصوت مبحوح وفوق

رأسه العلم الشيوعى بيرفرى . سمعته بينتقد سياسة الحكومة
بالنسبة للحرب الأهلية ف أسبانيا ويطلب من الناس أنهم يبعثوا
أكل ولبن للجمهوريين . قلت دا الكلام الجد ولا بلاش بالأخص لأن
أنا نفسى كنت أكره فرانكو عمى وافتكز أنه زى كل الفاشست
الى ف الدنيا خاين لبلده . بصيت حوالى أعد الناس لقيتهم ما
يزيدوش عن خمسين ، عشرة منهم بيتريقوا ع الراجل بصوت
واطى وعشرة زوار زى حالاتى ، سمعوا لهم دقيقتين وزقوا ،
وعشرة باين عليهم نقل والباقيين صحيح مندمجين مع الخطيب .
وشفت عسكرى بوليس على بعد عشر ياردات رايح جاى بس
عشان حفظ النظام ف حالة ما يحصل شغب . مشيت لحد اللمة
التالية لقيت مره صغيرة مش بطالة ، فكرتتى بميجور باربارا
بتاعة برنارد شو ، قاعدة توعظ ف الروح القدس وقدامها على
طول راجل قاعد يسب ف الأسرة المالكة الانجليزية واحد واحد .
زهقت أخذت بعضى ومشيت ..

أنا يظهر كنت مخدوع ف هايد بارك ، عرفت أن نول حبة
مجانين قاعدين يهلوسوا والحكومة سيباهم ف حالهم لأن
مافيه مش خطر . ومكانهم الحقيقى مستشفى أمراض عقلية مش

السجن . أكثر من كده . عرفت أن بعضهم حافظ الخطبة بتاعته صم ويروح يسمعها كل يوم حد على ناس جداد . عرفت أن أغلب الناس اللي بيخطبوا ف هايد بارك « حالات عقلية » زى ما يقولوا الانجليز يعنى من الجماعة المشتبة ف عقلهم ويظهر أن جنونهم من نوع خطابى فيبروحوا ينفسوا عن نفسهم . أنا أفكر أن أحنا ف مصر عندنا حقة واحدة فيها حرية الكلام مقدسة ودى لاهى كلية الآداب ولا هى كلية الحقوق لكن الحقة اللي بين كلية الآداب وكلية الحقوق . أنا شفت التلامذة بيتلموا فيها أيام الاضرابات وبيهتفوا ألعن هتافات خلقها ربنا والبوليس واقف بحكم القانون بره سور الجامعة ومش قادر يدخل لهم . يوم ما تختفى الحرية من جو مصر هايفتكر التلاميذ إن كان عندهم حرم جامعى ، وأنهم كانوا بيعبروا بصراحة عن شعورهم ف الحرم ده . أنا لو كنت تلميذ كنت أموت عشان أدافع عن التقليد ده . أنا لو كنت أقدر أعمل حاجة كنت أطالب الحكومة أنها تدى حصانة برلمانية ، زى الحصانة البرلمانية ، للطالب قبل الاستاذ طول ما هم بين أسوار الجامعة ، وأنها ترفع المسئولية الجنائية عن كل جرائم الفكر والنشر مهما كان نوعها كل ما هى محصورة داخل الحرم الجامعى وأنها تحط الحصانة دى ف ايد مجلس الجامعة

لوحده . لو كان عندنا نظام زى دا ماكانش طه حسين جرجروه
للمحكمة عشان رأى علمى شرحه ولا الطلبة حبسوهم عشان قالوا
يحيا الدستور.

سيبك أنت من الهاید بارك . الناس اللى بيقلوا لك إن رمز
حرية الكلام ف انجلترا دول جرنالجية هواشين . حرية الرأى ف
انجلترا تلاقيها ف أساتذة الجامعات لما يهاجموا النظام القائم
بأوضح عبارات ، تلاقيها ف الصحافة لما تقول إن ملك انجلترا ما
يسافرش أمريكا ع «الريبالس» البارجة الكبيرة ، لكن يشوف له
مركب حربية صغيرة عشان كان فيه خطر حرب كمان تبان ف
المنافرات والمحاضرات السياسية زى ما حصل مرة إن اتحاد
جامعة اكسفورد عمل مناظرة أيام أزمة ميونيخ موضوعها أنه « لا
يجوز الدفاع عن الملك والوطن » ، وزى ما حصل أن اتحاد جامعة
كامبريدج عمل مناظرة موضوعها إن «الامبراطورية البريطانية
خطر دائم على سلام العالم» ، وف الحالتين الجانب الثورى كسب
أغلب الأصوات وانتشر ف الجرايد . لكن دلوقتى خرينا ف هايد
بارك « الجنينة» مش المنبر .

مافيش فايده أنك تقارن هايد بارك واللوكمسبورج . زى
الكوكت الفرنسية المندشة ، ايشى تماثيل واشى فساقي . لكن

هايد بارك عاملة زى ست انجليزية سبور دا جمال ودا جمال .
وبلاش تحيز . دوت ألف ف الجنية لحد ماقربت أوصل آخرها من
ناحية النصب بتاع البرت أو فيكتوريا لقيت اتنين عمال عواطلية
قاعدين يعاكسوا ف بت غلباته . زى شغل مصر تمام ، ودى حاجة
نادر تلاقيها ف انجلترا .

والحقيقة أنا وصلت ف آخر الحكاية وماشفتش غير الجدعان
ماشين يتسكعوا لبعيد والبنت واقفة تبرطم . «مغفلين» «أيوه
مغفلين» ..

جيت جنبها وقلت بفضول .

– كانوا بيضايقوكى ولا أيه ؟

– أيوه .. متشكره ..

ف الأول مافهمتش متشكره على ايه .. اتايبها افكرت إنى
جاي انقذها منهم وحسبتها شهامة منى أجى استفهم . شوف يا
أخى الدنيا ماشية ازاي ..

المتنبى مرة قال «ويختلف الأسمان والفعل واحد ، إلى أن ترى
إحسان هذا لذا ذنبا» . أقول لك الحقيقة أنا اتكسفت من نفسى .
هيه بتفتكرنى فارس من غير حصان جاي أطلع سيدة من محتتها

وأنا عارف تمام إننى ماسألتش السؤال بتاعى إلا من باب التعارف . لو كانت دى بنت مصرية يمكن كانت قالت لى « ياسم» يادم ، وأنت مالك ، وأنت ايه حشورك . روح يا أفندى شوف لك شغلة أعملها بدل ما أنت داير تلقح جنتك على بنات الناس .

ويمكن ساعتها أكون أنا مسكين صحيح عاوز أساعدها .
أوعى تفتكرنى إننى متحامل من غير مناسبة . أنا قلت ف أكثر من مناسبة أن جيل واحد من التربية الصالحة ف ظروف اقتصادية صالحة كافى أنه يغير عقلية المرأة المصرية من صف الجوارى لصف الأحرار .

مشينا مع بعض . حكى لى حكاية الجدعان اللى بيعاكسوها وقالوا لها أيه وقالت لهم ايه ؛ مش مهمة . قالت لى أن أسمها باميلادنى ، وأنها كانت لحد كام شهر فى مدرسة أوف دير ، مش فاكىر ، وإن فيها دم أسباني عن طريق أبوها وأنها مابتشتغلش وأنها عاوزة تبقى ممرضة وإن أمها قلبها قاسى عليها من يوم أبوها ما مات واتجوزت غيره وأنها ما حبتش تصرف عليها قام بعنتها الدير وأنها مقيدة حريتها لآخر درجة ومش مخليها تسهر بره بعد الساعة عشرة وحاجات كتيرة مش فاكىرها دلوقت .. وأنا

كمان قلت لها حاجات كتير عن نفسى والحاجات المهمة طبعا ولما اتغوطنا شوية فهمتها أن أعضاء البعثة يتفردوا إذا أتجوزوا أجنب . يعنى افهمى الأمر وما فيه . طبعا الحاجات دى كلها ماقلنهاش ف خمس دقائق . بالعكس دى يمكن أخذت أيام . أنا بس با احكيها لك ورا بعض عشان أخلص منها وانتبه لحاجات أهم منها.

بعدما مشينا سوا ربيع ساعة وصلنا بحيرة أونهر أو ما افهمش ايه برضه جوا هايد بارك . قالت لى :

- دا السير بنتايم ..

قعدت كام دقيقة أتأمل فيه . أنا شفت السير بنتايم ميت مرة لكن من ناحية واحدة ، من ناحية البوفية اللى ف الجنية وعمرى ما عرفت آخره فىن . وكل مرة أشوفه ألاقيه واحد من حاجتين . ف الأيام الصافية أبيض أملس زى النيل ف أيام التحاريق بيلمع ف تحت وف تحت لآ ، وف الأيام الغائمة شكله زى الرصاص السايح من حرارة طبعا . سرحت دقيقتين وبعدين رفعت راسى وقلت من غير ما أخذ بالى .

- تعرفى . هنا هارييت وست بروك انتحرت أدى مية وخمسين سنة تقريبا .

- مين هارييت وستبروك دى امرأة شيلي الاولانية كان أبوها
فاتح هوتيل وبعدين الشاعر حبها واتجوزها .

- وانتحرت ليه ؟

- عشيان سابها بولد أظن وهرب مع مارى جودوين بنت
استاذة الفيلسوف وليم جودوين وراح ايطاليا . فيه كمان بنت تانية
من عيلة جودوين انتحرت ف ليذر عشان كانت بتحبه . مش دى
كانت أيام غريبة ؟ نابليون ، بيتهوفن ، جيته . شيلي بايرو ،
كيتس ، شتويران ، دى فينى . دى موسيه ، شليجن ، مدام دى
ستايل ، مش دى كانت أيام غريبة ؟ التريكولور والجيش ، اللى
هاشي على بطنه . مش دى كانت أيام غريبة ؟

أنا لما كنت بسأل ماكانش قصدى أن باميللا ترد . أنا كنت با
أكلم نفسى .

- شلي كمان مات غرقان . القاتل يقتل ولو بعد حين .. يموت
بالميه برهيه . مش دى مصائدات غريبة ؟ «ناميسيس» ، على رأى
اليونان ، ولو كنت ف طرف المعجورة ، خرافات . اعترف أن دى
كلها خرافات لكن فيها عزاء ، أنا عارف أن ألها الانتقام سواعى
كتيرة بتنام وعشان كده افتكرك لازم يكون فيه جنة ونار .

أنا كنت عارف لندن حته حته قبل ما أسافر من مصر .
بس عن طريق الكتب والروايات كنت أرسم ف خيالى خرط

لو ستمنستر وبيكاديللى وسوهو وجهة هايد بارك . شوف لما تحلم
بحاجة واحدة كل ليلة وتصحى يوم تلاقىها قدام عنيك ، تضطرب
ولا ما تضطربش ؟ أنا كمان لما شفت السير بنتايم اتحركت
شجونى . دا مش فرح مع أنى ف الواقع اكتشفت الاكتشاف
دارى ما تشوف حاجة الزمن ما أتلغهاش . يمكن عشان كدا فكرة
الابد بتزعجنا . أنا حياتى غنية بالمواقف الغنية لأن مخى متمرن
على تداعى المعانى . ودى مش لازم ساعات سعادة إنما بالتاكيد
ساعات تأمل عميق . والبنت اللى جنبى اللى كل أملها فى الحياة
أنها تعمل ممرضة ، تعرف ايه دى عن شلى وهارييت وست بروك .
رخره بصيت لى وأنا سهتتان با أحكى لها عن تاريخ المنسى
والتاريخ المحفوظ وعينها واسعة زى الفئجان بتقول . طيب والرجل
الأسمر دا ايش عرفه باللى حصل ف السير بنتايم ادى ميت سنة
وخمسين . قلت ف عقلى . الرجل الأسمر دا يعرف حاجات كبيرة
ياياميلا ، بس صبرك عليه .

لما كنت ف ثانوى كان فيه مجلات مصرية كتير تسالك سؤال
مش معقول . إذا كنت مش مولود ف القرن العشرين كنت تحب
تتولد فى أنهى عصر ساعتها كنت أفكر إنى كنت أحب أعيش ف

عصر الثورة الفرنسية عشان أقرأ روسو وهو لسه سخن
وأشوف ماري انطوانيت بتاكل البقلاوة بتاعتها وأسمع ميرابو
بيزأر ويجلجل ف الجمعية التشريعية وف ملعب التنس واكتب
بنفسي على حيطان التويلري بالطباشير . الحرية والأخاء
والمساواة ، وأدخل مع شارلوت كورداي على مارا الحمام بتاعه
وف النهاية اتفرج ع المغامر الكورسيكي من أول ما طلع من نادي
اليعاقبة لحد ما مس حافة السما برأسه وأشوفه كمان بيهوى زي
الشهاب . برضه وأنا واقف جنب بامبلا على شط السير بتتايم لو
كنت سألتني نفس السؤال كنت جاوبتك نفس الجواب . لأن مرأى
البحيرة فكرنى بالعهد الحافل وفكرنى بالبحيرة الكبيرة والبحيرة
الصغيرة اللى غنى جنبهم شعراء الخيال وفكرنى باللعة اللى
شردت قلب القلوب وبطل مسولونجى والشاعر المسلوك .. لكن لو
تسألني نفس السؤال دا لوقت أقول لك أنى غيرت رأيى ، وإنى
برضه أحب اتولد ف القرن العشرين . أنا دلوقت بس حسيت أن
أحنا ف أخطر عصر فانت فيه الإنسانية ، وإن أحنا بنشاهد أكبر
سباق بين المدنية والكارثة الكبرى فانت على جنبنا من يوم
الإنسان ما اكتشف نفسه ، وأن أحنا بنقرر مين اللى هيسود
الأرض دى . العقل ولا العاطفة ولا المخلوق المرعب الجديد اللى
بيعزل ويطلع ويبنى ويودينا لحافة البسيطة ف سبع ت أيام .

بعد شوية كان لازم أخذ شاي ، قلت لبامبلا تاخذ شاي معايه
جت ، وشوية شوية أخذنا على بعض لدرجة إننى ابتديت اداعبها
بنكت أدبية - زى كل حاجة با اكتبها - عايزة شرح وتعليق ، قلت
لها تغير اسمها قام استغربت ،
- أنا ما أحبش أسمك لأنه بي فكرنى ببامبلا بتاعت ريتشارد
سون .

- ومين باريلا ومين ريتشارد سون ؟

- ريتشارد سون دا روائى انجليزى عاش ف النص الاول من
القرن الثامن عشر وكتب رواية اسمها «بامبلا» ، أو «جزائر
الفضيلة» موضوعها ركيك و«سنتيمنتال» ، ف كلمتين قال ايه
بامبلا بنت خدامة عند واحد لورد خدامة جميلة طبعا لكن عفيفة ،
حب سيدها يضحك عليها ما قدرش قام اقتنع بظهارتها ، وعشان
يكافئ الفضيلة راح متجوزها وعاشوا ف تبات ونبات وولد
وصبيان وبنات ، الحكاية سخيفة لكن مكتوبة كويس ، مش كده
تعرفى ، كان فيه واحد روائى تانى اسمه فيلدنج عايش ف نفس
الوقت حب يضحك الناس على ريتشارد سون وبعدين فكر يعمل
رواية اسمها «شامبلا» يعنى بامبلا مزيفة ويعكس فيها الموضوع

ويورى أن ما حدث بيكافى الفضيلة وبعدين خلق عقده لطيفة
وأشخاص لطاف والمسألة خرجت من ايده قام لفي المشروع
الاولانى وسمى الرواية « جوزيف اندروز » وف الرواية جوزيف
اندروز كان خدام عند ليدى بوبى وبعدين ليدى بوبى استحالته ع
الحياة دى . أنا كنت ف مصر ساكن ورا الجامعة وكان يفوت
عليه بالأسبوعين ما انزلش البلد .. أنا لازم أهرب من لندن . أنا
وقعدت تراوضه مدة طويلة ، لكن جوزيف ، زى بامبلا ، وزى -
سيدنا يوسف ما عمل مع مسراة فوطيفار عزيز مصر ،
رفض واستمسك بأذيال الفضيلة تعرفي النتيجة كانت ايه ؟ ليدى
بوبى مش اتجوزت جوزيف روز لكن طردته ودار يطلطم من
مكان لمكان .

أهو المهم قعدت أسليها بكلام زى دا يوم بعد يوم وقعدنا على
كدا شهر كامل . لكن ف الشهر دا حصلت حاجات أو على الأصح
ماحصلتش حاجات ، بعدما كان بيحصل أن كل يوم الصبح كنت
أروح المتحف البريطانى لقيت نفسى با أنام لحد الساعة عشرة
واحداشر ، ومن يوم ما عرفتها دا ما بقاش يحصل ، لقيت نفسى
داير اتفسح ف لندن مع بامبلا مرة سينما مرة تياترو مرة جنيلة ،
مرة صرمحة ف الشوارع لكن فاكر تمام أن أجمل أوقات كنت

أمضيها كانت واحنا بنجرى ورا بعض زى العيال ع السلم
الميكانيكى اللى يوصل للمترو تحت الأرض وكانت كمان ف سوهو
واحنا بنتعشى تقريبا كل ليلة . سوهو زى ما أنت عارف حى
غريب له جاذبية شديدة ومليان أسرار . ف الأول أسرار هى اللى
جذبتنى لكن بعد أسبوع بقيت أحب الحى بذاته . كنت اقرأ ف
روايات الجيب عن أسرار سوهو الرهيبة ، سوهو حى الجريمة .
وأول ليلة رحت سوهو . ولازم أقول لك ع الحقيقة . أول ليلة رحت
سوهو كان مالى خيالى صور ناس صغيرين من الصين شعرهم
واقع وعنيهم ضيقة ووشهم أصفر وأشنابهم خفيفة ونازلة لتحت -
دى صورة نموذجية طبعا ناس من دول كامنين ف زوايا الشوارع
المظلمة ، شايلىن خناجر بين أسنانهم ومستتئين الفريسة . يمكن
أنا ، يمكن أنت ما أعرفش . أو شلة من أوياش الطلاينة بكسكتات
ومناديل حمرا وسخه معقودة حوالين رقبتهم وجزم مخروقة
ببمضغوا تبغ ويتفوا ع الأرض من غير حرج دايرين يضربوا
بولطه تحت صدر الليل الكئيب . أوسبات بطالين من حثالة كل
الشعوب يقعدوا جنبك ف الروستوران ويساوموك على حثة أفيون .
كنت أسمع ف وسط الليل الساكن صرخة شنيعة وبعديها أنه

مكتومة ، وأشوف من الشباك المتهم الوسخ اللى بيدى نور خافت
خرقة معلقة وراجل مشنوق . كل التهيؤات دى كانت تجى لى قبل
ما أدخل سوهو . ولازم أقول لك ع الحقيقة . أول ليلة رحت سوهو
كان قلبى بيترجف ويمكن أقول لك أنى شفت فعلا عينين بتبرق ف
الضلمة من بعيد . طبعا ماحصلش حاجة بعد كده أخذت ع الحنة
وابتديت أدور بنفسى ع الأسرار اللى بيحكوا عنها مالقيتش حاجة
وبعد أسبوع بقيت أكتفى بالعشا الهادى والنبيت اللطيف . لكن
لازم أعترف أن الحى يخوف القلب الحديد . الشوارع الملفلفة اللى
تتقفل على غفلة والأنوار الواطية الطويلة اللى من ظلالها والحوارى
الداكنة اللى تحود من غير انذار .. أنا ماشفتش حد ف سوهو
شكله عادى أبدا . جرسونات وزباين وناس فاييتين ، كلهم ف حاجة
ف وشهم ماتتفسررش ، إن كان معنى غير مألوف بيطل بين
حواجبهم أو فك اجرامى أو مرارة واضحة فأركان الشفايف ، بيبة
قديمة عمرك ما شفت زيها . المهم فيه حاجة والسلام ، وإن كان
ضرورى تحل اللغز ، افرض بس أن كل واحد عايش ف سوهو
لازم له ماضى كثيف .

شهر كامل ضاع منى ما عملتش فيه أى شغل . طبعا ضميرى
ماقعدش نايم طول الوقت زى ما أنت فاهم .. بالعكس .. كنت با

أعمل مجهودات تذكر عشان أخلص كتاب وابتدى كتاب تانى .
لكن دا مش نوع الشغل بتاع واحد زى كان بيسهر صباحى
بمعدل ليلتين ف الأسبوع مدة ثلاث أربع سنين عشان يعلم نفسه .
قلت لا . الكلام دا ماينفعش ، أنا لازم أشوف لى حل اللى خوفنى
كمان - مش لازم أخبى عليك - أن بامبلا ابتدت تتشعبط فى .
لاحظت مثلا أنها ابتدت تكسر عشانى قانون الساعة عشرة اللى
أمها قالت لها أنه حد السهر . وكنت أنا جنتلمان بشكل كافى إنى
أفكرها ف الوقت المناسب . تقوم تقول لى أنها مش هاتسأل ف
كلام أمها .

طبعا أنا وظيفتى انتهت لحد هنا . ماتقدرش تنتظر منى أنى
أديها نصائح أخويه ف طاعة الأمهات . المسألة ابتدت تبقى
خطيرة .. أقول لك ازاي كبرت . يوم من الأيام كنا عندي ف
البيت، وف وسط ما اخنا قاعدين ف أمان جنب الدفاية بامبلا جت
وقعدت جنبى ولفت ذراعها حوالى ورمت رأسها على كتفى وقالت
بصوت واطى :

- أنا يا أحبك .

بلعت ريقى ومعرفتش أقول ايه . وبعدما جمعت أفكارى حاولت
أنى أصرف الموضوع بذوق . قلت لها :

– أنت عمرك كام سنة ؟

– تمتاشر ..

– انتى لسه صغيرة . أنت مش عارفة بتقولى ايه .

– لا . أنا عارفة أنى باحبك .

ساعتها لقيت أن من الحكمة أنى أطنش وأخلى المسألة تعدى .
حكم المناقشة ف المواضيع دى من أسمع ما يمكن . لولا البنت
كانت طيبة قوى كنت افكرت أنها بتشتغل على عشان كده كنت
مضطرب طول الوقت . أنا اتحاشيت بالعامد أنى أوصف لك
باميلادى . أوسكار وايلد كان عنده تقسيم لطيف للسقات . عنده
السقات نوعين . ست بسيطة وست مدونه . باميلادى كانت بنت
بسيطة على حسب تعريف أوسكار وايلد ، أخلاقها عادية ،
ماتنساش تنصف أسنانها مرتين كل يوم لكن تستحمى مرة واحد
ف الأسبوع ، معلوماتها معلومات تلميذ ف تانية ثانوى وذكاءها
على قد معلوماتها . صحيح مافيهاش ولا حاجة واحدة وحشة لكن
مافيهاش ولا حاجة تنحب .

ابتديت أحس بالخطر جى من بعيد ، حب ايه وابتاع ايه هو
أنا بتاع حب ، أنا جى اشتغل . وبالأخص بعد الأزمة النفسية
اللى كنت فيها سنة ١٩٢٤ كنت تقطع ودانى وما أسلمش نفسى

لعواطفى تانى . وبما أننى ساعتها ماكانش عندى عواطف لا من ناحية بامبىلا ولا غيرها صممت أنى أنهى المسألة بأسرع وقت ممكن .. رحت مكتب البعثة واشتكت اننى مش عارف اشتغل فى لندن وطلبت أنهم يسمحو لى أنى أبتدى ف كامبريدج على طول .

مدير البعثة قال لى :

— إذا كنت مش عارف تشتغل ف لندن مش لهم استريح .
الحسبة كلها شهر والفصل الدراسى الثانى يبتدى وتسافر سفر طبيعى .

برضه ما اقتنعتش . لقيت ديسمبر داخل رحت من سكات مسافر كامبريدج عشان أجس النبض وقابلت كل الناس اللى أنا عاوز أقابلهم وتانى يوم رجعت لندن مبسوط لأن الكلية بتاعتى سمحت لى أنى ابتدى حياتى الجديدة ، حياة الاطلاع اللى أعديت لها شخصيتى طول العمر . لكن مشكلة واحدة بس . بامبىلا .
ازاى أفهمها من غير ما أجرح شعورها ؟

أخذتها تتعشى فى بكاديللى بدل سوهو ، عشان بيكاديللى نوره أكثر من نور سوهو والنور زى النهار بيبدد الأوهام ويدى الحقيقة شكل ولون . بعد ما شبعنا قلت لها .

.. أنا اتفقت مع أستاذتى أنى أنزل كامبريدج بعد بكره يعنى ماقدمناش غير يومين .

وجوم شديد . عرفت أن ماليش حق أفتح موضوع زى دا ف
رستوران احترمت صمتها وقمت أنا بالكلام .

– وأنت أحسن تبتدى تتعلمى تمرىض بمجرد ما أسافر أنا .
برضه وجوم . احترمت صمتها تانى واستمرىبت ف الكلام .
– أنا متأكد أنى ها اشتاق لك .

ماردتش ، ولا شفتها مصره ع السكات ومطاطية راسها رحت
أنا كمان ساكت ومطاطى راسى وطلعت ورقة من جيبى وقعدت
أقطع فيها حنت حنت ، أطبقها وأقطعها ، أطبقها وأقطعها ولا
خلصت ابتديت بأسنانى . بعد كام دقيقة ابتدت هى تتكلم .
ياريتها ما اتكلمت شفت عينيها مرغرة شوية .

– ما تقدرش تستنى أكثر من كده ف لندن ؟
– طبعا « أقدر » لكن أنت عارفة أنى لازم أكون ف كامبريدج
بعد شهر لما يبتدى الفصل الجديد .
– أنا فاهمة دى من الأول .

– ومادام ها اضطر أسيب لندن يوم من الأيام مافيش فرق
أنى أسيبها بعد يومين وأنى أسيبها بعد شهر ويومين . لازم
الواحد يبقى دايما مستعد عشان يواجه أى مشكلة .

– عندك أنت ما فيش فرق ، لكن عندى أنا فيه فرق كبير .

أدى قلم أخذته .. رجعت هى وقالت :

- أنت زعلان بشأن مش عارف تشتغل . لك حق تزعل لكن
استنى معايه الشهر دا وأنا أساعدك ع الشغل .
- أنا أسف خالص . أنا وعدت أساتذتى ف كاميريدج أنى
جى . ثانيا أنا ثبت لى أنى ضعيف ولندن قوية . أنا طول ما أنا
هنا هاتبلعننى المدينة الكبيرة دى . فيه حاجة ضاعت منى من يوم
ما جيت لندن دى ومش عارف استردها أبداً . شخصيتى ضاعت
منى . وقتى مش عارف أنظمه . مجهودى مش قادر أحصره ،
وأهم لازم أبقى سيد وقتى وسيد ظروفى وسيد نفسى أمال ايه
فايدة الارادة إذا كان الواحد ما يستعملهاش ف مواقف زى دى ؟
يلا نروح .

طول السكة ماقبلناش حاجة . واحنا نازلين ع السلم الميكانيكى
ف محطة بيكاديللى نزلنا وقفين تعبانين . قلت ف عقلى ادى حاجة
هاتروح منى لما أسيب لندن . حياتى الجديدة مافهاش سلم
ميكانيكى ، ومجرد التفكير ف الموضوع زعلنى . تعزف الأطفال
ازاى يحبوا البون بون والجيلاتى ، اهو السلم الميكانيكى كان
بيدينى لذة زى الأطفال من مص البون بون ولحس الأيس كريم .
السلم الميكانيكى صحيح من أفراح الحياة ، لكن زى بعضه ،
الحياة فيها أفراح كثيره تانية .

أول ما دخلنا الوده صاحبتنا ارتمت ع السرير وقعدت تبكى..
- الله ، الله مش لازم تعملى كدا .

ورحت لها أهون عليها وفي قلبى مزيج من الألم والغيظ .. أنا
كنت متفاظ لأنها بتكبر فى الحكاية من غير سبب . قلت لنفسى .
«بمنتهى النزاهة والمعقولة أحكم . إيه يعنى اللى هاحصل لها إذا
مشيت أنا . ولا حاجة . برضه هاتلاقى واحد تانى زى أو أحسن
منى يسليها ويملا فراغها ويسمعها كلمات الحنان . أنا مش فاهم
ليه هيه بتعمل كدا » بعد كدا فهمت أن فى حياة الانسان أمور
النزاهة والمعقولة مابتدخلش فيها . أنا طبعا كنت عارف كدا
طول عمرى لكن الحقيقة العظيمة دى غابت عن عقلى ساعتها لأن
عواطفى كانت باردة ، وما افكرتهاش غير لما سخنت تانى بعد
سنة وزيادة . لما لقيت السياسة مافهاش فائدة مع بامبلا جربت
أسلحة تانية مش مشروعة سببتها راقده ع السرير ومشيت لحد
الدفاية واتكيت ع الحاجز بتاعها وعطيتها زهرى وقعدت أفكر .
بعد خمس دقائق قلت بصوت هادى مليان تصميم من غير ما أغير
مكانى ووشى ف النار .

بامبلا ..

- بيس دارلنج .

بلعت ريقى .. واستمريرت من غير لهجة . أناام لازم أطمئن .
- أنتى فاككره الكلام اللى قلتهاوك ف محل اللبن تانى يوم
عرفنا بعض ؟

- أيوه فاككراه أنت قلت الحكومة بتاعتك تفصلك إذا اتجوزت
من هنا .

- تعرفى ليه أنا قلت الكلام دا ؟
- طبعا . دا كان تلميح ليه وأنا فهمته .
- انتى مش تفتكرى أن موقفى سليم ؟
- بالتأكيد . فى منتهى النبل كمان .
- سيبك من النبل . دا كان مجرد واجب وأنا دايمًا با أعمل
الواجب . أنا عمرى ما غشيت حدا إلا إذا كنت مضطر .. طب
ومادام انتى عارفة أن فكرة الجواز بره الموضوع خالص يبقى
مافيش داعى للعواطف الشديدة دى .. وإلا ايه ؟
- أنا عمرى ما فكرت ف الجواز .
اطمأنيت .

- أmaal ازاي تتصورى علاقتنا ف المستقبل .
ماردتش . فهمت أنى أسأل أسئلة كثيرة سخيفة وفيها قسوة
على واحدة أعصابها مهدودة .. كان حقى أفهم من نفسى لكن دى

مش غلطتى .. دى غلطة الوسط اللى اتربيت فيه لأنه مامرنيش ع
الاحساسات الدقيقة دى كلها .. السنين ف انجلترا طبعاً غيرتنى ،
بدرجة انى دلوقتى قادر أحس بكل المرارة بتاعت الموقف على بعد
خمس سنين .. لكن ف الوقت نفسه لازم اعتذر عن نفسى لأنى ف
الآخر حليت المشكلة بتضحية كبيرة . خطر لى ساعتها أن بامبلا
يا أما بنت عيلة بتروح سينما كتير ومش فاهمة هيه بتقول ايه ، يا
أما أنها صحيح بتتكلم جد عن شعور جد ف جد ..

وف الحالة الثانية دى مش من مصلحتها أن أنا أمشى من
لندن ساعتها أو بعد شهر – وهى تقعد تنتظر من غير فائدة . يوم
تجلى كامبريدج ويوم أجى لها لندن .. وبعد كام سنة وأنا راجع
مصر تلاقى نفسها ف نفس الموقف الأولانى .. وتبتدى تبحث عن
صداقة جديدة .. شئ كتير من الحزم كان لازم .. فلما مانفمش
فيها المحاولات قلت أن الطريقة الوحيدة هى انى ازعلها منى ..
أقول لها كلام يوريها أن أنا شخص أخلاقه ضعيفة وقد كان ..
قلت لها كلام كتير ف منتهى القسوة عليها وف منتهى الظلم
لنفسى . لازم أكون وجش معاها . مافيش غير المهندس اللى كان
سكان معاه ف كامبريدج ترأس وعلمنى لعبة الهويست هو اللى
كان عارف التفاصيل قلت لها انى مباحبهاش ودا كان صحيح

ولكن ماكانش ضرورى يتقال .. قلت لها أن أنا عمرى ما اهتمت
بها ولا عمرى ما اهتم بيها ف المستقبل .. ودا ماكانش صحيح
لكن الحكاية نجحت أو تهيا لى أنها نجحت طبعاً أنا ما أعرفش
هيه كانت بتفكر ف ايه وهيه بتسمع الرصاص نازل عليها من كل
حقة .. لكن على أى حال أنا طعنتها فى كبريائها ودا كفاية ..
أطعن أى واحد كريم فى كبريائه تلاقيه يعمل كل الحاجات اللى
أنت مش عاجزه يعملها .. ولما خلصت كلام لبست الجاكتة وقلت
بأسف صحيح ..

– أنا لازم أوصلك بيتك دلوقت .. دلوقت أهو ..

قالت وأهدابها مرخية ..

– دى أحسن حاجة قلتها النهارده .

الحمد لله .. فانت الزبيلة .. فانت ومعها رجولتى كلها .. لكن

زى بعضه ..

وقدام باب بيتها بوستها مرتين .. ورجعت ارتب عواطفى .

كامبريدج من بعيد

فيه حاجات كثير ، ماتقدرش تفهمها إلا إذا شفتها من بعيد .
بعض صور سيزن مثلا .. كنيسة الساكركير ف باريس . بعض
المنظر الطبيعية اللي فيها اختلاف كثير عشان تفهم جمالها لازم
ترجع لورا نص ميل .. الريف المصرى عشان تحس بالفكرة اللي
فيه لازم تشوفه من شباك قطر .. وفيه حاجات زى الهرم مثلا
مالهاش معنى إلا إذا امتحننتها وأنت واقف على حجارتها . وفيه
حاجات قليلة تسحرك من قريب ومن بعيد .. كامبريدج واحدة من
دول .. لكن كامبريدج بقى ماتقدرش تفهم جاذبيتها الحقيقية إلا
إذا عشت فيها مدة ، وعشت تلميذ ، مش موظف أو سايح أو بقال
.. هاتعرف بعدين أن الموظف والسايح والبقال مافيش فرق عندهم
بين كامبريدج وأى بلد عدد سكانها تمانين ألف .. لكن قبل ما
أخليك تحب كامبريدج زى ما أنا حبتها ها أخليك تحبها زى ما
يتحب الاقصر وأطلال الرعامسة .. دى نعمة كبيرة من عند ربنا
أنى أقدر استحضر التأثيرات الأولى ، لأن ما فيش ناس كثير
يقدرُوا يفتكروا الشيخ بعد ما يملاه الجسم .

أول يوم رحت كامبريدج ف حياتى كان ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٢٧
اليوم ابدأ بضباب وطول ماكنت ف القطر كانت بتمطر ف

كامبريدج وعبال ماوصلت البلد لقيتها مبلولة وحيطانها بتشر فيه .
السما كمان كانت لسه بتتشف نفسها ف الغيوم وكل ما أمشى
خطوتين ف شارع المحطة تلسعنى نقطة مطر ف خدى أو تدينى
شعور غريب ف شعرى أشبه بالزغزغة . سألت عن كلية الملك
دلونى عليها ، والبيوت الحمراء القصيرة عن يمينى وعن شمالى
بقت حمرا زيادة بعد ما غسلها المطر والمباني الرمادى زى كلية
بمبروك والبوستان العمومية ساح عليها الهباب وانحدر تحت .

أنا وصلت الساعة اتناشر وعبال ما اهدت لمستتر بيفيس
المؤدب بتاع كليتى واتفقت معاه انى أروح أقدم نفسى لمسجل
الجامعة كانت المكاتب قفلت . « تعال له بكره الساعة عشرة ،
« رأيت » . كان فيه مشكلة صغيرة طبعاً .. أنا جيت بتذكرة سفر
شهرية . أرجع والا أبأت ف كامبريدج ؟ قررت أنى أبأت ، قالوا
عشان أوفر . رحت حاجز أوده ف بولز هوتيل طلعت بثمانية شلن
وستة بنس نوم بس ولما اتعشيت وفطرت الفاتورة وصلت جنيه
بالضبط . مش عارف ليه ..

دريت ألف طول العصرية وأنا مش فاهم حاجة . دا أيه ودا ايه
. مافيش حد يقول لى من شكل المباني الكبير والصغير ، والقديم
وأبو أبراج والأحمر واللى زى القشلاق والمبور كان واضح عندى

أن فيه حاجات كثير عايزة شرح ، لكن مين يشرح . طبعاً أنت ما
تقدرش تلف باستمرار وأنت مش فاهم حاجة حتى فى باريس
أكثر من ثلاث ساعات ، وعلى أى حال ماكانش فيه فائدة من اللف
لأن الليل كان دخل والساعة كانت قريب على خمسة .. ليل تقيل
الساعة خمسة . وف وسط الشتاء ليل تقيل الساعة أربعة ونص .
دى انجلترا ، إن كان ما عندكش خبر ، إن كنت سمعت عن
الليالى البيض ، أسمع كمان عن الأيام السود .

رجعت الهوتيل واتعشيت ودخنت فى الصالون ودخلت أنام .
شدت الجزمة شد وبعدين افكرت حاجة مهمة . افكرت أن
ماعنديش بيجاما . دا ليلتها كان حنة مقلب اتلخمت دقيقتين
وبعدين ابتديت أفكر بسرعة قوى .. أنام بالفانلا واللباس يوم ٣٠
نوفمبر وأخذ نزلة أو إنفلونزا وإلا أجيب بيجاما من تحت الأرض ؟
لا يا أفندم بيجاما من تحت الأرض. لكن أنا ما أعرفش جنس حد
ف كامبريدج أيه العمل ؟ قلت ف دماغى اسم اتنين مصريين واحد
اسمه سيد حسنين وواحد اسمه ابراهيم صفوت . أنا عمري
ماقابلتهم انما كان حصل أنى قابلت الدكتور يحيى العلايلى وهو
بيستعد للرجوع لمصر ف النادى المصرى الملكى بتاع كامبريدج
عطانى عنوان الانتباه ..

عصرت ذاكرتى عصر وف النهاية . افكرت واحد بس . أنا مش عارف ازاي افكرته وأنا ذاكرتى نيله . أنا متأكد أن ف الظروف العادية كان مستحيل أنى أفكره ، لكن الروصريصة يا حبيبى تفوق أنيل ذاكره . ماصدقت العنوان ضرب فى مخى رحت لابس الجزمة ونازل جرى وأنا با أقول لنفسى ٦ شارع سانت لوك ، شارع سانت لوك ، خايف أحسن أنساها وما صدقت دخلت ف تاكسى رحت زاعق ف السواق ٦ شارع سانت لوك من فضلك ، واتنفست الصعداء .

الموقف كان من أبوخ مايمكن . اتصور واحد ماتعرفوش تخط عليه الساعة تسعة بالليل عشان تستلف منه بيجاما . عمرها ما حصلت دى . أنا نزلت ف الشارع الضلعة كانت ضلعة طبيعية مش ضلعة غارات . ونبهت ع التاكسى يستنى ودخلت أحسس من البوابة الحديد القصيرة بتاعت الجنية اللى خبطنى آخرها الفوقانى فى بطنى مرتين . وف مكان الجرس حسست كمان قام طلعت لى مرة وسألتنى بمنتهى الجفاف :

— عاوز ايه ؟

— عاوز مستر حسنين إذا كان ساكن هنا .

وشاورت ع الباب بتاع أودته عند سفح السلم الخشب ..
خبطت وأنا خايف ومكسوف .
- أدخل ..

شفت شاب أسمر صغير زى البليه .. برضه لحد دلوقت خفت
مايطلعش هوه ويطلع تلميذ هندي والا حاجة . سألتته -
بالانجليزى .

- أنت مستر حسنين .

- أيوه ..

- أنا اسمى عوض . أنا مصرى وها ادخل كامبيريدج بعد
شهر ، حصل لى فصل بارد النهارده ، كنت با أعمل مقابلات مع
سلطات بتاعت الجامعة ومضطر أبات لبكره .. الفصل البارد هو
أنى ماعنديش بيجاما . تقدر تسلفنى واحدة ؟ أنا العاليلى هو اللى
عطانى عنوانك وقال أنك تقدر تساعدنى .

كل الحاجات دى انتقلت بالانجليزى وباضطراب شديد .. زى
ما تقول أن كل كلمة أقولها زيادة كان الغرض منها أنى أزيل
شكوكه . وهو من ناحيته ماقالش كلمة واحدة تشجع قام لبخنى
زيادة . واحد زى ف موقف زى دا كان عايز ابتسامه أو كلمة
اتفضل أو خد سيجارة تضيع لخمته لكن صاحبنا ماعملش حاجة

من دا كله . كان رسمى خالص معايا ودخل ف الموضوع على طول .

- أنا ماعنديش بيجامات شتوى . كلها ف الغسيل . إذا كنت تقبل بيجاما صيفى أقدر أسلفك واحدة .

- أنا ممنون خالص .. بكره أول حاجة أعملها أرجعها لك .
- معلش .

أخذت البيجاما وشكرته وكنت ف التاكسى ف لحظة والأزمة فاتت ، نمت ليلتها نوم مش بطل .

وتانى يوم الصبح عملت كل الزيارات الرسمية وحوالى الظهر لقيت نفسى فاضى رحت شارع سانت لوك بالبيجاما لقيت صاحبنا ومعه واحد تانى حجمه قده مرتين حسنين قال :
- دا عوض . دا بدر الدين .

- اتشرفنا يا أفندم .. اتشرفنا يا أفندم .

بعد خمس دقائق كنت ف الشارع تانى لكن معاياه بدر الدين . بدر الدين كان لطيف قوى ومشانى على كوبرى الشلال ، وقعد يشرح لى طول الوقت الحاجات اللى بتحصل ف البلد . لكن لسوء الحظ كان لازم أسيبه وأرجع لندن ، عشان كده ما لحقتش أتفرج على حاجة .

دى كانت أول زيارة لكامبريدج . وكانت مليانه مطر ومفاجآت
لكن جابت نتيجة ودا كان عزاء . طول ما كنت ف لندن كنت با
أسمع حكايات غريبة عن كامبريدج . اللى يقول لى دى بلد
السلفلس واللى يقول لى دى بلد الغراميات اللى مش مكتوبة واللى
يقول لى دى « زيدة المجتمع » ، يعنى فيها أحسن طبقة ف انجلترا
واللى يقول لى دى هيه أكبر حاجة مسئولة عن تأخر الانجليز
السياسي . كل الحاجات دى ما تقدرش تحققها غير لما تعيش ف
البلد لكن أنا ساعتها كان مالى مخى حاجات مالهاش دعوى بكل
دا . كنت با أفكر ف الحوارى الضيقة الملفلفة اللى مافهمتش
معناها غير بعدين . كنت با أفكر ف الحيطان اللى غسلها المطر
والتلامذة اللى راكبين بسكلتات ولايسين روبات طايره ف الهوا .
وكوفيات طويلة طويلة صبغتها زاهية وعلى كل لون . كنت بافكر ف
الحرب الأهلية بتاعت انجلترا وازاى كامبريدج نصرت كورمويل -
والجمهوريين بينما اكسفورد نصرت شارل الأول والملكين . فكرت
ف البرولوج بتع « ابراهام لنكولن » بتاع مستر درنك وتر . مستر
ديفيز كمان فكرت فيه ومستر حسنين وتذكرة الرجوع اللى ضاعت
منى ف اللوكاندة والكلام اللى ها أقوله لمكتب البعثات ولياميل .
كل دا فكرت فيه ف القطر . لكن من الحاجات اللى شفتها

ماكانش عندى شك انى كنت على حافة اختبار غامض كبير يمكن
يتناول حياتى كلها بالتغيير .

خلى الاختبار الغامض على جنب دلوقت ، وخلينا ف الأمور
الى قدر تفهمها من بعيد . أنا حتى دلوقت مش عارف أكتب بأنهم
أسلوب . إذا قلت لك دخلت متحف فنزويلم ولقيت كيت وكيت أبقي
زى الرحالة محمد ثابت ويبقى أحسن لك ميت مرة أنك تقرأ
الكتاب الأزرق بتاع السواح . وان قلت الحقيقة اللى فى قلبى
هاسمعك دق النواقيس وأرسم لك الأبراج اللى سكنت صدرى .
وملته بالأحلام . وبعدها تقول الأحلام أحلامك واحنا هنا راضيين .
اهتم بالتعبير . اهتم بالتأثير ، اهتم بالرمز والايحاء مش عارف
أعمل ايه أهى دى خواطر بتجول فى رأسى وباحسسها فى
الألفاظ .

كامبريدج أول ماشفتها من بعيد هى كامبريدج زى ما أنا
شايفها دلوقت من بعيد مش فى التفاصيل لكن فى الجو والابعاد
والظل والألوان . بينى وبينها بحرين لكن لسه فاكر الثلج اللى قعد
فيها ثلاث سنين والصحو اللى قعد فيها ثلاث سنين ، والكنائس
اللى ماغيرتش كانها سنين وسنين . القلب مايعرفش مأساة
الفصول ولا الروتين بتاع الهدم والبنا فى الكون . كنت أمشى ورا

الكليات وأغرز جزمتهى لحد الشراب ف أرض يناير البيضا وأسبب
ورايا أثر محفور طويل زى نص المسافة م هنا للأفق وأشوف
الصنوبر بعد الصنوبر وكل شوية شجرة دار كلهم طارحين ورق
أبيض ماعكروش حتى خيال الغيم . وأكتب ف عقلى جواب لمستر
فرنس أشرح فيه له الحاجات اللى شافها كيتس ف هامستيد هيت
شفتها أنا عند باب مكتبة الجامعة . وأفكر ف نيتى دقيقتين وف
الماضى وف الأمل أبص ألقى أوراق قلبى اللى كانت بتقع واحدة
واحدة ع الثلج الناصع أخضرت وثبتت فيها براعم الحبوالحياة ،
وأبقى عامل زى الروضة ويشع الرضا والحنان على الطبيعة
المسجاة ف الثلج المغزول ، أحس أن أنا الحى اللى بيوهب غيره
الحياة وتحت عينى ألقى منعانى الشر والموت والقسوة والوحدة
اللى بتتصاعد من الغيطان الجرداء ألقاها تتحول أحيانا تابلوهات
حقيقية ونسب وألوان ف انتظار الشاعر والرسام ، وأحيانا تتحول
الأرض وما عليها لكنيسة معلقة وديعة مليانة بتفاؤل بتصلى
وأجرام السماء لاهية واسمع لجرس البرد بيرتل « أوندى فرويده »
تسييحه المعرفة الكاملة والامتنان .

لا . القلب مالوش دعوى بالفصول .

أدخل كنيسة الملك يوم عيد ميلاد المسيح ، مش عشان أصلى
لكن عشان أدرس العمارة القوطية بتاعت البنيان . أقف مؤدب مع

الواقفين وعيني دايره تجول . أتأمل السقف المسنود على بواكى
مكسورة أساسها جى من بره وما أشوفش غير نقط اتصالها من
جوه ابتدى اتهمز . أشوف الكنيسة طويلة قوى وعاليه قوى تملانى
الرهبه . ولو كان السقف سانداه عواميد كان بدالى سقف معبد
وثنى بتاع الله خلقه ضيق ويحب الانتقام ، لكن الفراغ الكامل بين
الست حيطان والأطوال الى مش معقولة أكدوا ف نفسى الخشوع
« حسيت » ازاي الفن القوطى العمودى فن مسيحي وأتأملت
علاقة الفن بالحياة . مين يقدر يصلى للمسيح ويعبد ربنا ع الفكرة
المسيحية ف البارثنون الجميل المشرق بين الأعمدة الكورنتية
والخطوط الواضحة المتساوية المتوازية والاف كنيسة المادلين
بتاعت باريس ؟ دى معابد توحى بالمعقولية والتأمل الواضح
والاتزان ودى مش روح المسيح . روح المسيح موجودة فى الحب
الى احنا بنكره بعض عشان ننشره وف السلام الى احنا بنقتل
بعض عشان نوطد أركانه وف التجرد وف عذاب الجسم وهو
بيدمى تحت سياط الارادة عشان يدبل وتتحد هيه بالوجود . دى
مثل عالية عالية زى السقف العالى الى كله اقباء مش كاملة . وف
وسط ما أنا يا أسمع صوت الارغن الغليظ الى حرك ف نفسى
الخوف بالتدريج واسمع كوراس الاطفال بيرد عليه فى نفس واحد،

أصوات ، ناعمة صافية زى الاجراس الفضية ، أهدابى وقعت ع
القزاز الملون ف الشبايك والضوء المكبوت اللى جى من بره خلى
كل واحد موجود ف النور المخلوق اللى جوه يشوف صور
القديسين والقديسات منقوشة بالأحمر والأزرق والأصفر والأخضر
وشبايك الكنيسة من غير انسجام .

الفن القوطى جسد لى آلام المسيح .

وطلعت من الكنيسة لقيت كفن التلج منشور على وش البسيطة
وكفن التلج جسد لى آلام الطبيعة .

ومشيت شوية ويصيت ورايا لقيت الكنيسة من بره بأبراجها
الخرافية الكثيرة المصفوفة ع الجنبين مش زى الحلوفة المقلوبة زى
ما وصفها راسكين . لقيت الأبراج زى الافكار القديمة القائمة
الكثيرة اللى لسه ما أخذتش شكل ولا هيئة . والأبراج الخرافية
جسدت لى آلام الفنان ..

فيه حاجات كتيره ف كامبريدج تخليها قرية من القرى
الوسطى . أقرأ شعر توماس جراى تلاقى فيه أوصاف كتيره
تنطبق على كامبريدج . لكن اللى أهم من دا انك منين ماتروح فى
البلد تلاقى صحايف التاريخ زى مايسموها مبسوطه قدام عنيك
وشواهد البطولة بارزة ف كل مكان . دى كلية مبنية ف القرن

الرابع عشر ودول ف الخامس عشر ودول ف عصر أسرة تيدور
وهكذا ، تدخل كلية ترينيتى تلاقى مربع درا مربع ، وتلاقى بواكى
قديمة حوالين المربع وأرضية إذا مشيت عليها ترن ويرجع لك
الصدى من عمرها القديم . يقولوا لك . هنا نيوتن بان يقف ف
طرف تربيعة ويضرب الأرض برجله ويقيس المدة بين الصوت
والصدى . نيوتن السرحان الى أستاذة حسبه غبى وقال له روح
لأمك يا شاطر اكتشف الجاذبية ورجع استاذ ف كليته الى اتبرأت
منه . وقبل ما تخرج من الباب تلاقى كنيسة ع الشمال . تخش
الكنيسة تلاقى نيوتن نفسه مصبوب ف رخام . تبص له زى ما
كان ورد زورت ببص له أدى ميه وخمسين سنة من شباك أودته
ف كلية سانت جون .

وتلاقى لورد تنيسون قاعد جنبه من ناحية ملابسينه صندل
رومانى وتوينكا رومانية ودقنه الغزيرة بتقطر شعر ومعانى وتلاقى
مكسويل وهيوليت قاعدين جنبه من الناحية الثانية ف تواضع
شديد . دخلت كلية سانت جون لقيت واحد صاحبى ساكن ف
نفس الاودة الى كان ساكن فيها ورد زورث . ياريتنى كنت محله
.. تخش لجوه شوية تلاقى قنطرة مبنية ومسقوفة على شكل قوص
تعدى عليها للثلاث الورانى من الكلية أو تقف عليها تشوف نهر

الكام ينساب تحتها زى التربة الابراهيمية . دى قنطرة التتهادات
بيسموها ، وان سالت بيسموها كده ليه يحكوك أسطورة جميلة
عن لورد كان تلميذ ف سانت جون وحب واحدة متجوزة أو من
العوام مش فاكرك حب عنيف من يأسهم كانوا يتقابلوا ع الكوبرى
دا ويتتهدوا على غرامهم العقيم . الحكاية أصلها بكل بساطة ان
قنطرة التتهادات بتاعت كامبريدج اتبنت على نمط البونشى دى
سوسبيري ، يعنى قنطرة التتهادات بتاعت البندقية ، قام أخذت
اسمها . أول مارحت جديد الاسم جذبنى لدرجة انى كنت أروح
هناك كل يوم وأتهد ، مش على غرام ضايع لكن ع الحاضر اللى
هايبقى ماضى والنعمة اللى ها اطلع منها بعد أربع سنين . ياما
كنت أقف على قنطرة التتهادات وأسيب بصرى يجمع صور النهر
الملفلف والكبارى اللى محنية عليه كنت أتأمل وأتأمل ف كوبرى
كلية قلير عشان بس اكتشف ليه أصحابى الانجليز كانوا
هايتجننوا بيه ، مافيش فايده . وف سرى كنت ألعن كريستوفون
اللى بنى كاتدرائية سانت بول قام الناس بتشوفها معكوسة ف
بقية أثاره وكباريه ، اللى يسوى منها واللى مايسواش ولا تطلع
زهرة الكروتاس كنت أقف على قنطرة التتهادات وأتفرج ع التلامذة
ف القوارب عريانين بيزقوا المدرة والبئات بتوعهم راقدين فيها

مسلطحين بيقروا رواية أو بيحملوا باللى هايعملوه لما النهر يرميهم
بره البلد خالص عند مرابط العشاق . أشوف كدا واتحسر ع
النيل وخيمة الحداد المضروبة عليه ف الشتاء وف الصيف .

أروح حتة يقولوا لى دى شجرة القوت بتاعت متلون ، أمشى
بحذا الكام يمة كلا يهايد يقولوا أنت ماشى ف سكة ملتون و. أ. ا
، هاوسمان اللى اتفسحوا فيها ونظموا القريض . أوصل كلايهايد
آلاف البر المشهور اللى فات عليه جون جلبن اللى ف قصيدة وليم
كوبر ، أخش أشرب لى شوبين بيره للذكرى واطلع أدفع بنس
ضريبة مخصوص عشان أمشى ع الكوبرى اللى نط من عليه جون
جلبن بحصانة عشان مايدفحش البنس اللى أنا دفعته ، أقوم أشيل
ف جيبى التذكرة الزرقا اللى الحارس عطاها لى مقابل البنس
واحتفظ بيها لحد دلوقت . كل دى تفاصيل يمكن مالهاش معنى
عندك ، إنما عندى أنا هى مادة الماضي . أمشى بحذا الكام ف
الاتجاه المضاد لحد جوانشستر ألقى بركة بيرون وبيت روبرت
جروب والناس يدلونى ع المكان اللى كانت فيه طاحونة شوسبر
وأفكر روايته القبيحة « حكايات كانتربرى » اللى تلامذة كامبريدج
الأشقياء كانوا بيرحوا بالليل يناموا مع مراة الطجان ويرجعوا قبل
وش الفجر يتسللوا ف كلياتهم . الكلام ده خد بالك كان ف القرن

الرابع عشر . امشى ف الشارع الى بيغير اسمه كل خطوتين
اسمع حيطان الكليات قاعدة تهمس وتكايد بعض :
بيتر هاوس : أنا أقدم كلية . أنا طلعت الشاعر جرای .
كلية كوريوس : أنا طلعت سبنسر ودرایدن .
كلية كنجز : أنا أشطر كلية . أنا أخت ايتون . أنا طلعت
ادموند ولروبرت والبول وأ . أ . هاوسمان . أنا عندي أحسن
أساتذة الآداب والاقتصاد .
كلية ترينتي : أنا أشرف كلية .. أنا طلعت نيوتن وماكولي
وتنيسون وماكسويل وترمسون وفريزر . أنا عندي مخطوطات
ملتون وتنسيون .
كلية سان جون : أنا أذكى كلية . أنا طلعت ورد زورث ويرون .
أنا عندي أحسن أساتذة ف الرياضة .
كلية مودلين : أنا أغنى كلية . أنا طلعت دكتور ريتشاردز
وأوجدین وولیم امبسون .
كلية جيزاس : أنا زشطر كلية ف الألعاب . أنا دايمًا أكسب
سباق القوارب .
كلية كرايستس : أنا طلعت ملتون ودارون ودا كفاية على .
إذا كنت عاوز لسته أوفى من دى شوف كتاب لوجستين بيريل

اسمه « أوبيترديكتا » . أهو طول ما أنت ماشى لازم فيه حاجة
عاوذة تقول لك حاجة . بس اللي عنده ودين يسمع . أنا باكتب
الكلام دا جنب القلعة لزق . فيه جنب القلعة لزق درب اسمه درب
اللبانة ساكنين فيه شوية فنانيين أو على الأصح فاتحين فيه
ستوديوهات . وكل ما أرفع عينى وأنا ف ستوديو رمسيس يونان
ألاقي القبة الكبيرة بتاع جامع ما أعرفش اسمه عليها نقوشات
زى نقوشات اللي على أكتاف القواصين بتوع السفارات والحجاب
المهيمن . وتحت القبة مخطوطات على شكل البنور اللي لما تبص
فيه للشمس تشوف ألوان الطيف بس دول بقى مخطوطين ف
الحجر ، الفنانين ف كل الدنيا زى بعض ، يدوروا على أقدم حطة
ف البلد يسكنوا فيها والحاجة ماتبقاش « بيتوريسك » عندهم إلا
إذا كانت مهدمة أو لحسها الزمن . أنا كمان عشان مصاحب
فنانين با أعمل زيهم . الماضى هو البرج العاجى اللي الفنان يهرب
له كل ما يقرف من الحاضر ، مش لأن الماضى فعلا جميل أو
خالى من الأحزان لكن لأن البعد يطمس البشاعة ويزيد الغموض
والنفس الشاعرة تحب الغموض أن الغموض بيكثر المعانى .
شوف الذاكرة بتشتغل ازاي تفهم الفنان .. من طبيعة الذاكرة انها
تنسى بسرعة ساعات الألم وتفتكر الاختبار الجميل . عشان كدا

احنا بنتحمل الحياة . لو كان الانسان بيفتكر بوضوح المواقف العصبية اللي مالهاش عدد ف حياته كان كل واحد انتحر . والحياة عدو الموت ، واحنا أحياء . دا عن الماضي . أما عن المستقبل فحكمه حكم القاضي . إذا كان الانسان ييشوف بوضوح المتاعب المكتوبة ف سفر الغيوب برضه كان كل واحد انتحر . هو الوتر الأخير ف القيثارة اللي ف صورة واطس عن « الأمل » ، هو اللي بتسمعه ، وطول ما بتسمعه أدحنا عايشين . واللى مايتسمعوش بالنسبة لنا مش موجود . والرحمة للناس اللي سامعين انهم مش سامعين بقية الأوتار ، والويل للناس اللي عارفين انها انقطعت من زمان . كل واحد فينا بيحن للماضي ، وعشان كدا تلاقى كل واحد فينا على رأى هوراس .

يعنى يقول لك « الجيل دا فسدان . دا احنا ف أيامنا كنا بنعمل ونعمل » دا منطق الخيال مش منطق العقل والفنان اللي خياله شديد زى روسو اخترع أن فجر الانسانية كان عصر ذهبي كله حلاوة ونور بعبارة ماثيو ارنولد ، واخترع أسطورة أن الانسان الأول كان « همجي نبيل » .. التمرد ع الحاضر والحنين للماضي مافيش شك انهم أحيانا معقولين لهم فائدة لكن ف أحوال كثيرة بيبقى مالهش مناسبة ومجرد عاطفة شعرية أنا أفضل التمرد ع الحاضر والأمل ف المستقبل .

كل واحد متضايق من عصره ، ويقول أنه عصر مادي وحش
وان العصور اللي سبقتة كانت أحسن منه . واللى يسأل أى واحد
عايش دلوقتى برضه يقول نفس الكلام . التشاؤم قديم من أيام
إمباز وقليس والمسيح . دا يوريك ازاي الحكم دا حكم عاطفى .
اللى حاصل هو أن الروح الحساسة بتكون تعبانة ف كل عصر لأن
فيها بذرة نظام مش موجود ولازم يتوجد . والماضى دايمًا بيسحر
الأرواح المتمردة لأنه ملفوف ف هالة من السكون البعيد وغموض
اللى يملأه بالمعاني . على العموم مجرد أن تفاصيله المؤلة مش
معروفة دا كفاية بديله مسحة جمال .

كامبريدج دلوقتى لأن حواليتها هالة غموض ، لأنها باينة لى
على البعد زى قرية قديمة داكنة منسية فيها أجراس ، لأن شايف
الاقباء بتاعت كلية ترينتى ساكنة ومهجورة وسير جيمس فريزر
بيديها نظرة وداع زى ما تقول صورة « الغزلة » بتاعت جورجيو
كيركو . دى كامبريدج صحيح لكن مش كل كامبريدج .. الأجراس
نفسها اللي بتناديني دلوقت من ورا البحور كانت يوم من الأيام
بتفلق مزاجى ، لا تيجى كلها ف مناسبة واحدة تضرب مرة
واحدة، تضرب على طول ، تضرب ف كل مكان ، ومافيش عنها
نجاه .. وأمواج الكام الصغير اللي دلوقتى بتغنى ف ودنى هالويا

كانت أحيانا بتقفل نفسى عن الوجود ، نفسى اللى عايزه موج المحيط واللاحدود . ولجمال المتجدد دا . ان كان ف الطبيعة أو ف العمارة أو ف صحبة الأحياء أو ف الحلم بالماضى ، الجمال دا ياما انطمس قدامى وأنا هناك . مش انطمس صحيح لكن خلص بعد ثلاث سنين زى ما تقول راجل عرف كل خط وكل قوس وكل نسبة ف جسم مراته قام رمى توبه على كتفه وخرج يدور على خطوط جديدة . البطر . لولا البطر ما كناش نبقى بنى آدمين . دا احساس بودلير واحساسى أنا كمان . كل الحاجات دى اللى جابت لى الملل وقتها هايجى . خلينا شوية مع بعض ف الجمال المنسوخ والجمال البعيد والصورة اللى مش عارف هاتبقى مادة تانى ولا لا .. خلينا واقفين تحت الشلال مبلولين بنبص للكام الدافق ونسمع السحب بتمزق ونخاف زى الانسان الأول ونعمل شعر .

وف نهاية الأسبوع ناخذ غدانا ونمشى لحد كاتدرائية ايلي ونتمشى ف دهاليزها النورماندية ونفتكر الفرسان والأساقفة ومعارك النبال وتاريخ الصليب .

حتى البنات اللى مخهم مافهوش فكرة واحدة مهمة وريحتهم سمك ويطاطس اللى قابلناهم ف مرقص الرانديفو ورقصنا معاهم

تلات سنين وماكلقوناش حتى تمن عشوة نضيفه ، دول باينين ع
البعد زى سمك ف تيار الحياة الحقيقى ، وريحتهم مش أوحش من
زيوت الشعر اللى ف خصل أسيادهم ، ومخهم مافهوش فكرة
واحدة مش مهمة مخنا ، احنا اللى خرجنا من تيار الحياة وقعدنا
ع الشط بشبك مقطوع .

عروس الآلة

المؤدب بتاع كلية الملك ، مستر رونالد بيفس ، كان ف الجناح بتاعه ف الكلية ساعة مادخلت يوم ٤ ديسمبر ١٩٣٧ . سمين شوية وله كرش ملحوظ والواحة عريضة وييدرس أدب فرنساوى أنا عمر ما حضرت له محاضرة لكن من المحادثات الكثيرة القصيرة معاه عرفت بعدين انه بيفهم ف شغله كويس . على العموم كان فيه حاجة واحدة على الأقل مشتركة بينه وبين الفرنساويين .. صفة المرح . كان شخص مرح وسمين ومليان عطف أدبى . سألنى عن دخلى الشهرى وظروفى عشان يعرف أنا أقدر أسكن بكام وعطانى عنوان بيت أسكن فيه طول أجازة الكريسماس وعنوان بيت تانى أسكنه من يناير على طول أن حببت . قلت له :

– الاستاذ بتاعى ف مصر ، مستر فيرنس ، قال لى انه أحسن لى أن أسكن ف الكلية لو أمكن .

الرجل فكر شوية وبعدين قال بكل بساطة .

– مادام كدا ، أنا ها حاول ف المستقبل ، يعنى بعدين قوى أشوف لك أوده جوه الملكية . دا ضد السياسة بتاعتنا لكن مادام المستر فيرنس شايف كدا أنا ها اجتهد .

خفت شوية من كلمته . يعنى ضد السياسة بتاعتنا ؟ خطر لى
انه عشان أنا مصرى يقوموا يسكنونى فى بيت بره الكلية .
الواحد لما يكون أجنبى ف بلد يبقى رأسه مليانة شكوك . ولما
يكون مصرى ف انجلترا بتبقى الشكوك مالیه كل تصرفاته ولما
يكون مصرى غامق زى حالاتى يبقى طول الوقت ماشى مرجوف .
قصدي المدة الأولانية طبعاً . يعنى طول ما هو حاسس انه دخيل .
بلعت ريقى وسألته .

– انتو سياستكو ماتسكنوش « أجنب » جوه الكلية ؟
مستر بيفيز ماضحكش قام رجفنى زيادة ، وكانت ثوانى قليلة
عزقت فيها تمام وأنا منتظر الرد الرهيب « أيوه » والاعتذار
الشكلى اللى بيجى عادة بعدها عشان يخفف الصدمة فتح بقه
وقال :

– لا ، احنا عادة بنحجز أود الكلية للتلامذة اللى جاين من
ثانوى جديد عشان نول سنهم صغير وعاوزين رقابة أكثر .. أما
التلامذة اللى متخرجين وقاعدين للبحث فدل بنسكنهم ف بيوت
خاصة زى البيوت اللى أنت هاتسكن فيها .. على فكرة خد أدى
نسخة من قانون الكلية وأدى نسخة من قانون الجامعة أقرأهم
كويس قوى من فضلك وحاول أنك ماتكسرش اللوائح ..

أخذت الكتابين وحصل ف قلبي رعبه . برضه الناس دول مش
بطالين زى ما كنت فاكّر ..

— أنا انبسطت خالص اللى عرفتك يا عوض .. إذا كنت تحتاج
لأى حاجة بس تعال لى . أنا هنا من خمسة لسبعة كل يوم الا يوم
الحد .. مع السلامة .. وابقى تانى مرة ابقى تعال لابس الروب
ومعاك الكاب ..
— جود باى سير .

من كتر ما أنا مستعجل على قراية اللوايح مشيت اقرأ فى
السكة واتهيأ لى أن الكتب اللى فى ايدى دي مفتاح الوجود
الجديد .. حتى بدل ما أروح أدور ع البيت اللى ها أنام فيه رحت
قهوة قدام الكلية لطع عشان ادرس اللوايح لقيت نفسى قدام عدة
كبيرة غريبة جديدة على قديمة ف عمرها .. وابتديت أفك تروسها
وامتحنها واحد واحد ..

عرفت اننى لازم اطلع من القهوة اشترى لى روب مخصوص
وكاب ، وان ما ادخلش من غيرهم ع المؤدب أو العميد أو الأستاذ
المشرف على أو أى واحد له صفة رسمية أو المحاضرة أو مكتبة
الجامعة أو كنيسة الكلية .. عرفت انى لازم ألبسهم ف الشارع
وف القهوة وفى كل حنة أول الشمس ماتغيب وانى إذا

مالبستهمش وانظبطت ادفع غرامة كل مرة حوالى ثلاثاشر شلن
عن الروب وتلاتاشر عن الكاب . (التلامذة اللى مش متخرجين
يدفعوا نص المبلغ دا) . كمان عرفت أن كل كلية ليها بيوت
مرخصة يسكنوا فيها التلامذة اللى مافيش محل ليهم ف الكلية
وان البيوت دى خاضعة لكل القوانين بتاعت الكلية ، وانى لازم
أسكن فى بيت مرخص وما أطلعش من بيتى بعد عشرة مساء وما
أرجعلوش بعد نص الليل وما أدخلش واحد صاحبى ف بيتى بعد
عشرة وما اسمحلوش يقعد بعد اتناشر وما اخليش واحدة
صاحبتي ف بيتى بعد عشرة - إلا طبعا إذا الواحد اخذ تصريح
من المؤدب ، والمؤدب ما بيديش تصريحات علولا ، لازم يكون فيه
سبب معقول .. كمان عرفت ان صاحبة البيت لازم تقفل الباب
الساعة عشرة بالدقيقة وكل دقيقة اتأخرها بره بعد كدا لازم
تبعثها ف كشف أسبوعى للمؤدب وف الكشف ملاحظات انى
دخلت بلبس الجامعة ولا من غير لبس الجامعة .. كمان قرئت ف
التعليمات ان التلامذة لازم يياتوا ف كامبريدج ثلاث فصول ف
السنة وكل فصل تمان أسابيع ومايسيبوش البلد الا باذن من
المؤدب وان نسيوا يمضوا اسمهم فى الكلية لما ييتدى الفصل
الدراسى يضيع عليهم الفصل كله . غير كدا كل واحد لازم يتعشى

ست مرات ف الأسبوع مع بقية التلامذة ف صالة كليته ، ولأزم يختار له أستاذ يشرف عليه فى الدروس ولأزم يسبب البلد مدة الاجازات مادام ما عندوش ترخيص بالقعاد ولأزم يحلف انه يحترم قوانين الجامعة ولأزم مايروحش البارات الممنوعة ولأزم يدور المؤدب بتاعه أول مايجى من الاجازة عشان يسلم عليه ولما يجى نازل الاجازة لازم كمان يزوره عشان يقول له مع السلامة .. الواحد كمان لازم يحى المفتشين بتوع الجامعة اللى بيزبطوا التلامذة اذا قابلهم ف الشارع ولأزم وهاقول لك ايه وأسبب لك ايه .. سلسلة ماتنتهيش من القيود ..

ودا مش كل حاجة .. بعدما قعدت مدة كافية عرفت أن القيود نفسها نوعين .. نوع مكتوب زى اللى قلت لك عليه ونوع محفوظ ومتوارث بالتقاليد .. وقع ف ايدى كتاب .. مش رسمى طبعا ، اسمه « ماتعملش » كله نصايح للتلامذة الجداد على الحاجات اللى مش لازم يعملوها .. كتاب يضحك صحيح .. مثلاً يقول لك ماتبصبص لبنت صاحبة البيت اللى أنت فيه انما بصبص لبنت الجيران ..

أو ماتسرقش بسكيتات التلامذة الفلانيين واسرق بسكيتات التلامذة الفلانيين ..

وف وسط ما أنا بأقلب اللوائح الرسمية لقيت حكاية ألطف من
دا كله .. لقيت بند يقول انه لا يجوز لغير المتخرجين أنهم يلعبوا
بلى على سلالم ادارة الجامعة .. طبعا اللي يعرف الانجليز كويس
يعرف أن المسألة لازم كان ليها مناسبة فى تاريخ الجامعة بعد كدا
عرفت أن الدستور الانجليزى بيعح للملك انجلترا أنه بيع الأسطول
الانجليزى ويسرح الجيش وانه يفتح كل السجون ويطلع كل
المساجين ويتصرف فى مقاطعة ويلز زى ما هو عاوز يديها لواحد أو
بييعها على كيفه لأنها ملكه الشخصى . لكن مابسمحلوش يدخن
سيجارة فى الحفلات الرسمية .. بعد كدا عرفت أن ملك الانجليز
لازم يحلف فى اليمين انه يضطهد الكاثوليك ويدبحهم منين
مايروحوا .. بعد كدا عرفت أن مافيش نقابة غير نقابة الصياغ فى
لندن ليها الحق انها تعوم بط فى نهر التيمس .. بعد كدا عرفت أن
رئيس الوزارة فى انجلترا ما اعترفوش بيه رسمى واعطوا له مرتب
الا سنة ١٩٣٧ .. بعد كدا عرفت أن الشعب اللي أنا عايش فى
وسطه شعب معقد عايز مدة طويلة وانتباه شديد بشأن الواحد
يفهمه .. ويوم مافهمته بطلت بلى على سلالم ادارة الجامعة ..
طلعت من القهوة على ترزى اشترى عدة الشغل ، لقيت المسألة
مش بسيطة زى ما كنت با اتصور فهمت فيه أنواع كتيره من

الرويات ، الطويل والقصير وابو شرايط زى الشاويشية وابو
شراريب والمكشكش من ورا والأحمر وابو درعات مقفولة وابو
دراعات مفتوحة ، اضريت أقول للترزى ..

- طب استنى لما اسأل المؤدب وارجع لك ..

- أنا أعرف كل حاجة ، بس أنت قول لى إنت ايه ..

حكيت له كل حاجة عن كليتى والدرجة بتاعتى والدرجة اللى با
اشتغل لها ، قام بسرعة دخل وجاب لى اللبس المناسب .. وقبل ما
ياخد الفلوس قال لى ..

- مش لازم لك كوفية ياسيدى ؟

- كوفية بتاعت ايه ..

- هنا كل كلية ليها ألوان مخصوصة وفيه كوفيات عليها ألوان
الكليات دى مثلا كوفية كليتك .

وراح صاحب لك كوفية مقلمة أبيض على بنفسجى طولها متر
ونص بالضبط أول ماشفتها فرحت ..

- ودى تطلع بكام ؟

- سبعة شلن وستة بنس .

يابلاش .. يعنى أول ما أطلع من عند الترزى ها أبقى زى زى
الأولاد اللى شفتهم راكبين بسكليتات وكوفياتهم طايره ف الهوا

بعد كذا عرفت ان فيه ألف حاجة كمان عليها الوان الكلية وشارة الكلية من علية السجاير الجلد لورق أموابات لزاير القمصان لجا كتاب الصيف .. حمى الشرا راحت وابتديت أفكر بعقتل ..

الست اللي سكنت عندها الأول - مسز ميرسر - ف شارع نيونان ، كانت وليه طيبة وشكلها وحش وطولى مرة ونص . جوزها كان أعمى وكان طول النهار بيشتغل ف الورق البارز دا بتاع كتب العميان ، وفهمت منها انه بيكسب كثير من الشغلة دى لانه بينقل كتب للناس المساكين اللي زيه . لما مسز ميرسر عرفت انى مصرى انبسطت قوى وقبالت لى انها عاشت مدة طويلة ف مصر هى وجوزها أيام ما هو كان سبائس ف جيش الاحتلال وهيه كانت وصيفة عند مرات واحد من القواد ..

الراجل كان يجى عندى الاودة كتير ويدردش عن مصر سنة ١٩ . وصف لى الثورة والتلاميذة والاغتيالات وقال لى انه عمى بسبب ضربه ف مظاهرة من المظاهرات . ف الواقع ما عرفش أجدد شعورى ازاي . بالتاكيد أنا تأملت له شوية .. طيب وأهلى اللي قتلهم ؟ وازاي أقبل أسكن عند واحد كان يوم من الأيام يركع ف الشوارع ورا كسين رمل ويفتح المترليوز على أهل بلدى ويحصدهم بالميات .. طبعا هو مالوش ذنب لأنه بيتنفذ أوامر ، ولو

كانوا قالوا له أمسك كل مصري تقابله ف السكة وبوسه ع
الخدین كان برضه عمل كذا .. الحقیقة امتعضت من المؤدب بتاعی
لانه عارف كل حاجة ومع ذلك بعتنى عنده ، لكن مافكرتش كتیر ف
الموضوع وقلت غالباً مصادفة أو اضطرار أو ما يعرفش أو الراجل
نسى ..

كان لیهم بنت اسمها جون لسه بتروح المدرسة ، تديها
تمنتاشر سنة وهو اربعتاشر .. نويه جون اخدتنى تفرجنى ع
البلد، لكن ياريتها ما اخدتنى .. كانت تقف كل خطوة والثانية
تقول :

- دى كلية كذا .. ودى كلية كذا .. انتو عندكو فى مصر
كليات .. ؟

- أيوه يا جون..

نمشى شوية نلاقى جنينة..

- انتو عندكو ف مصر جناين؟

- أيوه يا جون..

نمشى شوية ويفوت الاتوبيس تقول:

- انتو عندكو ف مصر اتوبيسات..

- أيوه يا جون..

وشى احمر من الزعل والكسوف، لكن كتمت شعورى صاحبتنا
فاكره احنا ايه؟ متوحشين..

فتنا على عامود نور وفعلنا قالتها.

- انتو عندكوف مصر عواميد نور؟

ما احتملتش.. قلت ف منتهى الحدة:

- طبعا عندنا.. انتى فاكركه احنا ايه؟ حيوانات؟ أنا لازم

اشكيكى لابوكى.. يللا رجعينى البيت..

أنا متأسفة قوى، أنا بس باسال. أنا أعرف أن مصر صحرا

وفيهها بدو. مافيش فائدة انها تعتذر.. أنا لازم اشتكيها.. اتارى

فيه ناس كتير ف انجلترا فكرتهم عن مصر انها صحرا واسعة

سختة ومغروزة وسطها هرم وكام نخلة.. بقى دا الشعب اللى

بيحكم العالم، بقى فيه فلاح عندنا مهما كان أمى يغلط الغلطة دى

من الاقرنج أو الهنود؟

واحنا بناخد شاى أبوها قال:

- ماتاخدش عليها يا مستر عوض، دى لسة عندها أربعناشر

سنة.

مسكينة جون. لازم أبوها ويخها. أنا ندمان دلوقت اللى عملت

الدوشة دى كلها.. بعد كدا عرفت أنه مش بس البنات اللى عمرهم

أربعناشر سنة بيغلطوا الغلطة دى لكن كمان تلامذة الجامعة اللى
عمرهم تمتناشر سنة وعشرين ومتعلمين وولاد ناس. مرة مثلاً كان
مستر برين ديفيز رئيس قسم اللغة الانجليزية الحالى ف كلية
الآداب بعث لى جواب أنى أروح اتعرف بواحد صاحبه أستاذ ف
جامعة كامبريدج اسمه جليم ديفيز بيدرس لغات كليته. رحى له
يوم حد لقيت العيلة كلها ملمومة ع الشاى وترحيب كثير من النوع
اللى يستنى دين ف رقبك طول ما أنت عايش لكن بروفيسور جليم
ديفيز دا كان له ابن طالب ف كلية سان جون بيدرس علم حياة..
الشاب دا طول الوقت قعد يسألنى أسئلة مربكة ف منتهى
السخافة لحد ما أبوه سكته. من ضمن الحاجات اللى قالها:

- انتوف مصر بتستحموا باللبن؟

ما أعرفش ايه اللى عطا له الفكرة الغريبة دى.. لو كنت عارف
أنه بيكلم عن البشاوات بتوعنا كنت قلت له.. ويناكل ذهب وينشرب
دموع المساكين كمان.. لكن أنا كنت عارف أنه بيتكلم جد..

قام رديت..

- ياريت..

- انتوف مصر بتقعدوا تحت النخل وبتفتحوا بقكوا والبلح

يسقط فيها؟

– طبعاً لا..

لو كنت فاكراً إنه بيحكم بالمجاز كنت قلت له «أيوه» لأن احنا ف مصر بنعمل حاجة زى دى تقريبا.. بنقعد تحت نخل الحكومة والماهيات بتسقط ف بقنا.. ما بنطلعش بدرع ورمح عشان نخوض معترك الحياة ومنتزع اللقمة من فم الأسد.. لكن بنرقد على حصيرة وسخة زى فقراء الهنود ونبتع الحمام يلم لنا أكلنا ونسبب الأجانب يعملوا لنا شغلنا. لكن أنا فاهم أنه بيحكم جد ف جد.. فهت أن فيه ناس كتير ف انجلترا ما يعرفوش عن مصر غير الكلام اللى قروه عنها ف التوراه....

على أى حال أنا زعلت لما سبت المسز ميرسر بعد كام أسبوع ما انتهاش ديسمبر سنة ١٩٣٧ ألا وأنا ساكن مستقر أربعة وعشرين قيراط عند مسز ويلكسون ف ١٢ جاردن ووك.. مستقر بدرجة أنى عشت معاها ثلاث سنين ورا بعض ولولا أنى كنت راجع مصر ما كنتش سبتها..

لقيت ١٢ جاردن ووك من بره زى كل البيوت اللى ف نفس الشارع من بره برضه واطى ومعمول من نورين ومبنى بالطوب الأحمر اياه بس الزمن غمقه شوية وسقفه جمالونه، ليه زى العادة جنينة صغيرة من قدام محوطة بسور حديد واطى والدور الأرضى

كله من الخارج عبارة عن باب خشب وعلى يمينه شباك انجليزى واحد شاغل كل واجهة الاودة ومضلع وطبعا بارز لبره ومالوش شيش وعليه ستاير خفيفة.. دخلت البيت لقيت الدور الأرضى عبارة عن أودتين صغيرتين أوده ع الشارع بتاعتى وأوده من جوه بتاعت مسز ويلكسون تطل على جنية البيت الأصلية الكبيرة من ورا. الاودتين كانوا أود جلوس ع الطريقة الانجليزية دخلت أودتى لقيت فيها طقم كراسى انجليزى.. فوتيلين وكتبه فى الحيطه اللى ف اللوش على طول شفت الدفاية السوداء، ويظهر أن صاحبة البيت كانت لسه بتنضيف فيها..

وف الحيطه اللى جنب الباب على طول الكنية كانت مسنودة والفوتولين واحد كان محطوط على يمين الدفاعية وواحد كان محشور فى ركن الاودة اللى على شمال الدفاية.. وبين الدفاية والكنية كان فيه ترابيزة سفرة مربعة خشبها تقيل قوى وعليها مفرش ملين رسومات أزهار مش موجودة فى طبيعة، ومسنود ع الحيطه الشمال تلاقى البوفية خشب جوز فاتح بيلمع دوروين وفيه كان كرسى سفرة وعند الشباك كان فيه درج يفتح لتحت بمفصلات عشان كتابة الجوابات.. وع الحيطان كان فيه شيالات كتب فاضية معلقة بمسامير.. ثلاث شيالات، واحدة على يمين

الدفاية وواحدة على شمالها وواحد تقريبا فوق الكنية بالشكل دا
الاودة باينه مكبوسة عفش يعنى لو حببت تدخل فيها فوتيل كمان
يبقى مستحيل، وبالنسبة لحجمها كان واضح أن مافيهاش شبه
فراغ، بالأخص عشان السقف كان واطى الأرض كانت مكسية
ببساط ثقيل قوى وقوى ويرضه ملون بأزهار حمرا كبيرة وبايخة
وأبوخ منها كانت الأزهار اللي مالهاش عدد اللي ف ورق الحيطان
والأزهار المطبوعة على كسوة الفوتيلات والأزهار اللي كانت
منقوشة ومشغولة باليد ع المخدات بتاعة الطقم الانجليزى، وأبوخ
من الكل بقى صورة هدهد ألوانه زاهية معمول ع المصيص برواز
مدور كان معلقا على يمين البوفيه وصورة تانية أدها بالضبط
وشكلها بالضبط بس فيها صحبة زهور ومعلقة على شمال
البوفيه.. يعنى أنا كنت عايش ف بستان غصب عنى.. نوق العصر
الفكتورى تمام ودى مش غريبة لأن مسز ويلكسون كان عمرها
فوق الستين.. ف الأول - الألوان الزاهية هجمت على القرنية
بتاعتي واشبعت الحواس بتاعتي زى الخرز الملون والأصداف
مايترضى الحواس الفطرية بتاع الهمج.. لكن بعد ماعشت ف
البيت ابتديت أكرهها. ولولا أنى بطبيعتى متساهل ومخى دايم
مشغول كنت عزلت من البيت بس عشان الأثاث المجليط دا.. غير

عمري ما حسيت أن فيه حاجة نقصاني، كنت أطلع الدور الأول
بسلم وألاقي ف وشي الحمام وأحود يمين على بسطة خشب طويلة
شوية ألاقي باب أودة نوم مسز ويلكسون ع الشمال وف الوش
باب أودة النوم بتاعتي وألاقي الأودة برضة تطل على الشارع
بشباكين صغيرين مش مضلعين انما زى العادة بس طبعاً ليهم
قزاز بس ومالهوش شيش. كان فيه سرير كبير مودة قديمة وبولاب
معمول قبل سنة ١٩٠٠ وشيفونير برخامة ودفاية عمرها ما
اشتغلت وكان الله يحب المحسنين.. البيت قبل ما انسى كان له
جنينة طويلة قوى كنت أشوفها من أودة الحمام وعمري ما فكرت
أنى استعملها..

قعدت ثلاث سنين ف البيت دا ما عملتش أى تعديل فى الأثاث
كل اللى عملته أنى مليت شيالات الكتب كتب ولما اشتريت كتب
تانى خلّيت مسز ويلكسون تجيب لى شيالتين تانى حطيتهم على
شمال الباب لطم وكانوا شوية بيعاكسوا المرور.. بعد كدا كنت كل
ما اشتري كتب كنت أحطها فى الشيفونير والدولاب مع الهدوم..
دا كل التغيير اللى عملته.

من أول شهر ف كامبريدج ابتديت اصطدم بالقيود وأحس
بشد النظام.. بقى أنا جاي من جامعة «زمنية» خالص.. حرة

خالص، وعمر واحد قال لى ف مصر أنت رايع فين أو بتعمل ايه..
طول عمرى ساكن لوحدى ومعاية مفتاحى أبات بره على كیفى،
أجيب أصحابى يياتوا معاية على كیفى.. أذاكر ما أذاكرش
مافیش على رقیب.. أبص بين يوم وليلة ألقى نفسى مسلسل
بالشكل دا.. ابتديت أفكر فى معنى القيود، وطلعت بنظرية ثورية
من أول شهر.. اللى خلى التمرد ياخذ شكل محسوس لأول مرة
أنى كنت ماشى يوم اتفسح ف البلد يوم راس السنة أنا قابلت
واحد صاحبى..

- فيه رقص ف قهوة الدوروثى الليلة الساعة اتنين.. أنت جاي؟
- لا ماعنديش خبر.. لكن أحب أجى..

- الساعة دلوقتى تمانية، وأنت ماتقدرش تقابل المؤدب بتاعك
بعد العشا عشان تأخذ منه أذن بالسهر..
- طب وايه العمل؟

- زى بعضه، تعال وابقى روح قبل اتناشر.. أو إذا كانت
صاحبة البيت لطيفة خليها ماتكتبش حاجة ف الكشف..

- طب خلاص أنا جاي.. الساعة ٨ أقدام الباب..

- لازم تغير بسرعة عشان مافيش وقت..

وصلت البيت ف ربع ساعة ولبست ف كمان ربع.. وبعدين
خبطت على مسز ويلكسون.. حكيت لها الحكاية وطلبت منها
المفتاح..

- ما أقدرش أدليك المفتاح.. ولأزم اكتب التأخير..

- ليه؟ هوه حد ها يعرف؟

- أنا ماليش دعوة، أنا عندي لوايح بانقذها..

حصل أخذ ورد. ف الأول منطق وملاينة ويعددين طلب عنيف
وأصواتنا طلعت ف شكل كريشندو كامل لذيد إذا كان واحد
سامعه من خرق الباب.. ولما ظهر لى أن مافيش فايده شتمتها.
- أنتى باين عليك تفكيرك ضيق..

- أنت مالكش حق تقول لى كذا.. أنا اشتكيك لمستر بيفس..

رحت صاحب الروب والكاب ورزعت الباب ورايا.. وف السكة
كنت زى واحد بيقع ف الخطية جديد أكسر القانون والا ما
اكسروش، يعنى أيه واحد زى راشد يعاملوه معاملة عيال أنا طول
عمري رقيب على نفسى ومش محتاج لرقيب من بره.. لكن همه
مالهم؟ دا نظامنا، عاجبك، مش عاجبك لم حاجاتك وامشى.

أنا كنت متأكد طول الوقت أن وجود القيد هوه اللى خلانى
عاوز اكسره أنا طول عمري عندي حرية لكن عمري ما أسأت
استعمالها صحيح. أنا مش عاوز أسهر بره لكن لما ييجى مستر
بيفس أو أى قوة ع الأرض تقول لى ماتسهرش بره أعمل بالعامد
واسهر.. دا مفتاح شخصيتى، وافتكز زنه فيه ناس كثير زييى..

أنا لازم أروح لمستتر بيفس واطلب أنه يعفينى من كل القيود
الصبيانية دى.. لازم..

رحت الرقص.. واتعرفت بناس وغلطت كان غلطة وف الآخر
اتركت ع البار وقعدت اشرب واتفرج ع الناس. الواقع حتى دا
كان اختبار جديد بالنسبة لى.. قبل ما أروح انجلترا كان كل اللى
أعرفه عن أفراح الأوروبيين أن كل راجل ياخذ ست ويحضنها
ويقعد يلف معاها حوالين الاودة ع المزيكة، ويسمى دا رقص.. مرة
أو مرتين رحى صالات رقص ف ألقى بيه لكن ماكنتش فاهم
حاجة عن حركات الرجلين المزيكة الجاز طبعا كانت تبسطنى لأنها
سهلة وواضحة وحامية وأى حمار يفهمها لأن مافيهاش حاجة
تتفهم. لكن الفكرة العامة اللى كانت عندى عن الرقص الافرنجى
أنه أحسن من الرقص العربى ها أقول لك ليه أولا لأنى دايمًا
متحامل على العوايد الشرقية ويهاجم كل حاجة عندنا بمناسبة
ومن غير مناسبة، ثانيا لأنى كنت فاكر زى أغلب الشباب دلوقت
أن الإنسان مايقاش متمدن إلا إذا كان يعرف يرقص أفرنجى.
طبعا أول ما وصلت لندن حاولت أتعلم رقص، لكن بعد درسين
هربت وبقيت أتهم نفسى أن ودى مش موسيقية وأن رجلى
خيانة...

ليلتها رقصت مرة واحدة بس ولو كنت صحيح جنتلمان كنت
أخذت عنوان البنت اللي رقصت معاها واشترت لها جوز جزمة
جديد.. لكن الواحد لما يجى يدفع جنيه بينسى أحيانا واجبات
الجنتلمان ويقول ف عقله ما هي غالطتها، وهي اللي خليتني أرقص
وما دام هي عاوزة تضحك شوية لازم كمان تدفع تمن الضحك.
الصالة كانت بتطفح بالنور والورق الملون ع الأرض وعلى كتفى
وعلى صدور الناس التانيين، وف جزمتمى طرطور والساعة بتقول
حداشر والبق اللي بينفخ ف السكسافون متحمس والخمرة بتتألق
ف كل العيون، أنا ماكانش عندي سبب شخصى واحد يخلينى
انبسط فوق العادة لكن كنت مبسوط اللي كل الناس مبسوطين..
أنا نص السعادة اللي با أشوقها من النوع دا با استمدها من
قلوب الغير، سعادة موضوعية هادية، فات ف راسى المؤدب
وصاحبة البيت. أخاف من المؤدب ولا استقبل السنة الجديدة؟
الساعة اتناشر هايطفوا النور واسمع التلامذة والبقالين وموظفين
البنوك والهاملات وسيدات الأسر بيغنوا قصيدة روبرت بيرنز
ويبوسوا بعض ف الضلمة وأنا لوحدى ماليش اشرب نخب أول
واحد اكتشف السرور. والساعة اتناشر دقيقت قلبى بالفالز

المشهور اللى بينقط حنان وهمهمت مع الكوارس بصوت جوه
راسى عملته وما سمعتوش..

تانى اليوم المغرب كنت عند المؤدب..

- مستر بيفس، أنا عاوز اسكن فى بيت مرخص..

- ليه، حصل حاجة؟

- البارح اتخانقت مع مسز ويلكسون.. كنت عاوز أسهر وطلبت

منها المفتاح مارضيتش، شتمتها..

- هى ليها حق.. هى كانت بتنفذ القانون..

- دى خايفة ع الترخيص مش خايفة ع القانون..

- لا.. هى بتنفذ القانون..

- لا.. هى خايفة ع الرخصة..

- اسمع الكلام دا مش هايوصل لنتيجة.. إذا كنت عاوز تعزل

مستعد أوديك بيوت تانيه..

- ما هم كلهم زى بعض.. أياه الفايده انى أسيب مسز ويلكسون

واتصادم مع واحدة جديدة؟ أنا عاوز أسكن ف بيت حر..

- أنت عمرك كام سنة؟

- ثلاثة وعشرين..

- ابقى قول لى بعد أربع سنين.. دلوقت مش ممكن..

قال والله ولا فاك.. بعد أربع سنين أكون أنا با أقفل شنطى
ويا أرق على مصر.. الكلام دا مش بيغفرك بالمستر تشرشل لما
يقول أن بعد أربع سنين ها يكون انتاج مصانع انجلترا أكبر من
انتاج مصانع ألمانيا. الناس دول بيغفروا ازاي؟ هو العمر فيه كام
أربع سنين؟ يعنى الراجل داها يهزمنى، ابتديت أكذب بثبات.

- أنا مثلا متعود أدى سنين أنى أقطع مذاكرتى ف نص الليل
وامشى مسافات طويلة اعمل ازاي أنا دلوقت؟

الراجل مابنش عليه لمحة واحدة من الشك. ما أعفرش ايه اللى
خطر له ساعتها. إذا كان صدق يبقى حته عبيط. لكن يبقى عبيط
ليه؟ مش فيه ناس بيمشوا مسافات طويلة؟ دا احنا ف انجلترا
والانجليز هم اللى اخترعوا المشى. ع العموم أنا اتعلمت بعد كدا
أنك لو تقول قدام واحد انجليزى أن أبوك امبراطور الحبشة أو أن
رينا جالك ف المنام مضطر يصدقك، يفضل يصدقك يصدقك لحد
ما يضبطك ايدك حمرا على رأيهم. تعرف ليه؟ لأن الكذب عندهم
أكبر حاجة تعيب الراجل، ويوم ما واحد انجليزى يتأكد أنك كذاب
يبقى أحسن لك تدور على حقة تانية. تعرف لما تكسر القانون
وتقول أنا كسرتة دا مش حاجة زى ما تكسر كباية وتقول أنا
ماكسرتهاش. إذا كذبت ف انجلترا أوعى تنظبط. مستر بيفس قال
بمنتهى البساطة.

- مادام أنت متعود على كده، أبقى أجيب لك أذن خاص
للمشى بعد نص الليل. لكن لازم تسكن ف بيت مرخص.

شكرته ومشيت، وف السكة ندمت ندم شديد ع الكذبة اللي
كدبتها. بقى ياواد كل واحد هنا بيعمل اللي يقدر عليه عشان
يسعدك، وأنت تقابل دا بالكذب.. عبال ما وصلت البيت كنت
صممت أنى اتلهى على عيني وابقى زى بقية الناس واللى يمشى
ع التلات آلاف طالب اللي فى الجامعة يشمى على. رحت ضالحت
مسز ويلكسون وقلت لها اللي حصل وكبتت جواب للمؤدب بتاعى
أقول له أنى بعد تفكير لقيت أنه مافيش داعى أنه يطلع لى استثناء
مخصوص علشانى، وأنى ها اجتهد أنى اخلى عوايدى تمشى مع
قوانين الجامعة وانى متشكر كتير على الاهتمام بتاعه. من يومها
ماكديتش غير مرة واحدة، لكن كسرت كل القوانين.

المررة دى، أنا فاكرها كويس، كانت ف أول أسبوع بعد إعلان
الحرب.. الواحد بقى بعد ما أخذ ع العيش ف كامبريدج ابتدا
يزهق من القيود الكثيرة دى. مثلا لبس الروب والكاب بالليل بعد
ما كان الواحد بيعملوا بأمانته أصبح بعد ست شهور يهمل فيه
يعنى مثلا الواحد يكون ف البلد يشتري حاجة أو ف شغله ويخش
عليه المغرب وعاوز يدخل سينما، بدل ما كان يخط مشوار لحد

البيت تلت ساعة جاي عشان يجيب لبس الجامعة، كان يقايس
ويستنى فى البلد على طول. الحكاية دى كانت تحصل قول مرتين
تلاته ف الاسبوع وصاحبة البيت كانت أحياناً تصهين وأنا داخلا
أحياناً تفتح الشباك وترمى لى الروب عشان ألبسه قبل ما أدخل
البيت وهى ماتعملش علامة بضمير مستريح، قعدت مدة أعمل
الحكاية دى والمفتشين يفوتوا على بالليل لكن ما حدش ياخذ باله.
تصور أول ما قامت الحرب وطفوا الشوارع انضبط. راجع أنا من
سينما لريجال وعنها وابص ألاقى راجل طويل وقف ف وشى.

- ليلتك سعيدة يا سيدى.

أنت تلميذ ف الجامعة ياسيدى؟

- ايوه.. ليه..

- البروكتور يحب يشوفك يا سيدى..

أنا كنت سرحان با أفكر ف الفلم اللى شفته وعلى غفلة فقت.
أنا يدوبك كنت شايف الراجل فمش عارف ازاي قفشنى.. سلمت
امرى لله ومشيت وراه خطوتين لقيت المتفش زى العادة لابس بدلة
سودة رسمى عليها الروب وصدره بيلمع ف الضلمة أبيض من
القميص المنشى. رفع الكاب وقال:

- ليلتك سعيدة يا سيدى.

- ليلتك سعيدة ياسيدى. أنا اسمى ل . عوض . كليتى كنجز..
ماعنديش لا روب ولا كاب. تصبح على خير.

ومشيت.. أنا صحيح كنت عمرى ما انظبطت لكن باسمع كل
يوم والتانى عن ظبطيات وعارف المناقشة ماشية ازاي.

البروكتور سكت عنى مدة طويلة وف آخر الشهر راح باعت لى
الجواب إياه. مستر ساندباش يحب يشوف مستر عوض الساعة
ستة ف الاودة بتاعته كلية تريتتى.. أنا برضه سكنت عارف من
اخوانى اللى ما يحصل بالضبط.. كنت عارف أن المفتش ها
يسألنى إذا كان عندى عذر عشان مشيت من غير لبس الجامعة،
وكنت عارف أنى ها أقول أن ماعنديش عذر يقوم صاحبنا يقول
أدفع ستة وعشرين شلن غرامة بقى زى الجدع وورينا عرض
كتافك. وكنت عارف أن ف جيبي ثلاثة شلن وأن مش ها أقدر
أقول له خد شيك على أول الشهر كل دا حصل لكن بصورة تانية.
دخلت على مستر ساندباش وبعد السلامات قال:

- عندك عذر تقوله؟

- ايوه.. أنا كنت ف السينما وحاطط الروب والكاب جنبى قام
واحد تلميذ استلفهم وجابهم لى تانى يوم..
مستز ساندباش فكر شوية وقال:

- تعرف، من الناحية القانونية دا مش عذر لانه مفروض انك تكون لابسه منين ما تروح، لكن مادام دى أول مخالفة ليك مش ها أغرمك. مع السلامة.

· ودى آخر مرة كدبت فيها لحد دلوقت لكن مش ندمان عليها لأنى ما كنتش أقدر أعمل غير كدا.

أنا لما قلت للبروتكور أن تلميذ «استلف» الروب بتاعى كان قصدى «سرق» وأنا فاهم وهو فاهم. ف كامبردج لما الجنتلمان يسرق يقولوا استلف ولما واحد من البلد يسرق يقولوا حرامى. دا طبعا نتيجة لنظام الطبقات المتغلغل ف انجلترا.

لما استوطنت شوية ف كامبريدج عرفت أن السرقة منتشرة بين التلامذة. سرقة الكتب، والروايات، والبسكيتات بس. أنا فاكر تمام فى أول فصل دراسى دخلت قهوة وقلعت الروب والكاب وعلقتهم ع الشماعة. بعد نص ساعة طلعت لقيت واحد لطش الكاب، وكان ساعتها معاية واحد صاحبى قام عملت معاه رهان على اتنين جنيه إنى احتفظ بالبس بتاعى لحد ما آخذ الشهادة. من يومها وأنا محرص قوى وماضاعش منى غير قلم باركر. الحقيقة أن السرقة دى ف مدينة الجامعة نصها شيطنة ونصها ضعف أخلاق، لأن ف حالات كثيرة حاجتك ترجعلك تانى. يعنى

مثلا تلميذ يلقي نفسه بالليل ف وسط البلد من غير روب، ولو مشى
ف الشارع يتمسك ويتقرم: يعمل أيه؟ يمد ايده لاقرب تلاقى الروب
بتاعك عند بواب الكلية بتعاتك أو ماتلاقهوش. تلميذ أتاخر ف
النوم وعاوز يروح المحاضرة بسرعة يلقى بسكلتة مركونة ع
الرصيف يركبها ويزق ويعدين يسببها ف أى حنة وترح حضرتك
تستلمها من البوليس. طبعا فيه حاجات كثيرة بتضيع مابترجعش
لكن ألطف من دا كله السرقة المقصود بيها المغامرة. دى تلاقىها
ماشية ف نص التلامذة ع الأقل. الواحدة يخش يشرب شاي أو
قهوة ويغافل الجرسونة ويحط طبق أو شوكة أو أى حاجة ف جيبه
وتروح تزوره ف بيته تلاقى عنده عشرين ثلاثين طبق أو شوكة
معلقهم فوق الدفاية ف طابور، وكل حاجة عليها تاريخ السرقة
وظروفها، زى ماتخش مثلا بيت واحد صياد تلاقى فيه راس
خرتيت وجلد نمر وجلد ببر وبنادق وحرب وحيوانات مصبرة معلقة
ع الحيطان، أو زى ماتخش قلعة واحد من الاشراف تقوم تلاقى
درع مكتوب عليه الجد العشرين ف الحروب الصليبية وخوذة
مكتوب عليها الجد الخمستاشر ف حرب الرودتين وصورة زيتية
مكتوب عليها ايرل كذا حامل اختام الملك الفلانى. أنا كمان بعد
سنة لقيت نفسى متخصص ف سرقة طقاطيق السجاير من

البارات وليت منهم سبعة. وكان فيه وحد صاحبي الله يمسيه
بالخير دا كان متخصص ف سرقة اليفط الكرتون اللي مكتوب
عليها «السيدات» قدام المراحيض.

دي كانت أيام لذيذة، وبالأخص للتلامذة اللي سنهم صغير. أنا
لاني كنت كبير كنت عاقل شوية عن غيري. وعشان كنت أجنبي
كان قلبي ضعيف. عشان كذا كنت أكسر القوانين من سكات وما
أعملش حاجة تستلفت النظر. من تالت شهر قدرت أضحك على
صاحبة البيت وأخذ منها مفتاح الباب. طبعا هي استفادت من
الحكاية دي لأنها كانت وليه عجوزة فوق الستين وتحب الساعة
عشرة تشرب قزازه البيرة ستاوت يتاعتها وتحط راسها ع المخذة،
وفي آخر الأسبوع تزور كشف التأخذ وتحط أي مواعيد بشرط
تكون قبل نص الليل. ف الاثناء دي أكون أنا با اسرح لحد الساعة
اتنين والبلد كلها فاضية، أو أكون سهران ف حفلة عند التلامذة
العواجيز اللي ساكنين ف بيوت مش مرخصة. لكن ليه أصحاب
كتار شقاي بيعملوا أعمال جرئية أخاف أنا أعملها واحد منهم كان
اسمه ريتشارد مورلي من شانت جون مثلا قعد ساكن بره كليته
ف ميل لين سنتين، وكان طول الوقت خاطب بنت هولندية ساكنة
ف بلجيكا. دا كان كل يوم جمعه يطلع من المحاضرات ع الطريق

العام ويفضل يشاور للاتومبيلات لغاية ما واحد يديله توصيلة لحد
ميننا على بحر الشمال اسمها نوريتش، وف نوريتش صاحبنا كان
مصاحب كابتن بتاع مركب بضاعة كان يدى له كمان توصيلة لحد
أوسند ف بلجيكا. يبات الجمعة والسبت والحد، ويوم الاثنين ف
الفجر تلاقيه داخل من الباب الورانى وبعد شوية صاحب البيت
يخش عليه بالفطور ويسأله:

- دخلت الساعة كام ليلة امبارح يا سيدى؟

- اكتب حداثر، وهات لى علبة سجائر..

مورلى عزل ف الكلية، لكن ماكانش دايمًا يدخلها من أبوابها
كان عنده حبل طويل بتاع تسلق جبال كان بيستعمله كل صيفية
ف الالب، أول ماتجى الضلمة يروح شايبكه ف خامس دور ف
ضهر آخر مربع ف كلية سان جون وينزل. يسرح على كيفه ويرجع
من الشباك برضه. بعد شوية طبعًا البوابين اخدوا خبر وبلغوا
المؤدب بتاعه. مرة رجعت بيتى لقيت نوتة كاتبها مورلى
بالفرنساوى ملخصها أنه كان عاوز يشوفنى ضرورى ضرورى..
رحت أشوف العبارة ايه اتاريه كان عارف أن المؤدب بتاعه
هايكبس أودته ويدور ع الحبل، راح رماه من الشباك ونزل جرى
وجابه عندى، ولما مالتقانيش لفه وسابه على سطح الدولاب. لو كان

انضبط بيه كان فيها رقد على طول. خفت أقول لصاحبة البيت
تروح هى تبلغ، ومعرفتش مسز ويلكسون أن فيه حبل على دولاها
غير بعد شهرين وهى بتنصف الاودة من فوق.

التلامذة ف كامبريدج مابيتشعبطوش ع الكليات بس عشان
يدخلوا متأخرين. دول واخدينها نوع من الرياضة والمغامرة. لاحظ
كمان أن أغلب اللي بيتشعبطوا من الأصل متعودين على تسلق
الجبال. تلاقىهم مثلا يعملوا رهان على مين يقدر يطلع الكلية
الفلانية.. والكليات نفسها مش كلها زى بعض. بعضها سهل
وبعضها صعب. إذا كنت رايع كامبريدج وغاوى شعبطة فيه كتاب
عن طالع الكليات كاتبه تلميذ قديم وعاطى خرط مفصلة لهندسة
التمنتاشر كلية ومداخلها ومخارجها والاركان اللي فيها فايده
والاركان اللي مافهاش. دا ضرورى تقراه. يعنى مثلا إذا كنت من
كلية ترينتى وعايضة تطلع كلية سانت جون مافيش فايده أنك تشبك
حبلك ف حته وتطلع ويعددين تبص تلاقى نفسك ف أودة العميد؟
والا ايه؟؟ كمان الكتاب فيه تفاصيل عن هندسة كلية نيونام وكلية
جاننوت بتوع البنات، إذا كان ليك غرض. تلاقى المتسلقين
المحترفين يقفوا قدام أبراج كنيسة كلية الملك وف قلوبهم نوع من
السحر والخشوع، لأنها صعبة ومغرية وخطرة ويوم ما واحد

يتشعبط لارتفاع قياسى تانى يوم اسمه يبقى على كل لسان،
تقولش قمة ايفرست. المهم بس انك منين ما تطلع تسبب علامة أو
تخط حاجة للذكرى، جزمة قديمة مثلا، قلم ورق، أى حاجة
والسلام، طيعا التسلىق دا خطر قوى ويتحصل فيه حوادث وعشان
كده الجامعة حرمة. وأنا خطر قوى ويتحصل فيه حوادث وعشان
كدا الجامعة حرمة.. وأنا هناك تلميذ رجله زلفت ومات لكن لازم
أقول أن الانجليز يحبوا الشعبطة قوى.

أنا عمرى ما اتشعبطت، لكن كثير دخلت من الشباك، يمكن لو
كانت أودة المكتب بتاعتى مش ف الدور الأرض، بقول يمكن، كنت
قلبت عقلى وطلعت ع الماسورة.

أهى دى التقاليد غير الرسمية ف كامبريدج اللى حكيت لك
عنها. وفيه ميت تقليد تانى مش مكتوب تلقطه وأنت عايش هناك
تعرف أنك ماتسلمش على حد ألا إذا عرفوك بيه، تعرف إنك
ماتسلمش على أصحابك ابدا باليد طول الفصل الدراسى، هم
مرتين تسلم فيهم بالأيد. مرة أول ما بيدتى الفصل الدراسى يوم
ما ترجع ما الاجازة، ومرة لما ينتهى الفصل الدراسى وأنت نازل
الاجازة عيب أنك تسلم ف الايام العادية. عيب كمان أنك تكون
جديد فى البلد وتتعرف بواحد قديم تقوم تقول له تعال خذ شاي

معاية لازم القديم هو اللي يعزم الجديد. عيب أنك تخسطلط بأهل البلد على الأخص التجار، لأن كامبريدج من قرون مقسومة نصين بينهم عداوة تقليدية «التاون» و«الجاون»، يعنى «البلد» و«الروپ»، يعنى بالعربى أهل البلد والتلامذة، فيه ميت حاجة كمان.. أهى دى تروس العدة اللي أنا اتحشرت فيها، وعصرت شخصيتى عصر شديد ولونت تفكيرى بعض الشئ.

طول ما أنت ف كامبريدج تقعد تسمع ف نوادر ماتخلصش، موضوع النوادر كلها هو تقاليد الجامعة وعلاقة التلامذة بالجامعة وبالأخص اللي بيعملوه التلامذة ف البروكتور والخدامين بتوعه، وبعد الطلبة مايسيبيوا كامبريدج بمنين وينتشروا ف أركان الأرض أن كان ف مصر والا الصين والا مدغشقر، منين ما اتنين ما يتقابلوا مع بعض أنهم ولاد جامعة واحدة تلاقىهم دايمًا يتذاكروا اللي حصل ف الأيام اللذيذة اللي فاتت ودى مادة ماتنفذش أبدًا..

وأنت ف كامبريدج تتعلم أنك لما تتكلم عن اكسفورد تسميها «المكان الثانى» وان كنت من اكسفورد برضه تقول على كامبريدج «المكان الثانى» ف لوايح كامبريدج أن كل تلميذ له الحق أنه يمشى ع الحشيش اللي ف حوش كلية الملك مرة واحدة ف حياته، وبعدين

جه تلميذ شقى ولم ميتين تلميذ وراحوا كلهم ماشيين ع الحشيش
بقاع الكلية نوية واحدة قام العميد جا جرى عليهم وزعق.

- ازای تعملوا كدا؟ انتوا لازم تتعاقبوا.

قام التلميذ الشقى قال له.

- احنا بنياشر حق تقليدى، بس اتصادف اننا كلنا باشرناه
ف وقت واحد. الحشيش تلف والعميد طبعاً ماقدرش يعمل حاجة
الحكاية دا لطيفة ويتحصل ويحصل أغرب منها كمان، أنا مرة
كنت ماشى مع أستاذى مستر جورج رايلاندز ف الكلية بتاعتنا
رايحين جساين بنتكلم ف موضوع ويعدين سيبنا الممشى
وخرمنا ع الحشيش قام لحقت نفسى ورجعت لورا ووقفت وحببت
أفكره.

قلت:

- إذا كنت عاوز تستمر فى الكلام تسمح تنزل من ع الحشيش
وتمشى معايه ع الأرض.

أنت عارف اللايحه بتسمح للاساتذة بس انهم يمشوا ع
الحشيش..

قام ضحك وقال لى:

- أنا مانسيتش.. لكن اللايحه كمان بتقول أن أى تلميذ

له الحق أنه يمشى ع الحشيش على كيفه مادام معاه
استاذة.

عرفت أنه حافظ اللايحة أكثر منى. حشيش كلية الملك مشهور
قوى وعشان كذا تلاقى عليه نواذر كتيرة بيقولوا مرة واحد
أمريكانى انبسط قوى من الحشيش دا، وبعدين سأل واحد من
أساتذة الكلية..

- إذا الواحد حب يعمل ف أمريكا حشيش جميل زى دا يعمل
ايه؟

قام الاستاذ رد عليه:

- المسألة بسيطة. يقلب الأرض ويرمى التقاوى وبعدين يستنى
عليها ربحميت سنة..

دا طبعا كان أحسن رد على واحد أمريكانى ومعناه بالعربى
حتى حشيشنا له تاريخ وانتوا شعب لسه صغير السن مالكمش
ماضى ولا تقاليد. أنا يا أقول دا كان أحسن رد لأن فيه أمريكان
كتار يفتكسروا انهم يقدرُوا يشتروا لنفسهم تاريخ بالفلوس وينقلوا
ماضى الشعوب الثانية بالتقليد. كل واحد عارف حكاية
المليونير الأمريكانى اللى اشترى قلعة ف اسكوتلانده عمرها خمس.

قرون وفك حجارته ونقلها على مركب للولايات المتحدة وركبها
تاني هناك. طبعاً عمل كذا بس عشان يقول أنا ساكن في قلعة من
أيام الملكة اليزابيث أو أنا عملت وعملت تقوم الحكومة المصرية بس
تعمل أنها هاتبيع الهرم زى ما نصحتها برنارد شو وأنا متأكد أنها
هاتلاقى خمسين معتوه امريكانى يتقدموا للمزايدة. كل واحد
عارف إن بنات المليونيرات الامريكان بيدوروا على أشرف انجليز
وقرنساويين مفلسين عشان يتجوزهم والناس تقول عليهم «مدام لا
مركيز» و«مدام لا بارون». التقاليد في كامبريدج مالهاش عدد
وعايزه واحد متخصص فيها زى الناس اللي بيتخصصوا في علم
الانساب عشان يحصرها. ملايك حق انك تسأل البروكتور عن
موضوع الدرس اللي هایتقال يوم الحد في كنيسة كليتك. وأنا
هناك سمعت إن تلميذ شقى حب مرة يوقع البروكتور في الحكاية
دى قام راح يسأله في آخر لحظة عشان يوريله انه ما بينفذش
اللاويح بأمانة.. قام البروكتور بكل بساطة قال له. أنا مستعد أقول
لك درس يوم الحد بس روح ياشاطر ألبس البنطلون الرسمي اللي
شكله كذا وكذا والياقة الفلاتية وتعالى أسألني. كبسة. النوادر
زى دى ما تنتهيش وكل واحد عاش في كامبريدج لازم حصل له
كام فصل من النوع دا. أدى كام يوم بس كان مستر جليبرت

سميث المفتش في وزارة المعارف بيحكى لى أنه لما كان في الجامعة البروكتور نوبة ضبطه بالليل من غير روب قام وقفه وسأله:
- ادينى اسمك وكليتك .

- أسمى سميث . ف ترينيتى .

البروكتور على طول خطر له ان دا بيضحك عليه وعازي يزوغ لان اسم سميث في انجلترا دا من الاسامى الشايعة قوى زى ما تقول محمد أو على في مصر وكلية ترينيتى فيها فوق ألف تلميذ، ويديهى ان فيهم عشرين واحد ع الأقل اسمهم سميث. قام قال له
بزعل :

- أنت كذاب، قوالى اسمك الحقيقى.

راح مستر جلبرت سميث مطلع كارت الزيارة من جيبه وقدمه
للبروكتور وقال له :

- أنا أطلب اعتذار .

الأستاذ شاف الكارت وطبعاً اضطر يعتذر. مش بس نواذر.
ياما فيه نكت ع الأساتذة وكل كلية تعمل شعر تأليس ع الكليات
التانية وبالأخص كليات البنات ولولا أنه شعر قبيح كنت حكيت لك
شوية منه.

ومش بس نكت. ياما مقالب التلامذة يعملوها ف بعض.. تحت
تعرف النوع؟ قالوا لى ان تلميذ فى كتجز عزم واحدة صاحيته
قرب المغرب على كاسين شيرى فى الاودة بتاعته، وكان لازم يبات
ليلتها فى لندن لعذر طارئ ويعد البنت ما سابته وهو خرج جم
شوية من أصحابه الشقاي اللي كانوا عارفين انه قفل أودته
وسافر وراحوا حاطين فردة جزمة حريمى قدام باب أودته. تانى
يوم فى الفجر جه الخدام بتاعه يصحيه لقى الجزمة قام افكر ان
الجدع عنده «حاجة». قعد يخطب مدة طويلة ماحدث رد عليه، يرق
الباب يلاقيه مسنكر، راح نزل جرى على رئيس البوابين ورئيس
البوابين نزل جرى ع المؤدب بتاع الكلية والمؤدب بتاع الكلية نزل
جرى ع الاودة بتاعت التلميذ عشان يضبط الحادث ويرفد الولد.
أمر بكسر الباب، ولما دخل ومالاقاش حاجة طبعاً فهم المغرز.
أنا لما أقعد أحكى لك عن نوار كامبريدج مش ها أخلص..
اسأل الدكتور أبو العلا عفيفى استاذ الفلسفة ف جامعة
اسكندرية يحكى لك ألف نادرة. اسأل الأستاذ أمين روفنايل
مدرس الأدب الأنجليزى فى جامعة مصر يحكى لك ازاي أنه كان
يجرى فى الحوارى كل البروكتور ما يضبطه من غير روب
والخدامين طاييرين وراه.

لكن دى مش كل حاجة ف كامبريدج. الذكريات أنواع، ومش كلها خفيفة بالشكل دا. سيبك من الصباحيات الجميلة إلى كنا نخرج فيها أنا وبروفسور ايرفينج بتاع جامعة برنستون ونمشى كام كيلو لحد كلاى بهايذ أو جرائد شستر وارجع بحذا الكام ونقف ف السكة عشرين مرة نتأمل جمال الطبيعة أو نتخاطق فى وسط المناقشة. سيبك من الأيام الغريبة القليلة اللى كنت أرقص فيها تمان ساعات ورا بعض من تلاته لسبعة عن الشاى ومن تسعة لاثنتين بعد نص الليل وأبوح من لذة الفالس وحدها وأطلب المزيد. سيبك من الاضاحى العزيزة اللى كنا نساقر فيها شلة صلاح خشبة وبكر حمدى وفتحى الصيفى وتشكيلة من الجنس اللطيف لحد بستون نستحمى ونرجع مع العصر. سيبك من أيام الزهق القتال اللى كنت أروح فيها سينما مرتين فى اليوم واقعد أويخ نفسى بقية الليل.. سيبك من الأيام الضايعة اللى كنت أروح فيها عند بكر حمدى والاقى حسين عمر ونفضل نلعب شطرنج بعلب سجائر خمس ساعات ورا بعض. سيبك من الايام الشعرية اللى كنت أطلع فيها مع ريتشارد مورلى نتشرد ف حواشى البلد ونتناقش فى أصول المدنية والسياسة والسرياليزم وأخلاق الشعوب وطبيعة الفن وينزل علينا المطر نقوم نفرح ونخوض فى الوحل

وأرواحنا تتمرمغ فى الطبيعة وينزل علينا الليل وترتعب من الكلاب
البعيدة ونطلع ع الجسر مبلولين لحد العضم ونشاور للاوتومبيلات
اللى بتتزحلق بسرعة مخيفة وندوس على أنوار المصابيح المعكوسة
ع الطريق الأسود الفرقان ف السيول. سيبك من الليالى الصاخبة
بتاعت حفلات الوداع ف آخر كل فصل دراسى لما كنت أنا وكيث
وأندلس والان هيوم وجون نيكسون وكاثرين ليكوك ويمكن نورمان
هوتويفت وونفرد كيلي نتلم فى بيت واحد منا وفنص الليل تلاقى
قزايىز الهوك المسحوية مرصصة ع البوقيه زى العساكر المجروحين
وخمرة الرين بتسبرق فى عينينا ويتوجع ف عروقنا والنغمات
الهمجية بتاعت البوايرو بتسرى زى الكهريا ف ضلوعى ومورلى
مش قادر يسند نفسه وفاتح ديوان كيتس وكل ما يخلص من
قصيدة البلبل يقرأها تانى ويسمع ويسمع السيمفونى الخامسة
وبعدها «جوزيف جوييف». بوهيميا. جزاير جوجان موسيقى
العجر. نهاية القرن . سيبك من دا كله وسيبك من أيام لما كنا نتلم
عند أنور فراج والا فتحي الصيفى والا أمر الله بليغ ونلعب بوكر
ساعة وكروكيه ساعة وفى ثلث الليل نشوف براميل البيرة وهى
بتصفى آخر مكنوناتها نقوم نفوق ع الصدمة ونتشجع ونروح
بيوتنا وبرضه سيبك من العصارى اللطيفة لما كنت أروح مرة كل

سنة على شط الكام فى ضهر كلية الملك والاقى نص البلد سبقتنى
هناك واقعد ساعتين اسمع تلامذة الكلية بيغنوا المادريجال القديمة
الماشية وأشوف البجع عايم ع الكام بين الكبارى والحن سايح ع
الامواج. سيبك من محاورات سقراط وفيلو اللى كانت تحصل بينى
وبين بكر حمدى دايم فى السياسة والدين ودايم فى مكان واحد
واحنا رايعين جاين بىكارلين رود وفىكتوريا رود أوصله لحد بيته
فى نص جملة ويوصلنى لحد بيتى والجملة لسه ما انتهتتش ..
وسيبك حتى من ألطف منظر تقدر تشوفه فى حياتك لما أمر الله
بليغ كان يسكر فى «الرانديفوه» ويعد نص ساعة يقرب صالة
الرقص سرك وياخذ البنت الارتيست اللى بتغنى فى دراعه ويعملوا
سوينج مع بعض نصه رقص بلدى ونصه خفاقة دم، والا سيد
سودان لما يشرف فى بار الكريتيرون وتشعشع معاه يلما حواليه
ويخطب فينا بالطليانى زى الدوتشى وبالألمانى زى الفوهرر على
طريقة كشكش واحنا نهيص «سى، سى» أو «زيغ هايل».. كل
الحاجات دى ما تتعوضش، ولا كمان أيام الفلس فى كامبريدج لما
كانت أنا وبكر حمدى نفوت الساعة عشرة بالليل على محل السمك
والبطاطس اللى فى كنج ستريت ونصرف أحنا الجوز عشرة بنس
وأول ما نوصل لميد سمر كومون كل واحد يفتح لفته وهات يا أكل

وعبال ما ندخل ع الشلال نكون بنمسح ايدينا فى الروبات، دى
أيام ما تتنسيش ولا تتنسى أودة فؤاد حمدى اللى كان معلق فيها
ستاشر صورة لجنرال فرانكو ولا أودة كيث واندلس اللى كنت
أروح لياالى لياالى عشان اسمع فيها باخ واسترافنسكى ولا قهوة
الدوراتى اللى كانت كل صباحية تتملى بالتلامذة المهرجين يغنوا
ويشوشروا ولما قامت الحرب بقينا احنا المصريين نتمم على بعض
فيها بعد كل غارة. دى حاجات ما تتنسيش لكن سيبك منها
محدودة وشخصية ومعناها بسيط كمان سيبك من اجتماعات نادى
الفراعنة اللى كان نصها زعيق ونصها مقاطعة واخرتها دايمًا
صافى يالبن ومن اجتماعات النوادى التانيه اللى كانت كل أسبوع
تعرض علينا واحد من قادة الفكر فى انجلترا منه سمع ومنه فرجة
ع الناس اللى اساميهم لوحدها أخبار، وبعد مدة بقيت أشوف
مستر تشرشل داخل كلية كير حتى ما ابصلوش، ويقولوا لى هـ،
ج . ويلز هنا أقول وايه يعنى، وأسلم على أودن غلط لكن شعره
الهايش وعينية المولة أكثر ما يجذبني صيته وأروح أشوف سير
أرثر كويلر كوتش العجوز بس عشان خايف انه يمكن يموت فى
أى لحظة وهولدين وس. لويس روبرت. اليوت واستيفن سبنذر
وايث ستويل وادنجتون وتومسون كينشتاين ولاسكى وميجور

اتلى وفرتز كرايسلتر وهوروفتش كلهم قاتوا على زى بقية مخالقي
الله، والناس اللي باقرا كتبهم بلهفة وأنا تلميذ في مصر. زى
جورج رايلاندزوف .. ل سلوكاس وف. ر. ليفيس ودكتور ريتشارد
س و س. ك. أوجدن - بصيت لقيتهم ببيجوا لحد بيتي بالبسكليت
وياخدوا شاي ويستأنسوا زى أصحابي تماما أو ياخدوني في
بيوتهم ويناقشوني في مدارس الفكر الحاجات دي ذكرها عزيزة
عندي لكن يمكن ما تهمكش علشان كذا سيينا منها برضه ..

وكل ما أفضي من مشاغل العالم دا تفوت في مخي الصور
والذكريات، مش دي بس انما ألف حاجة وحاجة من شكل السحب
اللي دايم مفضضة لدكاكين القرزية والبقالين وبتوع الاسطوانات
وبتوع الكتب وبتوع الخمرة اللي كان الواحد بس يخش فيها
ويكتب اسم كليته وبعد خمس دقائق يطلع محمل بأي حاجة هو
عايزها من غير ما يدفع بنس واحد .. ومع ذلك ما فيش حاجة
سابت في نفسي أثر واعتقدت صحيح اتتها في أثاث البنا بتاع
كامبريدج قد الجو العلمي اللي مافهوش دجل والرياضة الاخلاقية
اللي ماتسييش واحد بنى آدم من غير ماتشكل طباعه.

أي واحد عاش في كامبريدج يقول لك إن الواحد هناك بيتعلم
من المحادثة مع الناس اكتر من ما بيتعلم من الكتب وان الحياة

الاجتماعية نشاطها باين لكل عين.. لكن فيه نشاط تانى مش باين لكل عين كامبريدج مش بس دعوات شاي وحفلات شيرى وسباق قوارب دا كله موجود.. لكن كمان فيه حاجة تانية موجودة.. فيه الجيش الاحتياطى اللى دايمًا يشتغل فى هدوء من الرجالة السرحانين المدهولين اللى نضارتهم تخينة وشعرهم واقع وما بيحلقوش مرتين فى اليوم.. فيه ديدان الكتب اللى تنبش أوراق المكاتب وتحى الميت وتموت الحى وتمهد السكة للإبطال اللى بينوروا السكة للإنسانية بأفكارهم الجديدة انت نسمع بس عن ميلتون ونيوتن ودارون وماكسويل ودانجتون لكن دول بيعملوا واجهة البناء.. ادخل شوية لجوه تلاقى مقابل كل ملتون فيه ميتين ثيويلد ومقابل كل ادنجتون فيه ميتين واحد الميكروسكوب برى عندهم والمعادلات ضيعت عليهم الحياة كامبريدج بلد غريبة صحيح.

عندك ثلاث سنين وانت حر.. تقدر تغرقهم فى قزازة ويسكى وتتساهم فى لغط الاجتماعات وزبطة الرقص والشباب، وتقدر تضيعهم فى العمل المقدس والكد الطويل وفى الحالتين هاتنجح ماتخافش.. أنت حر .. قدامك طريقين .. نقى اللى أنت عايزه..

نادى الفراعنة

أول مارحت كامبريدج جديد أخذنى واحد مصرى فى بيت الأستاذ اسماعيل شيرين بشأن أقبال الفراعنة، كنت أسمع من مصر وأقرأ فى الجرايد مرة فى كل سنة أن المصريين بتوع كامبريدج عاملين نادى اسمه نادى الفراعنة وطبعاً كنت متشوق قوى أنى أعرف هو ايه. دخلت لقيت عشرة خمستاشر فرعون، اللي قاعد واللى واقف بياخدوا الشاى وبيتزعموا فى بعض بصوت عال فى وقت واحد. عرفت انهم يتناقشوا فى السياسة.

ولا حد خد باله أن فيه واحد غريب. صاحبى ماعرفش يسكتهم قام أخذنى من دراعى ودار عليهم واحد واحد يعرفنى بيهم الواحد منهم كان يتبادل معايه المجاملات فى دقيقتين وبعدين يقول لى «عن أذنك» ويرجع يزعم مع التانيين .

دا صلاح خشبة رئيس النادى من فيستوليام هاوس، ودا عوض جديد فى كامبريدج من كنجز كوليدج عاوز يبقى عضو.

صلاح خشبة يدوبك قال لى «أزيك» وراح شاددى من دراعى وصرخ فى الموجودين :

– استقنوا شوية. لويس بك عوض زبون جديد هنا ويحب
يشارك، أنا أرشحه فيه حد يزكيه؟
(صوت واحد تانى ما أعرفوش – أنا أزكيه.)
خشبة – فيه حد عنده مانع ؟
الأعضاء – لا .

ورجعوا للمناقشة تانى . ان المسألة كانت روتين وأخذت نص
دقيقة، ودخول عضو جديد عليهم كان زى ما واحد يستحمى ويغنى
مثلا .. انبسطت أن المسألة كانت سهلة كدا، لكن استغربت أن
الرئيس عمره ما شاف وشى قبل كدا ويرشحنى وان ناس ما
عرفهمش يزكونى.. قلت فى عقلى دول جماعة باين عليهم لطاف
وها ارتاح معاهم.. كان مفروض طبعا أنى أول ما أمضى الشيك
بتاع الاشتراك اشترك معاهم فى الزعيق، لكن ما اشتركتش غير
فى الشاى .. يومها قابلت إبراهيم صفوت وإسماعيل شيرين من
ترينيتى وحسين عمر من مودلين ومصطفى عبدالعزيز وأحمد فتحى
وعبدالعزیز عمر كلهم من فتزوليام هاوس ومش فاكر مين تانى.
لول ما كانوش كل المصريين اللى فى كامبريدج. بعد كدا اتعرفت
شوية شوية بأمر الله بليغ من سان جون وفؤاد حمدى سيف
النصر ويكر حمدى سيف النصر من ترينيتى هول وعبدالجواد

حسن من فترزوليام ومصطفى زهدى من جيزاس ومدحت شراره
من كير وعلى صادق من سان جون وأحمد صادق من فترزوليام.
وكننت من قبله أعرف اتنين فاتوا عليك، سيد عبدالمنعم حسانين
اللى عطاني البياجاما من فترزوليام وعبداللطيف بدر الدين اللى
قابلته يومها عنده وفسحنى فى البلد من سان جون، وبعد سنة
اتعرفت بأنور فراج ودا كان فى لندن وحول على كامبريدج فى
كلية كيز.

برتيته مش بطالة أبدا، وبالأخص ان كل واحد كان مختلف عن
التانى، مش بس فى الشخصية لكن كمان فى الدراسة.. كان فيهم
اللى بيدرسوا اقتصاد واللى بيدرسوا رياضة واللى بيدرسوا
زراعة واللى بيدرسوا هندسة واللى بيدرسوا علم حياة واللى
بيدرسوا علم نبات واللى بيدرسوا حربية ماكانش فيهم حد بيدرس
أدب غيرى، طبعا دول كلهم ماكانوش أعضاء فى نادى الفراعنة
«الحمديز» ع الأقل طول الوقت بره النادى والسبب ما اعرفوش.

أنا ظلمت النادى شوية لما وصفت الزيمة بتاعت أول يوم ..
الحقيقة ان النادى كان من أحسن النوادى اللى شفتها فى حياتى
أولا ماكانش له مكان ولا عنوان، كنا نجتمع كل يوم حد فى بيت
واحد من الأعضاء ناخذ الشاي ونتبادل الآراء. ثانيا كان من

نشاطه انه يدى أسبوع محاضرة وأسبوع مناظرة وينظم مباريات
رياضة ويريدج وشطرنج مع النوادى التانيه ويعزم أساتذة يعمرؤا
أحاديث ويعمل حفلات تعارف وحفلات سمر، ورقص وتهريج وحفلة
عشا رسمية كل سنة يدعى فيها العمداء بتوع الكليات والاساتذة
وسفير ناف بلاط سانت جيمس ومدير مكتب البعثة فى انجلترا
وتلامذة يمثلوا النادى المصرى الملكى بتاع لندن والناس اللى ليهم
أهمية فى كامبريدج. فى السنين الوحشة نشاط النادى كان
بيتحول لحفلة العشاء السنوية، لكن فى العادة نادى الفراعنة كان
مظهر مهم لوجود المصريين فى كامبريدج. ونادى الفراعنة بياخد
الف وكذا جنيه كل سنة من الحكومة اعانة، ونادى الفراعنة بياخد
١٥ جنيه بس . أنا لو كنت مدير البعثة كنت أعكس المسألة وأنا
ضامن أن سمعة مصر فى انجلترا تتحسن أربعة وعشرين قيراط.
نادى الفراعنة له مضبطين، مضبطة شكلية دى تلاقىها عند
السكرتير ومضبطة كاملة دى شايلها أنا فى عقلى، ولما تجى
المناسبة برضه ها انشرها ع الناس زى ما بانشر ذكرياتى.
كانوا المصريين مقسومين شلل شلل، وكل شلة ليها ميولها
وأعمالها، لكن يوم الحد كل الشلل دى تتلم على بعض ع الشاى
وتشترك فى عمل اجتماعى واحد..

كان فيه شلة فيكتوريا مثلاً يعنى اللى متخرجين من كلية فيكتوريا عندنا، ودول كانوا أكثر ناس يلعبوا رياضة ويعملوا أعمال شقاوة ودى كان فيها شيرين وفوده وبلغ فراج وعلى صادق وأحمد صادق ومصطفى ذهنى، كان فيه كمان شلة العلماء ودى فيها بتوع البعثة زى سيد حسنين وصالح خشبة وفتحى الصيفى وعبد الجواد حسن ومصطفى عبدالعزيز وأنا طبعاً دخيل ع العلماء، دول كاتوا يتلموا كل كام يوم ويشترى برميل بيرة أو تشكيلة جن ويسكى ونبيت فرنساوى والمانى ويتناقشوا فى ستين موضوع، كان فيه شل متخصصة مثلاً فى صيد البنات من محلات الرقص وشل متخصصة فى لعب البوكر وشل الناس الطيبين اللى فى حالهم زى بكر حمدى وفؤاد حمدى وشراره وهكذا، لكن فى العادة كنت تلاقى كل واحد مشترك فى أكثر من شلة.

فى أيامى نادى الفراعنة فات فى أزميتين، أول أزمة يوم ما واحد اقترح أنه يبقى له مكان ثابت للمحاضرات زى النوادى الثانية والباقي واقفوا، الأزمة دى فانت بسلام لان الاعضاء لقوا فلوسهم ماتكفيش، أنا أفكر أن دى كانت أزمة كبيرة لان جمال النادى هو فى حالته المتنقلة دى، ويوم مايتنسى التقليد دا هاببقى النادى محل قعاد ويمكن يجيوا فيه طاولة كمان.

تانى أزمة كانت أهون من دى شوية لكن برضه كانت خبطة،
أول ما قامت الحرب جامعة لندن عزلت كل كامبريدج وعزل معاها
حسبة عشرين مصرى. دول ماعرفناش نعمل فيهم أيه.. دستور
النادى نفسه كان غامض. كل اللى بيقلوا أن أى واحد بيدرس
فى كامبريدج له حق العضوية.. الجماعة الجداد صحيح بقوا
بيدرسوا فى كامبريدج لكن مش فى «جامعة» كامبريدج. المسألة
بقت فى ايد المفسر مش فى ايد الشارع. غير كدا قول ضيوف
علينا يمكن يقعدوا كتير يعنى لازم لهم نادى، وإذا ابتدينا نثير
مشكلة الجامعة» مش بس هانوريهم عدم ترحيب انما كان
هايفتكروا ان «كامبريدج» بتتكبر على «لندن». الشعور دا موجود
من الأصل، وأى غلطة من ناحيتنا كانت تجرح احساس الجامعة.
لكن من ناحية ثانية احنا كنا خايفين انهم لم يدخلوا يقعدوا يعدلوا
فى دستور النادى وتقاليد النادى على فكرة وينتخبوا مجلس
الإدارة منهم لانهم دايمًا كان عندهم الأغلبية. تبقى الفوضى بتاع
النادى المصرى الملكى اللى فى لندن جت عندنا، ويبقى الفراغة
الأصليين راحوا فى شربة ميه. أنا شخصيا اقترحت أننا ناخذ
بتنوع لندن أعضاء منتسبين بس مدة الحرب، يعنى نص اشتراك
وفما يحضروش الجمعية العمومية وما يرشحوش وما يصوتوش.

غير كدا نبقى كلنا سواسية كأستاذ المشط. أنا فإكر تماما برضه
أن الأستاذ صلاح خشبة وقف معاياه للنهابة وبعد مناقشات
وشتائم كتيره اقترأحى اترفض ويتوع لنذن دخولأ معانأ أعضأ
عأدين تعرف؟ إنا لما سبت كامبريدج بعدها بكأ شهر كان
دستور النأدى اأعدل فى أغلب أجزأئه.

أعرف لويس فأنوس بيعمل إيه فى مجلس الشيوخ؟ طول الوقت
يتكلم ويعترض فى الفأضية والمليانة. أنا كمان طول الوقت كفت بأ
أتكلم وأعترض فى الفأضية والمليانة فى نأدى الفراعنة.. كان كل
أجميعة عمومية تقريبا ليه دوشة وأأعرف عنى أنى مشاكس .. أأئك
مثل.. بعد الأستاذ صلاح خشبة ماأخلصأ رياسأه، أة أأأأاب
الرئيس الأأىأ، يومأ بلغنى أن شلة فيكتوريا - وأى كانت كأكيرة
- أأفأأ أنها أأسند الأستاذ أمر الله بليغ زميلهم ووأ كان يأوىك
بقى له سنة فى البلاد، زعلأ قوى على أكاية العصبيأ فى
الأأأأاب أى وأشرأأ المسألة لبيتوع البعأة وأألبأ منهم أنهم
يسأأوا وأأأ منهم، أنا أأبعا مألش الرياسأ ولو شأقونى بعد
فصل بأرأ كان أاصل زمان بسببها، قام أأأأأأنا الأستاذ
عأبالعزیز عمر ورحنا الأأأماع وأأأأأنا، بليغ أألع رئيس وأنا
أألعأ وكيل، ساعأها أنا عملأ دوشة كأكيرة وأأهمأ الرئيس

الجديد انه كان عامل «كابل» من بتوع فيكتوريا وطلبت منه انه يستقيل لانه صغير وجديد ومايعرفش حاجة من تقاليد النادي ورحت مستقيل من الوكالة باعتبار انى ما أقدرش اتعاون معاه. طبعاً بعد كدا عرفت انى غلطت لان بليغ مانجشش «بالكابل» بتاع فيكتوريا لان شلة فيكتوريا ماجاتش الا بعد الانتخاب ما انتهى. عرفت أنى غلطت لان بليغ نجح بأصوات بتوع البعثة اللى كانوا بيدوا بعض مقالب من ورا زى العيال. أنا كان موقفى فى منتهى السخافة أنا ماكنتش أعرف عبدالعزیز عمر كويس ومارشحتوش غير لما قالوا لى رشحه ثانيا لانه كان عضو قديم وعارف تقاليد النادي وأمر مط فى مجلس الإدارة. ماكنتش عارف أن بينه وبين التانيين «ضديات» دا كان يوم ما يعلم به غير ربنا. اكتسبت عداوة الرئيس لوجه الله، ودام النفور أسبوع كامل، لكن بعد كدا رجعنا حباب .

لكن أنا ماكنتش دايماً غلطان بالشكل دا.. كنت أحاسب فى الشكليات، كنت أحاسب فى الحاجات المهمة، يجوا ياخدوا صورة للأعضاء أقول لا فلان أقدم من فلان يقوم يقف قدامه، ولا حد واخذ باله، عاوزين يعملوا الانتخاب الجديد قبل ما يناقشوا الحساب الختامى، أقول يا اخوانا ما يصحش، ولا حد واخذ باله من يوميا عرفت أن مركزى الطبيعى دايماً فى المعارضة.

أنا لازم أحيى الاستاذ صلاح خشبة لانه كان أكمل مثال للرئيس الدستوري، كان يشوف رأيہ بيتقطع تحت قدام عنيه ومع ذلك ما يفتحش بقة وياخد أصوات من سكات وبعد ما يتهزم وخلاص يقعد يشد فى شعره ويشرح فكرته للكراسى وفناجين الشاى، وياما ظلم نفسه عشان يدى خصمه فرصة كاملة، وطول ما هو بيدير الجلسة عواطفه وميوله بيطورها فى جيب البنطلون.

أنا لازم أحيى الأستاذ أمر الله بليغ لانه كان اكفأ رئيس وأنشط رئيس والحماس دايماس ماسكه من زوره، مهما اختلفت معاه فى المبادئ لازم أعترف إن فى عهده النادى مشى زى الساعة، كان يعمل كل حاجة ويعدين ياخذ أصوات. ايه الفائدة؟ لكن عمره ما غلط، ودا معنى الدكتاتورية المستنيرة.

أنا لازم أحيى نادى الفراعنة لانه علمنى الخدمة العامة وروح التعاون، فى عهد خشبة اتعلمت مسئولية «النايب» اللى له صوت وضمير يحسب حسابه. وفى عهد بليغ اتعلمت أبقي «فنى» مالوش صوت ومعلش مسئولية لكن له رأى يتسمع ويتوزن.

دا عمل طيب دا عمل طيب، واللاتنين كانوا دايماس ماشيين على حرف حرف غويط . المبادئ رخيصة والعبرة بالرجالة .

الشاطيء المسحور

الشتا كان شديد قوى فى ديسمبر ١٩٣٨ . كل الجرايد كتبت انه كان من افزع الشهور اللى فاتت على أوروبا فى الخمسين سنة الأخيرة، وكانت كل صبح تدليك إحصاء مقارن عن الحرارة . لندن وصلت كذا تحت الصفر، باريس كذا برلين كذا وموسكو كذا . كله تحت الصفر . أنا بالأخص حسيت بالبرد عشان السنة اللى قبلها ما حسيتش بيه، أى واحد كان عنده عطلة وفلوس كان لازم انه يهرب للجنوب ، الجنوب قوى إذا أمكن. أنا كان عندى عطلة لكن ماكانش عندى فلوس ، الفكرة جت وراحت. كنت مشغول قوى فى حثة بحث ع الأدب الانجليزى بعد الانقلاب الصناعى. وما صدقت وصلت لحة الواحد يقدر يقف عليها والفكرة جت تانى.

رحت البنك بتاعى أطلب سلفية ، المدير قال مافيش مانع، بس عاوز ورقة من المؤدب بتاعك المؤدب بتاعى قال مافيش مانع وكتب ورقة لمدير بنك باركليز فرع شسترون رود اللى كنت با أعامله، يقول فيها انى شخص مضمون، تانى يوم الصبح مش قادر أنساها لحد دلوقت. كان عشرين ديسمبر: طلعت من البيت حوالى عشرة وكنت لابس بالطو تخين وفوق البالطو بالطو مطر وفوق

بالطو المطر الروب بتاع الجامعة وحوالين رقبتي الكوفية الصوف
بتاعة الكلية اللي طولها متر ونص والبرنيطة مكبوسة فى رأسى
زى الحلة والجوانتى على إيديه بيتقط زى مناخير واحد مزكوم،
المسافة كلها كانت عشر دقائق . كنت ماشى بمنتهى الاحتراس ع
التلج أحسن أخذ لى هدرين، وطريق فيكتوريا مكشوف قدام عينى
ومنحدر ومفروش بالقطن الطبى البارد والبنك شايفه فى وشى
هناك فى آخر الشارع .

بقيت ماشى زى الانسان الميكانيكى اللي زيتة نشف وعدته
بتشفط. مناخيرى كانت مش موجودة. ودانى دى الدم وقف فيها
ومش بطلت تسمع بس انما ماكنتش حاسس بيها خالص بس
كنت شايف مية دافية بتشر على شفائفى وكل ما أحب أمسح
مناخيرى فى الجوانتى دراعى مايرضاش يتحرك. اللي يشوقنى
من بعيد كان يشوف حزمة هدم بدراعات مفرودة زى غراب
المقاته، وأبص على مدى الشارع النازل ألقى التلج لسه صافى
وسليم كأنه نزل من كوكب على كوكب مش مأهول. مافيش أثر
لرجل انسان ولا خط سابته بسكايته ولاطين كشفته للسطح عجلة
تقيلة. عرفت أن الناس خايفة تطلع وان عريية الفحم لسه
مافانتش. بعد نص ساعة بالضبط كنت على باب البنك، من سكات

الصراف عطاني خمسة وتلاتين جنيه ولما جيت أمضى الشيك
ماعرفتش.. الريشة وقعت ثلاث مرات، قلعت الجوانتى وحطيته ع
الترابيزة شفته بيتنفض زى زهر القطة اللى سيدها ضربها .
رحت لشركة بل بتاعت السياحة قدام الكلية بتاعتى واستلمت
تذاكر. سكة لندن - بوفر - كاليه - باريس كانت غالية شويه
عشان كدا دايمًا كنت أحجز تذاكر فى سكة لندن - نيوهافن -
دييب باريس. ورحت للأستاذ بتاعى أحكى له ع الشغل وأقول له
مع السلامة ورجعت البيت ومليت الشنط زى العادة بالكتب وقفلت
ماكينة الكتابة بتاعتى وهزيت ايد مسز ويلكسون وزقيت ع المحطة.
سيبك من اللى حصل فى السكة أو فى لندن أو فى نيوهافن.
ماشفتش حاجة مهمة غير شوية البنات والصبيان اللى دايمًا
تلاقيهم كل ديسمبر فى محطة فيكتوريا لابسین بتطلونات كحلى
بتاعت زحلقة ع الثلج وشايلين العوارض الخشب بتاعت الزحلقة
ورايحين «القارة» يتزحلقوا على الجبال. المانش كان وحش فى كل
حتة، فى النص الانجليزى وفى النص الفرنساوى ، وأنا البحار
الكويس لقيت نفسى بعد ساعة غدى بقت كلها تفرز لعاب مالح..
أغلب المسافرين كانوا طبعًا ييفضوا بطونهم ع السراير وع
السلام وع الدك، واللى لحقوا حتى يوصلوا حافة المركب بقوا فيه

مالحة فى القناة المالحة . أنا اخدت لى كام وسكى.عشان أعقد
نفسى ورحت متمدد وبعد ساعتين راح الصداع والأرق والمرحلة
خلصت..

قبل ما أنزل ديب طبعا قعدت أتفرج على الشاطئ المسحور
ع المنارة وع الكنيسة اللى قايمه على ربوة عالية والموج بيضرب
فى الربوة افتكرت «الجو» اللى كنت با أعيش فيه وأنا سنى
اتناشر سنة أيام ما كنت با أقرأ فى رواية القرصان -
«سيركوف» عن سان مالو وأمواج المحيط الاطلسى اللى بتضرب
طول الليل فى بيوت الصيادين والمهربين، ومدوا السلم للبر رحت
شاييل ف ايد شنطة الكتب الصغيرة اللى دايم با احط فيها
غيارين كل ما أسافر ، فى الايد الثانية شلت الرمنجتون بتاعتى .
وأنا نازل على السلم شفت جنبى برونات لابسة حشمة واسبور
فى نفس الوقت شاييلة شنطة كبيرة قوى. ما عرفتش جنسيتها ايه
قلت لها بالانجليزى :

– أقدر أساعدك ؟

– متشكرة .

رحت عاطيها الشنطة الصغيرة وأخذت شنطتها الكبيرة
ومشينا ساكتين. وكام مرة تقريبا تهنا من بعض فى الزحمة.. لكن

أول ما وصلنا الجمرك نورت على بقية الشنط لقيت الشياال
حارسها ووقفنا فى الصف قدام البنك الطويل كل واحد فرد
حاجاته وموظف الجمرك الثقيل لازم يشوف كل الشنط، وينعكش
كل الهدوم ولازم كمان يفتح الرمنجتون ما اتكلمناش كثير، لكن
من لدغتها عرفت أنها فرنساوية. نهايته. وصلنا القطر يدويك قبل
ما يقوم مالقيناش ديوان ياخذنا رحنا واقفين فى المشاية من ديب
لحد باريس من ديب لحد باريس حصلت حاجات كتيرة. قلبى
اتفتح وقلت لها حاجات كتيرة عن نفسى وهى حكّت لى حاجات
كتيرة عن نفسها ولما القطر صفر عند بونتواز بقينا أصحاب عرفت
ان اسمها مادلين بيرنيه قعدت سنة فى لندن وانها مش هاتبات فى
باريس غير ليلة واحدة ويعد كده هاتسافر شهر فى البرانس
الواطية عشان تشوف أهلها وانها بعد أجازتها ترجع باريس
تشتغل. قبل ما يدخل القطر باريس بزمان كنت با أكل الحشمة
والطبية نفسهم جوا البلطو الصوف البنى السادة اللى كان بيتحك
فى البالطو الصوف المقلّم بتاعى .. حسيت أنى فى تجربة هاتنتهى
قبل ما تبتدى .. قلت فى عقلى هو السرور دايم عمره زى عمر
الزهور، وأنا ماليش حق أنتظر غير كدا. القطر دخل باريس وخفت
وزيق ووقف فى محطة سان لازار. قلت لها :

- مش تفتكرى حقنا نحتفل بصداقتنا القصيرة دى ؟
- انبسطت من الفكرة، ويدوك اتخلصنا من العفش واتفرجنا
على تلج باريس الخفيف اللى نصه كان ساح ونصه كان معجون
بالطين ورحنا نازلين ع البلد نتفسيح. مادلين أخذتني حته اسمها
بلاس دينالى وقالت لى استنى هنا عبال ما أشوف واحدة
صاحبتي عشر دقائق بس وها أجيلك فى القهوة دى .. قعدت فى
القهوة مش أفكر فى اللى ها أعمله الليلة لكن فى اللى ها أعمله لما
تسافر صاحبتنا ، كان أغلب اللى فى القهوة عمال لابسين بيريهات،
بيشربوا ويلعبوا بلياردو. شفت القرايز مترصصة أشكال وألوان
قلت أنا لازم استحمى الليلة بالشمبانيا، اشتريت ثلاث قرايز
شمبانيا كل قرازة كلفتني ٢٢ فرنك يعنى أيامها حسبة ١٤ قرش
وقرازة سوترن كلفتني ٢٧ فرنك وأخذت لى كاس ابريتيف سان
زانو ع البار واتلحمت شوية فى الفلوس الفرنساوى «قريتها» كلها
مرتين تلاته قبل ما اسلمها للجرسون واتمشيت اتفرج على
البلياردو. كل دا حصل فى عشرين دقيقة وصاحبتنا لسه
مارجعتش . ابتديت اتضايق عشر دقائق كمان برضه ماجتش.
فكرت أقوم ماجتش قلت فى عقلى أيه شغل المصريين دا . قعدت
أسأل الجرسون احنا فين وارى أطلع من الحته دى وازاى أوصل

محطة سان لازاريف وسط الكلام بصيت لقيت صاحبتنا داخله
بتلمع وتنور. عرفت انها لازم استلفت من صاحبتها مشط وقلم
أحمر وفرشة هدم وفوطة وش . الحمد لله الى جت لكن أنا لسه
متضايق .. اعتذرت ماردتش. شرحت أسباب ما عملتش تعليق.
وفي الآخر غيرت أنا الموضوع وحكيت لها على البضاعة التي
اشتريتها واحنا ماشيين باحتراس ع الميدان المزحلق.
ماروحناش سينما ولا تياترو ولا مرقص، لكن أنبسطنا
خالص..

وف الصبح رحت ودعتها على محطة الجنوب جارديورسيه ولما
رجلى طلعت من المحطة بصيت ورايه أودع كل الناس اللطاف في
الدنيا التي ما أعرفهمش في شخص مادلين بيرنيه، وهزيت راسي
وبصيت قدامي ونسيت بسرعة شواهد هذا الماضي وما افكرتش
غير اني سايع جاي أشوف باريس وأقابل مندور. ابتسمت واخذت
تاكسي ع الحى اللاتيني .

أول حاجة نورت عليها ف الحى اللاتيني كانت ٥٣ بولفار سان
جرمان، عنوان الاستاذ عبده فراج . بعدما أخذنا بعض بالحضن
وقعدنا نتبادل الذكريات نزلنا نسرح في البلد فراج كان راجل
طول عمره في جد من بيته للمدرسة ومن المدرسة البيت، عشان

كده مافرجنیش غیر ع الحاجات الظاهرة قوى. لما كنا ف الجامعة
ف مصر سوا كنا ساكنين مع بعض، وكنا متفقين ان احنا الاتنين
نروح بعثة ف وقت واحد - كآن المسألة ف ادينا خلاص - هو ف
باريس وأنا ف لندن ونبقى نزور بعض ف الاجازات. أنا بریت
بوعدى وزرته ف ثلاث أجازات لمدة طويلة وهو عمره ماچه .

المرّة دى مندور تعب معایه صحیح لدرجة أنى بعد كدا قدرت
أقف على رجلي واستغنى عن الارشاد. كل مرة رحت فيها باريس
بعد كدا بقيت عارف سكتى وفى الآخر فات على وقت بقيت عارف
باريس زى ما أنا عارف مصر. المرّة دى كان تانى مرة أروح
باريس وسكنت برضه فى الحى اللاتينى. سكنت فى لوكاندة
كازيميرى لافينى ف شارع كازيميرى لافينى ورا كلية الطب لطم.
انما لما رجعت باريس تالت مرة ورابع مرت بقيت أسكن ف رقم
٨٣ بولفار برتیه فى شارع بعيد عن نوشة البلد.

كان مفروض ف البروجرام بتاعى انى أحضر الكريسماس
وعيد رأس السنة ف باريس وأشوف الفرنساويين بيهيصوا ازاي.
قالوا فيه رقص ف العمودية بتاع الحى اللاتينى رحت لابس
ورايح من غير تردد لقيت صالة كبيرة وف الصالة ناس كتار وفرقة
المزيكة فى آخر الصالة لكن كان فيه حاجة غريبة حوالى

ماشفتهاش قبل كدا فى مراقص انجلترا . لقيت الصف
الشمال .

لقيت الصف الشمال كله ستات عواجيز بين الأربعين
والخمسين، لابسين لبس سهرة لكن ألوان حشمة وتفصيل حشمة،
ما فهمتش إيه الحكاية. ف انجلترا كنت أحيانا تلاقى ف كل
مرقص سبع تمن ستات عواجيز مخلوطين بنسبة معقولة ف
جمهور الشباب اللى بيرقصوا مش راضيين يقبلوا الحقيقة الأليمة،
ان زمانهم فات وان مكانهم جنب دفايات البيوت، برضه تلاقىهم
بيشربوا ويرقصوا غالبا مع رجالة من سنهم أن كنت راجل عندى
قلب انسانى تفهم وتعذر بس تتأسف ع الوقار اللى بيضيع فى
صالات اللهو. وأن كنت راجل احساسك ميت وخيالك محدود
تضحك وتستهنى كل ما تفوت قدامك واحدة رقبته مليانة تجاعيد
ولحمها التحتانى مرخرخ تحت الفستان ورجليها محنية شوية. أنا
لما شفت الستات الكبار لول قاعدين فى صف واحد قعدت أفكر.
لول جاين يرقصوا طبعاً. طب وليه مرصوصين كدا؟ دا مش من
مصلحتهم . لقيت بنت جميلة طويلة باين عليها النعمة لابسة تلى
أبيض مفضفض زى العروسة ليلة الزفاف وديل فستانها نايم ع
الأرض جنبها كأنه كلبها الأمين. كان شكلها من بعيد زى صورة
من ريشة رومنى. طلبتها رقصت معاية.

رقصنا كام مرة حوالين الصالة ويعددين خطر لى أسألها عن الستات العواجيز اللى قاعدين ع الشمال. قالت لى أن بول شابيرونات مش جايين يرقصوا انما جايين يحرسوا البنات اللى ف الرقص. فهمت كمان منها أن كل واحدة من الستات العواجيز بول - واخدة بالها تماما إذا كانت بنتها أو بنت أختها أو بنت عمته رقصت مع «الفارس» بتاعها مرتين وتلات مرات، عشان مفروض أن البنت ماترقصش مع شخص واحد مدة طويلة. سألتها ليه، قالت لى أن الولد والبنت إذا رقصوا مع بعض مدة طويلة يمكن بيتدوا يستلطفوا بعض ويعملوا علاقات ودا مش كويس. قلت معقول وابتديت أصلح الخطوات بتاعتي ع المزيكة وأرقص كونجا زى خلق الله بعدما بوظت لها جزمته من كتر الدوس والتكعيل.

دى كانت ليلة الكريسماس ، الساعة واحدة زهقت من الرقص رحت واخذ الاشارب والبالطو وعبده فراج وخرجنا من عمودية الحى اللاتينى ودخلنا سينما بول ميش سينما حقيرة بأربعة خمسة فرنكات لكن سهرانة الصبح أنا فاكّر تمام ليلتها كان فيه رواية لدانييل داربييه مع هنرى جاره اسمها «ولد شقى» فى نص الفيلم حصل عطل كبير فى العدة. ياسلام ع الدوشة والتصفير والخناق اللى عملوه الزباين تمام زى الترسو بتاع سينما أوليمبيا

فى مصر لما يقولوا هاتوا قلوبنا، سيما أونطة. قلت فى عقلى الحاجات دى مش ممكن تحصل فى انجلترا. العطل جائز يحصل لكن النظام قبل كل شىء. أنا متأكد أن لولا العدة مشيت تانى لابد كان حصل ضرب وشوشرة. لكن جت سليمة، وشفنا الفيلم لحد كلمة انتهى .

أنا طبعا كنت مبسوط من الهوسة دى. أهو كله هيصه.. ولما خرجنا من السنما كان باقى ع الفجر حاجة بسيطة قلت بلاش نوم. صاحبى سابنى طبعا لانه راجل موزون بيفكر فى عواقب السهر ولانه زهقان من باريس. دخلت الدييون لاتان لقيت النور اللى فيه ينور محل زى جروبى والامريكين الجديد والامريكين القديم كلهم مع بعض أسبوع كامل. الواحد منين مايلاقى نور ضرورى يلاقى ظلال لكن دا من كتر النور تزويعه محى الظلال. حتى تراييزة البلياردو كنت تقدر تقعد تحتها وتقرا قعدت مع ناس ما اعرفهمش والناس اللى ما اعرفهمش لبسونى طرطور.. قعدت أشرب كوكتيل ورا كوكتيل واخطف طراير الناس لحد الخيط الأبيض ما بان من الخيط الأسود. والميكروفون بتاع القهوة بيغنى اسطوانة واحدة مافيش غيرها لموريس شيفالييه كل ما تخلص تتعاد أربعة وعشرين ساعة فى اليوم. وفى الفجر قعدت اشرب

قهوة بيضا ورا قهوة بيضا لحد صوت المترو اللي فايت تحت نهر
السين ما قال لى ان عيد الميلاد انتهى وحركة المرور فى شارع
سان ميشيل قالت لى قوم وخذ حمام وأعمل عمل منتج .

بعد كدا بقيت أروح السوربون لوحدى وألور وأدعبس علي
خفايا باريس ومعالمها من غير دليل.. شوية شوية استغنيت عن
الأستاذ مندور لدرجة أنى بقيت أروح الضواحي لوحدى. مرة مثلا
كنت فى السوربون العصر بأسأل عن مقررات ونظام المحاضرات
عشان ما أقارنه بالتعليم الانجليزى وهناك اتعرفت بواحدة ست
فرنساوى عمرها حوالى خمسة وأربعين سنة الغريب بيبان عليه
وأنا كنت ساعتها دايم وبأسأل.. صاحبتنا رأفت بحالى ومشيت
معايه وفرجتنى على كل الانفتياترات والحتت اللى كانت فاتحة
وشرحت لى كل حاجة أنا عاوز أعرفها.. بعد كدا لقيت أنه من
النوق أنى أقول لها تجى تاخذ شاي معايه.. رحنا باتيسيرى
قصاد الدييون لاتين وهناك عرفت منها أن اسمها مدام تورليه
وأنها بتحضر محاضرات الأدب بانتظام وأنها متجوزة موظف
كبير فى وزارة الاشغال وعندها بنت اسمها فرنسواز عمرها
خمستاشر سنة وانهم ساكنين ف ضاحية مونروج وانها عايزانى
أقابل جوزها واخذ شاي معاهم فى بيتهم أخذت العنوان وبعد

يومين رحت بنفسى مونروج وتتهت خمس ست مرات فى السكة، ان كان فى المترو والا فى الشوارع وفى الآخر برضه وصلت فى الميعاد بالضبط.. عرفتتى بعيلتها واحد واحد والجماعة كانوا لطاف قوى معايا لكن حسيت طول الوقت كائن لابس تشريفة أو كائن وزير مفوض فى حفلة رسمية، مدام تورليه طبعاً عملت كل اللى تقدر عليه عشان تخلىنى أحس انى فبيتى لكن الحقيقة أنا اتلخت .. أكثر حاجة لبختى طبعاً كانت فرنسواز.. أول ما دخلت الصالون أمها قالت لى ..

— دى فرنسواز بنتى ..

أنا مديت ايدى شويه عشان أسلم عليها بصيت لقيتها مسكت فستانها اللى مليان كشاكيش من الجنين وراحت نازلة على الأرض على نص ركبة.. رحت ساحب ايدى بسرعة واتلخمت ماعرفتش اعمل ايه.. ياترى المفروض انى اطلع مونوكل واحطه على عينى واخبط الكعيبين فى بعض واحنى راسى وأقول «انشانتية» زى ما بيعملوا فى الروايات.. ياترى مفروض انى اخذ أيدها فى ايدى وارفعها لشفافى واطبع عليها بوسة مؤدبة وأقول بشكل دراماتيك «مدموازيل خدامك المطيع» زى ما بأشوف جورج ساندرز بيعمل فى السينما قلت كلمتين بالفرنساوى ماحدث

سمعهم معناهم أنا سعيد الى عرفتكم يامدموازيل وصوتى اتحبس
دقيقة وحسيت انى كل كرسى فى الصالون بيزعق فى .. همجى
باربار .. لكن المسألة انتهت بسلام لان مدام تورليه بسرعة قدمت
لى سيجارة وعرضت على أنى أتلضل أقعد.. كان واضح ان عيلة
تورليه بورجوازية مافيهاش دم ازرق ولا حاجة والحال كان من
بعضه .. لكن شوف ازاي البورجوازية لما تقوم فى بلد تقوم تعمل
التقاليد بتاعتها وحتى تسرق حاجات كثيرة من طبقة الاشراف
الى هيه هدمتها فى الثورة الفرنسية لما الحكاية هدبت شوية أنا
كنت لسه با أفكر فى الموضوع .. فكرت فى الطبقة المتوسطة
بتاعت مصر ازاي ظهرت لما محمد على فتح ديوان الأفندية الى
بعد كدا تتطور وأصبح الحكومة المصرية، وازاي قعدت ميت سنة
فى البلد من غير ما تعمل لها تقاليد ولا شكليات ولا حتى صفات
عامة تميزها عن بقية الطبقات .. دا سر لبختنى فى الحقيقة.
والموقف كله كان عبارة عن واحد بورجوازى عتيق يلعب على واحد
بورجوازى جديد.. بعد ربيع ساعة اتنقلنا بزيينا للسفرة عشان
الشاي، وع الشاي قعدنا نتناقش فى الأدب. والفروق بين راسين –
وشكسبير .. موضوع غريب شوية. طيب أنا معقول اتكلم فى
موضوع زى دا ومام تورليه كمان عشان بتروح السوربون فى سنة

خمسة وأربعين.. لكن مسيو تورليه مهندس الكبارى ايش عرفه
بالحاجات دى ؟ اسأل أنت واحد مدير أعمال فى الرى والا مأمور
جمرك فى مصر يقولك يا ابنى أنا مهندس أو دكتور أو أى حاجة
ومالش فى الأدب. روح أسأل أستاذ فى كلية الآداب. الحقيقة
الموقف كله كان غريب شوية . ابص لست اللى قدامى وأفكر فى
بنات الجامعة فى مصر ازاي بيدخلوا الجامعة لحد ماتجى لهم
جوازهم وأول مايجى العريس يسيبوا الجامعة فى نص السكة ودى
اللى قدامى شعرها ابتدا يشيب وينتها على وش جواز ولسه
مثابرة ع التحصيل فرنسواز مافتحتش بقها طول الوقت ما
أعرفش ليه.. قلت يمكن من باب الاحترام للجامعة الكبار اللى
قاعدين.. قلت يمكن ما عندهاش حاجة نقولها مسيو تورليه قال انه
يفضل راسين طبعاً، وأنا قلت أن أفضل شكسبير طبعاً ومدام
تورليه مسكت العصاية من الوسط وقالت حاجة معناها انها تفضل
الأتنين على بعض ان كان دا ممكن.. هى طلعت اعقلنا بطبيعة
الحال، وباقيين مافتحوش بقهم مدة ساعتين.. أنا ما استغريتش
ان مسيو تورليه أو أى واحد فرنساوى محافظ فى ثقافته يفضل
راسين على شكسبير.. أنا كنت عارف أن أهمية راسين فى فرنسا
زى أهمية الدستور الانجليزى فى انجلترا.. أدى زيادة عن عشرين

سنة واحد اسمه مسيو فوشوا كان عامل سلسلة محاضرات عن راسين فى تياترو الاوديون بباريس وانتقده نقد شديد وحتى قال أن فيكتور هيجو فى حاجات كتيرة أحسن منه، قام الجمهور اللى بيسمع اتحمس قوى واتقسم صفين. صف مع راسين وصف مع هيجو وهات يا ضرب فى بعض.. بعد كدا البوليس حاصر الاوديون ومادخلش الناس الا بتذاكر.. دا يوريك معنى راسين عند الراجل الفرنساوى المحافظ.

بعد ساعتين كنت تانى فى الشارع با أتحسس طريقى لباريس وفى المترو قعدت أفكر فى اللى شفته وسمعته ..

زى أغلب المصريين اللى على نياتهم أنا كنت فاكرو أنا فرنسا بلد الاباحة والحرية اللى مالهاش حدود.. بعد ماشفت بنات الأسر فى عمودية الحى اللاتينى رايعين الرقص محروسين بقرايبهم عرفت أن فيه حاجات فى فرنسا أنا مش فاهمها سألت الناس اللى بييفهموا قالوا لى ان فرنسا مش باريس.. عرفت أن الفرنسيين شعب محافظ زى أغلب شعوب البحر الأبيض المتوسط أو على الأصح زى أغلب – الشعوب الزراعية وبالأخص فى الريف .. عرفت أن الحرية اللى بيحكوا عنها دى فى باريس ليس الا لأن باريس عاصمة العالم اللى عاوز يتفسح ومدينة معمولة للاستهلاك الخارجى عرفت ان فى الجنوب بتحصل أحيانا

حوادث قتل إذا بنت سلوكها خسر شوية زى ما بيحصل عندنا فى الصعيد.. وكل مرة أعيش فى فرنسا واختلط بالناس المعقولين أنسى قلب المترولوجيس وأفهم ازاي العالم واخد فكرة غلط على الفرنسيين.. أنا بس أذكر الحاجات دي عشان الناس المخدوعين اللى بيقلوا ان فرنسا اتهزمت فى الحرب من كتر الفساد الخلقى..

زى أغلب المصريين اللى على نياتهم برضه أنا كنت فاكرا الانجليز أكثر شعب يحب الشكليات عشان قضاه فى انجلترا لسه بيلبسوا شعر مستعار وتلامذة الجامعات بيلبسوا روبات وحراس برج لندن بيلبسوا نفس البديل اللى اسلاقهم كانوا بيلبسوها فى عصر أسرة تيودور عشان الحياة العامة الانجليزية مليانة طقوس ومراسيم ، القضاة مايفتحوش الدورة القضائية الا بموكب .. عمدة لندن يزفوه فى السنة مرة .. عمدة ما أعرفش ايه يوزنوه بالميزان.. لكن بعد ما اختبرت الحياة الفرنسية عرفت أن الفرنسيين شعب يحب الشكليات خالص.. أنا طبعا ما با أفكرش فى أسرة تورليه اللى مليانة انحياءات وابتسامات ولا فى فرنسواز الصغيرة وهى بتسلم على طريقة القرن التاسع عشر.. أنا بافكر فى عشرين أسرة ثانية احتكيت بيهم وشفيت فيهم دقة متناهية فى السلوك الاجتماعى..

النهارده الصبح با افتح المذكرة بتاعة ١٩٢٨ لقيت فيها حاجات لطيفة قوى لكن مش مهمة وشخصية وما فيش داعى أوشك بيها.. إذا كنت عاوز تعرف نوع المغامرات بتاعتى ف باريس ها ادلك امثلة ..مكتوب ف النتيجة .. التلات ٢٧ ديسمبر.. الليلة قابلت مندور وطلعت اياظة بعد العشا ورحنا سوا كإباريه شانغهاى وبعد نص الليل رحنا مونبارناس وقعدنا ف قهوة الكوبول وشربنا شوية ..

الأربع ٢٨ ديسمبر النهارده قابلت إبراهيم صفوت بتاع كامبريدج ف بولفار راسباى وعرفته بعبد فراج.. الساعة سبعة ونص عزمى إبراهيم عبده ومدام عبده وعلى عيسى ومدام عيسى واتعشنا كسكسى ف قهوة اسمها الكتيبة ف شارع اسمه المدارس بتاع واحد مغربى اسمه عبد القادر .. القهوة زى الفرزة تماما .. واحنا بناكل جم اتنين شبان من تونس وشاب ارمنى وقعدوا يغنوا ع العود ف منتهى السخافة كمان غنوا النيل نجاشى والهوى والشباب وحب الوطن فرض على أنا ملاحظ ان فيه مجهود عشان الجماعة نول يوجدوا جو شرقى لكن الطريقة غلطت واحدة رقاصة تركيه مش احسن من أى بنت عند بديعة وقعدت تهز ف نفسها شوية.. طبوا علينا شوية انجليز سواح طبعاً،

عشان يتفرجوا ع الرقص الاورينتال انا قرفان.. طلعتنا من الكتيبة
ورحنا قهوة السورس ف شارع سان ميشيل لقينا شلة المصريين
وواحد عراقى بيتناقشوا ف الوحدة العربية ..

الخميس ٢٩ ديسمبر دخلت تياترو الأوديون وشفت «حانة
مكسيم، رحت الدييون وقعدت جنب بنتين .. قالوا لى أنهم كانوا
بيشتغلوا ف مصنع شربات ودلوقتى مش لاقين شغل .

الجمعة ٣٠ ديسمبر مندور اخدنى جامع باريس.. العمارة
لطيفة لكن فيه خمارة جنب الجامع اتغدينا ف مطعم صينى ورحنا
ريفولى واللوهر والشانزليزيه ..

السبت ٣١ ديسمبر قابلت داود فودة ،، بتاع كامبيريدج
واتفشنا ف كابياريهات مونبارناس .

الحد ١ يناير عزمت عبده فراج ومدموازيل ماس فريير ع
الشاي ف قهوة تريوف ف الشانزليزيه .

الاثنين ٢ يناير اخدنى عبده فراج الكوميدي فرانسيز وشفت
مفاجأة الحب.. بتاع ماريفو والمريض الموهوم .. بتاع مولير ..

الثلاث ٣ يناير رحنا حوالى عشرين مصرى محطة ليون نودع
الملكة نازلة والأميرة فوزية لقينا حوالى خمسين شاب ايرانى
واقفين صف ومتحمسين خالص .. ابراهيم عبده كان لابس

طريوش وحده وكان شكله غريب.. مجعنا الدييون ولعبنا كونكان
دكرورى ومدام ابراهيم عبده ووديع عبد الملك وبيع غيث
والمرجوشى قمت خسران ..

الاثنين ٩ يناير مندور اخذنى يفسحنى طول النهار .. رحنا
كنيسة المادلين وكنيسة الساكركير ودير الينديكتين الى جنبها
اخذنا الشاى ف بلاس دى تتر شيك الماهية معايه ومش عارف
اصرفه.. رحت بنك باركليز ف شارع ٤ سبتمبر وقلت له على
اسمى وكليتى قام اخذ الشيك وعطانى خمسة جنيه وحول الباقي
ع البنك بتاعى ف كامبريدج أنا أرفع برنيطتى لمدير بنك باركليز
ف باريس، لو كان دا مصرى كان خلانى أجيب الساعى بتاعى
عشان يضمنى على حواله جنيه . على عيسى ومدام عيسى
اتعشوا معاى ..

الثلاث ١٠ يناير ف الصبح مندور قابلنى ف التروكاديرو
عشان يفرجنى على متحف الفن الحديث مالفيناهاوش . طلعنا برج
ايفل واتفسحنا ف غابة بولونيا.. بعد الظهر عبده فراج اخذنى
يفرجنى على مدينة الجامعة .

الاربع ١١ يناير النهارده الصبح عبده فراج اخذنى فرساي
بعد الظهر رحت واخذ شاى عند مدام تورليه ف مونروج ..

الخميس ١٢ يناير لعبت كونكان ف الدييون وقمت خسران .
الجمعة ١٢ يناير رجعت النهارده انجلترا ولما وصلت كامبريدج
مالقيتش صاحبة البيت ف البيت قام نمت ف بواز هوتيل ...
دا التاريخ المكتوب .. لكن التاريخ اللى مش مكتوب اطول من
كدا بكثير فيه صفحات جميلة وصفحات مؤلة وصفحات مخزية ..
أنا لما أقول لك مثلا ان مندور اخدنى الساكركير ولا عبده فراج
اخذنى فرجنى أهى دى جملة انت تقراها وتعدى .. لكن عندى انا ،
ف عقلى انا دى كنز من الصور الذهبية والذكريات اللى بتدى طعم
للحياة . كما لما أقول لك انى النهارده رحت الدييون تقول ف عقلك
وايه يعنى مش يعنى رحت قهوة وقعدت فيها ساعتين وقمت .. لكن
ف عقلى أنا دى بداية حكاية طويلة محزنة .. بلاش اذكر اسامى
وكل واحد عارف نفسه .. أنا كنت اروح الدييون الساعة اتنين
الضهر اللاقى الدور الفوقانى فيه جماعة مصريين اغلبهم من اللى
بيتعملوا على حسابهم اجفانهم مليانه نعاس قاعدين بيتغدوا وبعد
ما بيتغدوا يلعبوا بوكر لحد الساعة سبعة والساعة سبعة يطلبوا
عشا وبعد العشا يلعبوا بوكر تانى لحد الساعة اتنين .. لحد ما
ييجى رئيس الجرسونات ويقومهم بالعافية وينزلوا من الدييون ع
الباتيسرى اللى قدام الدييون لزنق ويشترى اربع خمس دست

جاتو، وبعدين يفردوا رجليهم لحد بلاس جيسييه وهناك يسيبوهم
واحد واللا اتنين ويرجعوا ومعهم حتة حشيش وبعدين الشلة كلها
تنتقل لبیت واحد منهم ويفضلوا يكرکروا ف حتة الحشيش ساعتين
وف الآخر واحد منهم يقف على رجليه ويقول للاخوان ..

– عن اذنكو بقى .. انا عندي معاد مع البت بتاعتى الساعة
خمسة ف مونبارناس ..

الحكاية دى كانت تتكرر كل ليلة تقريبا انا فهمت.. اول ما
اتعرفت بالشلة دى وعزمونى من غير ذكر التفاصيل قلت مافيش
مانع، اهى كلها فرجة على باريس .. ولما عرفت اللى فيها قعدت
اتفرج ف منتهى الأدب والاستعجاب . ورحت تانى عشان اشوف
مفاجأة جديدة ماحصلتش مفاجأة عرفت ان دى كل حاجة عندهم
.. طبعا النوع دا مافيش فايدة انك تنصحه شاب عمره خمس
وعشرين سنة ومدمن مخدرات ومدمن قمار ومافيش فايدة
تناقشه.. ابسط حاجة فيها يقول لك وانت مالك يا بارد ..
الشخص اللى صاحبتة تدى له مواعيد الساعة خمسة الصبح ف
قهوة تبقى صاحبتة دى ايه ؟ لازم ست بطالة ويبقى هو ايه ؟
لازم راجل بطال ...

المسألة دي مهمة بشأن الطلبة المصريين اللي بيعملوا
الحاجات دي كتار ومش ف فرنسا وحدها.. النادي المصري الملكي
ف لندن مثلا فيه أودة اسمها البريدج زى الدور الثانى بتاع
الدييون تمام.. برضه تلاقى فيها شلة او شلتين قايمين نايمين فيها
.. النادي يشطب الساعة عشرة ينزلوا جماعة ويروحوا يتعشوا ف
الكورنر هاوس بتاع الماريل ارش، ومن هنا يروحوا يتعشوا ف
الكورنر هاوس بتاع الماريل ارش، ومن هناك يروحوا يكملوا
السهرة ف بيت واحد فيهم، غالبا لحد الصبح اهم دول يروحوا
انجلترا ويقعدوا اربع سنين ما يستفيدوش بنكلة من وجودهم ف
انجلترا ...

قعدت ف باريس ثلاث اسابيع وأنا ع الحال دا .. كل يوم ليه
رحله وكل ليلة ليه جولة وكل دقيقة تفوت عليه لازم اطلع بحاجة .
تعرف لما كنت الاقى نفسى قاعد مع جماعة نص ساعة ف الحى
اللاتينى وما بنعملش حاجة، أقول لهم عن اذنكوا يا اخونا واتمشى
ثلاث دقايق لحد محل «شانتكليز» بتاع الاسطوانات ف شارع
سان ميشيل واشترى شوية ماركات احطها ف عدة ليها سماعات
زى بتوع التليفون واحط السماعات على ودانى واسمع السمفونية
الخامسة بتاع بيتهوفن بخمسة ستة فرنك .. أو أوصل لحد جنيئة

لوكسمبور واقف افترج ع التماثيل واحد واحد. أو ألف حوالين
البانتيون اشوفه مركب ازاي واعد عواميده واملا رتتي من جو
الخالدين .. ومن كتر الانهاك اخدت انقلونزا شديدة ومع ذلك بقيت
داير اكح واعطس ف الشوارع وابلع البرشام ع الواقف كائى
باكل جيلاتى عند توت عنخ آمون .

أهى باريس زى ما باوصفها دلوقت مش باينه زى الشاطيء
المسحور انما زى الدوامة اللى تخلى الواحد يلف حوالين نفسه
لحد ما يقع من الدوخة، اهو أنا ف ثلاث اسابيع شفت كل حاجة
مهمة ف باريس، شفتها خطف ، زى السايح اللى اتفتحت قدامه
مرة واحدة كنوز المصريين ونفايس الهنود قام عنيه زاغت وشاف
كل حاجة وماشافش حاجة حتى العواميد الرومانية اللى ف الحى
اللاتينى شفتها وقعدت ع القهاوى السحرية اللى ف افينى فاجرام
، برضه المرة دى باريس فانتت على زى مائدة اريل ، لكن لازم
اعترف انى اكلت منها على قد ما قدرت .

بعد كده رجعت باريس تانى وقعدت فيها بالشهور بقيت زى
الجواهرجى اللى يمسك حته الماز ويحقق فيها كويس وان لاقاها
قالصو يرميها على جنب. رحت فرساي ورحت ماليزون . مارحتش
فرساي عشان اتفرج على صالة المرايا او البانيو بتاع لويس

الرابع عشر. مارحتش ماليزون عشان اتفرج على سرير نابليون والريجاليا بتاعت الامبراطورة جوزفين .. انما رحت عشان اشوف الفرق بين فرنسا الملكية وفرنسا الجمهورية .. بين فرنسا عهد الاشراف وفرنسا بتاعت حكم الطبقة المتوسطة رحت اشوف الثورة الفرنسية عملت ايه ف الفن الفرنساوى واعرف فرنسا كسدت ايه وخسرت ايه من الدوشة اللى عملتها سنة ١٧٨٩ وصدعت اركان الحضارة . الناس المحافظين زى ت . ا . هيوم دايمما يتصوروا الروح الفرنساوية الاصلية مصبوبة ف شعر راسين وف العمارة الكلاسيك وف النظام الملكى، ويعتبروا ان ادب فيكتور هيجو وطالع والحالة السياسية ف فرنسا من روبسبير لحد دلوقت حالة حمى وهذيان كل املهم ان فرنسا تشفى منها ، أنا لما كنت ساكن ف ٨٢ بولفار برتويه ف شامبريه كان ساكن ف نفس البنسيون معاى واحد فرنساوى ملكى اسمه مسيو موران الجدع دا كان شاب مثقف قوى طول ماكنا مع بعض كان مستنى شغلة ف الكونغو البلجيكية وكان يكره النظام الجمهورى قوى. الصنف دا ف فرنسا نادر والحزب الملكى ف فرنسا ضعيف . كل ما كان الموضوع يتفتح كان اخينا دا يتحسر على حضارة الاشراف اللى

سأبت لنا فرساي وجناين التريانون واللوفر وفونتتبلاو شناسو
والكاتدرائيات اللي مالهاش مثيل.. وكان دايمًا يختم كلامه بالحجة
المعروفة ..

– إيه يعنى اللي استفدناه من الجمهورية .. من يوم ما عرفناها
والفن بينحط كل يوم درجة.. مش هيه الحرية السياسية
والاقتصادية اللي بيقلوا عليها ؟ وفين هيه الحرية دي ؟ دا كلام
فارغ.. أيام لويس الرابع عشر فرنسا كان حكامها ميتين شريف
من ملاك الأراضي ودلوقت فرنسا حاكمها ميتين بنكير من
أصحاب المصانع والممولين والمحامين والمهوشاتية .. هيه فين
الحرية دي والمساواة دي والاخاء دا ؟

أنا طبعا ما عنديش نية أناقش كلام جاري القديم مسيو موران
، انا شخصيا افكر انه غلطان حتى بعد مارحت اتفرجت ع
الماليزون افكر انه غلطان، انا أفكر ان فرنسا كسبت اكتر مما
خسرت لكن أنا موافق معاه ف حاجة واحدة بس . ان فرنسا
خسرت كثير لما هدت عرش ملك الشمس واخلاقه . ماليزون بعد
فرساي زى بيتنا بعد سراية عابدين. رحت فرساي لقيت الباب
ملكى والقصر ملكى وكل عامود وكل بهو وكل رخامة وكل كورنيش
بينطق ويقول: هنا مجد فرنسا. وأنا ماشى فى الاجنحة البرنتيه

الفخمة كنت اسمع كل حيطة تهمس.. انا صحيح عمرى اربعتلاف
سنة والاصباغ اللى على مش هاتتحدى الزمان لكن شوف السفلى
المذهب اهو دا زى ضفاير مدام دى بومبادور ، شوف الكراسى
المندشة دى مش بتفكر بالدوقات الجميلات اللى صدرهم على
ورجلهم ادب وتكلف وسمر ودعارة بيتسموا وينزلوا على نص ركبة
ويرقصوا مع رجال الدولة المروحة ف ايد والايد الثانية بتدس ف
الخفاء وتحرك خيوط السياسة.. شوف البلاط المرمر دا مش
بيفكر ببلاط الملك اللى كانوا يقعدوا طول الصباحية يلبسوا
ويتحففوا وطول العصرية يتتاوبوا ويتنشقوا ويتبارزوا وطول الليل
يشربوا ويغازلوا الستات من ربات الخدور لحد الفلاحات بتوع
الغاية أتأمل الفرسكو اللى ع السقف دا، ياما أتأملته مدام دى
بارى من قبلك . اخش هنا الاقى المريح اله الحرب صالون وأشوف
الأساطير الرومانية مرسومة ع الحيطان . اخش ها الاقى الزهراء
الهة الحب ايها صالون اقوم اقول أهو دا اللى شاف ملك الشمس
من المانتوفلى بتاعة بعد الدولة ماتنام والحاشية تستأذن بيعرض
كل العواطف المبتذلة زى زى الجنائنى اللى بيسقى الورد وزى
الكناس اللى بيلم الزبالة .

رحت مالميزون لقيته عامل زى فيلا ريفيه بس كبيرة من الفيلات
الى بيسكنوها الانجليز ف المستعمرات بيضا وواطية وشبابيكها
خضرا وسقفها مدبب.. بيت متواضع يقول لك أن عصر الفخامة
والارستقراطية انتهى.. وجوه البيت اثاث نوم تلاقى زيه ف بيت
موظف درجة ثانية ف الحكومة المصرية وصور زيت وغيره
للامبراطور والامبراطورة والهورتنس وجوزها وبقية العيلة مالهش
اهمية فنية وكراسى بسيطة وبساطتها مافهاش جمال تلاقىها
برضه ف عالم النجارة بيسمونها «طراز الملكة آن» تلاقى شوية
سيوف واسلحة فيه زيها ف مدخل وزارة الدفاع عندنا. انا
ماباقولش ان المالميزون وحش. مالميزون بيت له شخصية زى
فرساي وفونتنبلو تمام.. لكن دى شخصية انسان عملى دايم
مشغول ومش فاضى لافراح الحياة ...

قلت ف عقلى الناس الى ماتوا ف حروب ملوك البوريون كلهم
مع بعض مايجوش قد الناس الى ماتوا ف حروب نابليون . تبقى
فرنسا استفادت ايه من الانتقال ؟ مدام حرب ف حرب واستبداد
ف استبداد وفقر ف فقر يبقى احسن الشعب يقدم احسن شبابيه
واغلب موارد وكل حريره لعاهل بينى بيها قصور وكاتدرنيات من
انه يديها لعاهل بينى بيها مدافع. سمعت طالب ف كلية الحقوق ف

باريس من اللى بتلمع على صدر مارى انطوانيت دى دموع فرنسا
الأسيرة . قلت له تعرف المدافع دى كلها اللى بتزمرم على تلوج
روسيا دى دماء فرنسا الجريحة . طبعا الحرب اذا نجحت برضه
بتجيب فلوس وتزود كبرياء الشعب المنتصر ودا عند بعض الناس
كفاية .. لكن عندي انا مش كفاية، لأن الانتصار الحربى مهما كان
ساحق مش ممكن يستمر على طول . كلها حسبة عشرين تلاتين
سنة المهزوم ياخذ بتاره ..

بعد الكلام دا كله برضه اقول لمسيو موران إن الثورة
الفرنسوية كان لازم تحصل والبوربون لازم ينزلوا . اقول له ان
العالم مش ضرورى ينزف دم عشان يبنى هرم او شاتو او
كاتدرائية .. الحاجات دى لطيفة لو كان تمنها معقول .. الغلطة
مش ف الهدم انما ف البناء .. بيت خريان اهدمه وابني غيره، وإذا
ماعرفتش تبنى بيت احسن منه دا ماينفיש ان البيت الاولانى كان
لازم يتهد دا معناه بس ان البيت الجديد نفسه لازم يتهد واننا لازم
نحاول نبنى بيت تالت احسن من دا ودا .

مادام حكيت لك عن مسيو موران لازم احكى لك عن بقية
الجيران بتوعى ف شامبريه لأن كل واحد فيهم كان له شخصية
تستحق الوصف وبالأخص إنهم كانوا من جنسيات كثيرة . كان

فيه واحد بلجيكي وواحدة نمساوية وواحدة يهودية وأسرة من شيلي وأسرة من بارجواي . أولا البنسيون بتاعى كان صاحبه راجل اسمه فاندنبوش . فاندنبوش دا كان عارف شغلته تمام وطول الوقت يبتسم ف ادب ويسألك اذا كنت عاوز حاجة .. بس كان فيه عيب واحد، انه بياخد ع الحمام تمانية فرنك يعنى حسبة اربعة صاغ وتمانية مليم.. بصيت لقيت ان الاستحمام بقت له ميزانية لوحدة ١٤٠ صاغ ف الشهر . اضطرريت استحمى كل يوم والثانى .

الراجل كان فرنساوى طبعاً لكن اسمه يدل على انه من اصل هولندى المانى .. مسيوى فاندنبوش ، كان تخين ومليان حياة ومتجوز اما مدام فاندنبوش فكانت نحيلة وطبعها عادى ومتجوزة مرتين . مدام فاندنبوش قالت لى أن جوزها الاولانى كان تركى وانه كان زى ماوصفته «جراى» يعنى يحب ينتقل بين الستات وعشان كده طلقتة . الست دى دايما كانت لطيفة معاه وعمرها ماجرحت شعورى الا مرة واحدة من غير ماتقصد، كان يوم ١٤ يوليو ونزلت اتعشى زى العادة فى صالة الاكل قبل ما اطلع اتفرج علي هيصة عيد الحرية ف باريس ، لقيت كل الناس اللى ساكنين ف البنسيون بيتعشوا ف وقت واحد علي غير عادتهم، ساعتها

كنت عازم واحدة صاحبتى ع العشا ولقينا الاكل الطف من كل
يوم كمان كان فيه جو بتاع مرح اكتر من كل يوم فاندنبوش
ومراته كانوا لابسين شيك عشان عيد الحرية وجابوا لنا ديوك
رومى عشان عيد الحرية، بعد الاكل ماخلص مدام فاندنبوش ملت
كاسها شمبانيا ووقفت وقالت لنا :
- نخب تحيا فرنسا ...

ووقفنا ورفعنا كاساتنا وشربنا نخب فرنسا الحرة وقعدنا بعد
دقيقة الست وقفت تانى وقالت :
- تحيا بلجيكا .

وقفنا وشربنا ، طبعا انا فهمت ان دى تحية للساكن البلجيكي
واضطريت شوية مسستنى نورى شربنا كمان نخب شيلي
وبارجواى، وف الآخر مدام فاندنبوش قالت :
- تحيا تركيا .

الموجودين وقفوا وشربوا نخب تريكا وقعدوا ، أنا بصيت
لصاحبتى وماقمتش وماشريتش وبان على الاشمتزاز ..
وماصدقت الهيصه خفت شوية رحت خارج وقلت لها ياللا علي
مونمارتر نتفرج ع الدنيا ف المترو ، قعدت معكن وف الشوارع
مشيت معكن، اكلنا اسباجتى ع الواقف وشربنا نبيت ع الماشى

النبيت لعب ف دماغى الوجوم بتاعتى فين وفين عند نص الليل
النبيت لعب ف دماغى والمزيكة اللى مالىه الجونسى بها ف بلاس
بيجال نلاقيها ف بلاس بلانش ونسيبها ف روشوشوار نلاقيها ف
شارع فوتتين ، ع الترتوار ناس بيتنططوا من الحرية ومن الحرية
ف وسط الشارع الناس بيرقصوا زى جماعة اغريق سكرانين ف
عيد من أعياد باخواس .. وف قهوة ديبون راجل بكونسريبتا
يفوت على كل ترابييزة شوية وف الحوارى الضلعة راجل بينطلون
مربع بمزيكة يد يطلع عليك على غفلة ويوقفك ويسمكك فالس
ويمشى من غيرما يطلب حسنة، بس اكراما لعيد الحرية، حتى
سواقين التاكسيات لقيناهم هادين ماييتخانقوش ، دخلنا محلات
النيشان ونشنا وماكسبناش حاجه، دخلنا السفارة عزيزة وطلعنا
مبسوطين السرور لما كتر قوى نسيت اللى حصل ف البنسيون
واندمجت ف روح الجماعة ، الساعة تلاته وأنا لسه بارقص ف
ميدان بيجال ، ف نفس الميدان ، مش ف كياريه ف الميدان ،
لتسقط الرزانة صاحبتى لما شافتنى هايص فتحت الموضوع .

- أنت كنت زعلان ليه ف أول الليل ؟

أصل مدام فاندنبوش مرة غبية دى كانت متجوزة واحدة تركى
وطلقته ، ويظهر انه كان مفهمها ان مصر مستعمرة تركية أو يظهر

انها فاهمة أن مصر مديرية ف تركيا، عشان كدا شربت نخب
تركيا بدل ما تشرب نخب مصر ، أنا عارف انها كانت عايزة
تجاملنى مش تجرح احساسى ، على العموم سيبك، المسألة
بسيطة ...

المسألة كانت بسيطة طبعا الساعة تلاته الصبح ف عيد الحرية،
كان فيه حاجات اهم منها، كان اهم منها ساعتها ان الكاسين
الى اخدتهم مايطيروش من دماغى ، كان اهم منها أنى اجمع
السعادة كلها الى طائيرة ف جو مونمارتر ، وأخبيها ف صدرى
لحد الصبح، كان اهم منها أنى أعمل حلم ذهبى عشان لما أنام
احلم بيه ولا اصحى ف الضحى ابتسم للسريير الى ف الاودة
حتى لما رجعت البيت ف وش الصبح سواق التاكسى كان باين
عليه مشعل من الخمرة لدرجة لما بادي له الفلوس قال لى ماتخلى،
زى اولاد البلد ما بيعملوا فرنك وقلت له تحيا الحرية .

الناس ف ١٤ يوليو مايفكروش غير الحرية وينسوا الاخاء
والمساواة حاجة تحزن ، لكن ماعلش بلاش ازعل نفسى بالافكار
دى ، ليلتها نمت على يمينى ملاك وعلى شمالى ملاك لكن تاني يوم
الصبح اول حاجة عملتها كانت أنى نورت علي مدام فاندنبوش
واتأكدت انها فايقة وشرحت لها الموقف بتاع الليلة الى قبلها وقلت

لها أن أنا زعلان خالص، اللي اتصورته كان مقبوط ، برضه
الست كانت فاهمة ان تركيا ومصر دول حاجة واحدة، واعتذرت
وكل حاجة بقت صافية لبن ...

غير مسيو ومدام فاندنبوش كان فيه من سكان البيت الثابتين
والخدامة البرتين، دى كانت بنت حلوة قوى قوى دايمًا اشوفها
بمريلة بدنتلا على فستان اسود وعمرى ماكلمتها وكل اللي اعرفه
عنها انها قبل ما أمشى أنا بشوية هيه مشيت عشان تتجوز واحد
قريبها فلاح، بعد البرتين بيحى الطباخ ، مرة واحدة بس شفته -
شفت ظهره - ولسه فاكره لحد دلوقت ، مرة كنت قاعد لوحدى ف
الصالون الساعة تلاته بعد الظهر ف ركن الاودة اللي ما بيانش
وفاتح الراديو ويسمع حنتين لروسينى وحنتين لفيبر ، أنا فاكر
تمام ، كانوا افتتاحية حلاق اشبيليه والطير السارق والدعوة
للفالس والمزة التاج ، صاحبنا دخل الصالون ياخذ الكوتشينة
ويظهر انه افكر نفسه لوحده راح وقف واتكأ ع الشباك وقعد
يبيص ع الناس اللي فايئين ف الشارع ويصفر ، قعد يصفر نص
ساعة مع الراديو وما غلظهش ولا غلطة ، عرفت انه حافظ الادوار
دم صم من زمان اللي زى دا يمكن كمان يعرف يلعبهم ع الكمنجة
زى مايصفرهم، ولما الالخان اختفت الطباخ كمان اختفى من

الصالون ، واختفى من حياتى وما أعرفش ايه اللى حصل له بعد
كدا، قلت امتى ييجى اليوم لما الناس عندنا يبتدوا يدوروا ع
العواطف الصحيحة اللى بتفتت قلب الانسان مصحوية ف
سيمفونية والا اوبرا ويشوقوا الافكار العميقة ف العاصفة والجبل
والبحيرة والغابة والطير الغرد والصباح والليل المخيف وبقية
مظاهر الطبيعة بتتنفس ف نغم جبار .

نيجى للسكان بقى، كان ساكن تحتى شاب بلجيكي لطيف
اسمه مسيو جوريس ، فوق الثلاثين بكام سمة ، دا كنت كل يوم
اقابله ف الصالون ونتكلم ف الفارغ وف المليون ، ما قدرش اقول
انى استفدت من صحبته كثير لان اطلاعه كان محدود انما كنت
احب انتنس بيه كبنى آدم .

الشاب دا كان اصله مهندس لكن كان بيشتغل ف مكتب
سمسرة كبير، وعمرى ماشفته معكن ف يوم من الأيام ، عمره
كمان ماسرح قدامى ، واحد زى تمانين فى الميه من اصحابه
بيشتغلوا ف صناعة الفكر يرتاح لما يتعرف بواحد بيشتغل ف
صناعة الحياة، مسيو جوريس كان ذكاؤه عملى ومالوش ثقل ع
النظريات ، لكن كان لازم اقول انه قرأ أغلب راسين وأغلب
كورنارى وأغلب هيجو وأغلب شكسبير وسمع أغلب القطع

الموسيقية المعروفة والباقي تلطيش من هنا، ومن هنا كان يقدر يتكلم عنهم ف مناقشة بسهولة ، لكن طبعاً كلام واحد هاوى مافهوش فايدة كثيرة، كان برضه يروح الشاتليه عشان يسمع حته لبيتهوفن وحته لفاجنر وينبسط مش عشان يدرس الأثر اللى تركه بيتهوفن ف أعمال فاجنر مع ذلك ما أقدرش اسميه مثقف لان محصولة ف عالم الفكر كان وليد المصادفة مش وليد الرغبة ف المعرفة بدليل انه ما كانش له آراء ف السياسة خالص مثلاً يعنى يستغنى عن التفكير كل ما تجى له فرصة انه يستغنى مرة أو مرتين استعملت اتومبيله ومرة أو مرتين خرجنا نتفصح سواء، غير كدا مافهوش حاجة تتوصف، الا انه نموذج اوربى للشباب العلمى المتوسط ف كل حاجة ، فيه زيه شبان كتار ف مصر، لكن دول بتحسبهم عندنا خلاصة المجتمع مش اوساط ..

أنا كنت كثير استعمل الصالون بالاخص بعد الغدا وكنت دايماً الاقى واحدة ست زبونة مستديمة، قاعدة جنب الراديو بتسمع بالشويش ويتقرأ ف كتاب ، دى كانت مدام كوهين ، مدام كوهين كانت ساكنة ف الاودة اللى جنبى على طول افكر ، كانت يهودية وتخينة وعمرها حوالى ستين سنة لكن تاكل اتنين زبي يوم انزل ألقياها بتقرأ كتاب المانى لتوماس مان ويوم القياها بتقرأ

«ذهب مع الريح» بالانجليزي ومرة أو مرتين شفتها بتقرأ شعر
طليانى ، اما لغة الحديث بتاعتها فكانت الفرنسية ، يعنى اربع
لغات. لكن اهم من دا كله انها كانت تتكلم مصرى معاه احيانا،
مدام كوهين دى مهمة شوية لانها مصرية من ناحية ولانها يهودية
من ناحية ثانية .

كل ما أحبك بواحد يهودى - الحق يقال برضه - فيه حاجة
مش فاهمها بتخلينى اعامله بحذر شديد ، أول ما اتعرفت بمدام
كوهين ما اندفعتش قوى معاها ، ماكنتش عارف أنها مصرية
وشخصيتها ماكانتش جذابة ابداء، لكن افكارها واطلاعها بالتدريج
خلونى احترمها وأحب الكلام معاها، عرفت منها أن جوزها كان
بيتاجر ف قطن ويصل ف مصر وانه عمل قرشين كويسين ومات
وانها عايشة ف باريس من زمان بياسبور مصرى .

لما دخلنا ف التفاصيل دى كانت تقعد تحكى لى عن مصر ايام
شبابها من الخديو توفيق لغاية ثورة سنة ١٩١٩ لحد هنا كويس ،
لكن مدام كوهين كانت بتقول حاجات كتيرة تخلى دى يغلى ولولا
انها ست كنت يمكن ضربيتها بكرسى .. كنا نبقى قاعدين شلة ف
الصالون خمس ستة ، من خمس ست جنسيات مختلفة ، وهى
تقعد تدرش عن مصر واللى شافته ف مصر كانت تتفرش ع

الفوتي تحكى ازاي ان العرب يعنى المصريين ناس ف منتهى
الوساخة وعوايدهم وسخة وعوايدهم وسخة وأفكارهم وسخة ،
كانت كل ما يتجيب سيرة المصريين تسميهم العرب أو المسلمين
قالت عليهم خاينين وكسلاتين ومهملين وكل حاجة بطالة ، وكل هيه
ما تتكلم انا الدم بتجمع ف وشى وأحاول أغير الموضوع مرة كنا
قاعدين زى العادة ف الصالون ومدام كوهين ابتدت تكلمنا عن
ابنها اللي بيشتغل صيدلى ف استراليا .

- ولما ابنى حب يهاجر استراليا قالوا له لازم يدفع تأمين ويملا
استمارة دخول قام دفعنا له التأمين وهو كتب ف الاستمارة انه
مصرى مش ملون ، اصلهم ف استراليا ما بيدخلوش ، الاجناس
الملونة .

أنا حسيت انى اتساهلت معاها زيادة عن اللزوم . وقفت على
حيلى وقلت لها بمنتهى الاحتقار .

- مدام كوهين ، أنت مش قاعدة ف فرنسا بباسبور مصرى؟
- ايوه .

- ويتسمى نفسك مصرية ؟..

- ايوه رسميا ..

- وفعليا يهودية ، من اليهود اللي مالهمش وطن، ودائرة

تشنعى على مصر بالشكل، دا دى جزاة البلد اللى قبلتك وعيشتك
ويتدى لك حمايتها لحد الساعة دى ، مدام كوهين ، إذا كانت
مصر مش عاجباك ماتدورى لك على جنسية تانية.. مدام كوهين،
أنا لو كان عندى سلطة أنا كنت سحبت الباسبور بتاعك ويتاع
ابنك وطردت بقية عيلتكم من مصر .

مدام كوهين سمعت كل كلمة ف منتهى الهود لكن تحت الهدوء
دا أنا متأكد انها كانت منفعلة تمام، وقالت ف منتهى الهدوء ، مش
بلهجة واحد عايز يعتذر او يصحح الموقف انما بلهجة واحد عايز
يشد رجل واحد تانى ..

- انت زعلان ليه يا مسيو عوض، أنا بأقول الحقيقة.. مصر
فيها عرب وأقباط وأنا باتكلم ع العرب مش ع الأقباط.. الأقباط
بول زى الأوروبيين، إنت مالكش حق تزعل يا مسيو عوض.

وخرجت من الصالون وأنا بانتفض ، مدام كوهين كانت عارفة
إنى قبضى وكان واضح انها بتنصب لى فخ، كان واضح انها
عايزة تستغل الطائفية عشان تغطى مركزها قدام الناس اللى
قاعدين، لكن أنا ماعطيتهاش فرصة، بعد كدا بقيت انزل الصالون
ماقولهاش بونجور ، لاحظ أن مدام كوهين محبوبة قوى ف
البنسيون ، بس لأنها يهودية، كان شلة الشبان اللى هناك ، مسيو

جوريس ومسيو موارن وجدع قنط تالت كان بقرب البارون امبان
وصاحبته كانوا كل ليلة يلعبوا بريدج ويتكلموا ف السياسة
ويستلموا ليون بلوم، ويقولوا اليهودى عمل وعمل وخرب فرنسا
ويسموا وزارته حكم اليهود كل دا بصوت على عشان يسمعوا
مدام كوهين واللى منهم عاطيها ضهره كان يطلع لسانه
مخصوص، ف الاول أنا كنت باتفاظ لما أسمع الكلام دا وأقول
مسكينة الست دى، لكن بعد الفصول اللى حصلت كنت با أفرح
ف سرى ، أنا لى دلوقت لو قدرت اتسبب ف سحب الباسبور
بتاعها ابقى مبسوط .

أوعى تقول دى وليه عجوزة سيبها لوجه الله وليه عجوزة يعنى
تلم لسانها، أمال سمعة مصر بتخسر بره من إيه ؟ حتى دلوقت
بعد ثلاث سنين كل ما أقرأ فى الجرايد عن اللى بيعملوه النازى ف
اليهود بتوع فرنسا ما ازعلش بس عشان مدام كوهين ، اقول لازم
عتروا فيها وحطوها فى حارة اليهود.

أنا عارف طبعا أن العواطف دى فطرية ولازم الانسان يحرر
نفسه منها ، أنا عارف إن اليهود زى أى ملة تانية فيهم الكويس
وفيهم البطال ومش لازم الواحد يلخبط دول ف دول واذا قمت
شتمت كل اليهود عشان مدام كوهين تبقى مدام كوهين ليها حق

تشتم كل المصريين عشان الافراد البطالين اللى قابلتهم لما كانت عايشة ف اسكندرية ، لكن بصراحة أنا أقول أن اليهود والأجانب وغيرهم اللى مش «عايزين» يتعاونوا مع الشعب المصرى لازم يشوفوا لهم طريقة قبل مايضطرونا أننا نشوف لهم احنا طريقة، ساعتها مش نحاربهم على أنهم يهود أو أجانب، انما على أنهم مستقلين أو على أنهم اعداء الشعب الطبيعيين .

فيه فرق بين النقد والتشجيع .. انا مازعلتش عشان مدام كوهين اتكلمت على عيوب مصر، أنا زعلت انها كانت بتنشر الفسيل الوسخ بتاعنا قدام الناس. أهى دى من الاختبارات اللطيفة ف حياة كل مصرى بيتعلم ف أوروبا . يبقى عارف ان بلده مليانة اغلاط ولما واحد اوروبى يذكر العيوب دى الواحد دمه يتغير ويمكن يقلبها خناقة ..

غير مدام كوهين كان فيه كولونيل ومراته وعياله من شيلي وكولونيل ومراته وعياله افتر من بارواجواى وكانوا طول النهار يرددشوا بالاسبابانى ولا حد فاهم حاجة ، لما كانوا يتكلموا فرنساوى كانت حاجة تضحك صحيح. تضحك ، اكر من الانجليز لما يتكلموا فرنساوى، انا سكنت شهور ف بنسيون شاميريه دا لكن عمرى ما اتصاحبت مع الطباط بتوع امريكا اللاتينية دول .

ومن جهة اللغة كانت مانع ومن جبهة كان كل واحد ف حاله هو
يدويك اشوفهم على الاكل على تراييزتهم أو من حين لحين نهز
رؤسنا لبعض ف الصالون يعنى سعيدة سعيدة.. لكن طبعا سألت
عنهم باعتبارهم جيران ومسيو فاندنيوش حكى لى عنهم حاجات
كثير . عرفت أن حكوماتهم باعتاهم ف بعثات عسكرية عشان
يدرسوا بعض تفاصيل الجيش الفرنساوى ويشترى اسلحة
لبلادهم . الحقيقة الاتنين كان باين عليهم الغباوة المتناهية، لكن
يمكن الحكم بتاعي دا نتيجة لانى عمرى ماشفت حد غيرهم من
امريكا، والغريب بطبيعة الحال ما يقدرش يقرأ الوجوه انا فاكرو
تمام انى لما كنت صغير كان بيتهينالى ان كل الانجليز شكلهم
واحد، وأصحابى الانجليز بيقلوا لى انهم لما جم مصر جديد
ماكانوش يقدرى يفتكروا وش حد مصرى تانى مرة يقابلوه،
الحقيقة ايامها كنت مستغرب كثير وأقول فى سرى . بقى يعنى
حكومة شيلي وحكومة باراجواى مالفوش غير الألواح دول بيعتوهم
بعثة ؟ دا لازم فيهم حاجة له أنا مش فاهمها . على أى حال
ماكنتش مرتاح قوى ليهم ، لكن ها أعمل ايه . وكثير كان يخطر
لى أن الجماعة دول لازم جواسيس لحساب حد .. ما أعرفش ليه
الشعور دا كان يجى لى دايمًا . يمكن قعادهم المستمر ف باريس

هو اللي عطاني الفكرة دي . ويمكن غموض أحوالهم وعدم
اختلاطهم بالباقيين . ما عرفش . ولو أنى كنت مرتاح ف العيشة،
ف الواقع كنت متضايق بسبب انى وقعت ف وسط تشكيلة اجانب
ما كانتش فيه ف البنسيون واحد فرنساوى حر، اللي بليجكى
واللى يهودى واللى مصرى واللى نمساوى واللى شيلى واللى من
باراجواى . طبعاً أنا استفدت اختبار من الناحية دي ، لكن كنت
دايماً حاسس ان كل واحد ف البنسيون بيعمل حاجة من ورايا .
حاجة أنا مش عارفها، بما فيهم صاحب البنسيون . وفات على
وقت اتصورت نفسى ف وسط مؤامرة دولية اطرافها واسعة ،
وقعدت ارسم لكل واحد دوره في المؤامرة . مدام كوهين عمرها ما
بتسيب البيت ودايماً قاعدة ف آخر الصالون جنب الشباك فاتحه
كتاب وعلى مناخيرها التخينة نضارة ذهب ليه؟ طيب وعاشة
ازاى؟ بتقول جوزها ساب لها فلوس. يمكن يمكن دي وسيطة بين
مكتب مخابرات وبين الجواسيس . هيه كانت تحب انجلترا قوى
لازم بتشغل لحساب مكتب المخابرات الانجليزية . طيب ويتدى
الفلوس لمن / مش لمسيو فاندنيوش ، لان مسيو فاندنيوش ان
كان بيتجسس لازم بيتجسس لحساب المانيا. أهو باين على شكله
كدا والكولونيالات بتوع امريكا اللاتينية دول باين عليهم ضباط

عيرة.. عمرى ماشفت واحد منهم بيخبط كعب ف كعب ويحنى راسه .. داحنا كان عندنا ف كامبريدج تلميذ برتغالى اسمه فرناند وكان كل مايسلم علي حد يخبط رجليه ف بعض ويوطى راسه ويشيلها بسرعة انا عارف دول لازم مدنيين وملبسينهم عساكر زى ما نقول عدة الشغل. طيب دول بيتجسسوا لحساب مين/ واحد منهم كان مليان وجرم وشكله عكر .. انا لو كنت زيه مليان وجرم وشلكى عكر كنت اتجسس للجنرال فرانكو ، مش لحساب الألمان لأن الألمان مايرضوش . التانى كان قصير ومش رفيع قوى وملامحه ممسوح منها كل تعبير الا ابتسامة مؤدبة ثابتة مالهاش معنى .. الشكل ده باين عليه يتجسس لآى دولة وتلاقيه بيتجسس لتلات اربع دول ف وقت واحد . على أى حال أنا لازم غلطان ف تقديرى لأن من شروط الجاسوسية انه مايبانش عليه . قلت مين يعرف .

طبعاً انا كنت فاهم إني دى غالباً مجرد خيالات يصح انى انسجها بتفصيل اكتر وأعمل لها عقدة اذا فكرت يوم من الأيام انى اكتب سيناريو بوليسى لماجرىيت لوكوود كمان عمرى مانسيت انهم جيرانى وكنت معاهم فى منتهى الادب لحد ماسبت فرنسا اخر مرة ف اغسطس ١٩٢٩ . لكن دلوقت بعد ماقرئت كلام

الصاوى عن سقوط فرنسا المريع افتركت ، مش بس حزمة
الأجانب الى كانوا ساكنين معايه ف شابمريه ، لكن الروس الى
بدقون الى كنت شوفهم الساعة تلاته الصبح بيشرىوا سوائل
غريبة ف الدييون لاتان، وافتركت البنات البولنديات الى كانوا
مالين قهاوى باريس وافتركت الطلاينة المستوطنين ، وسواقين
التاكسيهات الى كان اصلهم ارشيدوقات روسيا القيصرية
وافتركت المغاربة الوسخين الى كانوا يفوتوا على قهاوى الحى
اللاتينى بجلاليب نتنه ومراكيب ويبيعوا سجاجيد وفول سودانى
افتكرت انى عشت ف فرنسا شهوز كتيرة وكل ما تعرف بحد يطلع
اجنبى .. حتى صاحب اللوكاندة الامريكانى او رجل مقطوعة الى
ف شارع كازيمير دلافين ف الحى اللاتينى الى سكنت عنده تانى
مرة نزلت باريس افتركته . وكل الناس دول اتهاى لى انهم لعبوا
دور كبير ف انهيار فرنسا الجميلة اتهاى لى إن كل دول كانوا
بيصوروا استحکامات بالنهار ويشغلوا ف حاجة الليل ،
المتربوليس الرشيقه دلوقت باينه لى على حقيقتها . جنينية
حيوانات . الفين جاسوس وجاسوس ما يهدموش بيت بنوه الابطال
دى فرنسا مصيبتها ثقيلة ومن الحكام .

ماباقيش ف البنسيون غير بنت نمساوية اسمها مدموازيل انا
شرايير . البنت دي كان عمرها فوق الثلاثين ومش متجوزة. مرة
حكيت لي حكايتها ولقيتها مؤثرة خالص . قالت لي أنا لما كانت ف
فيينا أي عشر سنين وقعت ف حب طالب فرنساوي بيدرس طب
هاك ، وكانوا متفقين انهم بتجوزوا بعض ، بعد الطالب ما يخلص
تعليمه ، لكن الطالب جا ف آخر سنة واتجنن واضطروا ينقلوه ف
اسبتاليه مجاذيب ف باريس . أنا المسكينة انتظرت طول الوقت ،
وكانت كل ما تبعت جواب للمستشفى تسأل عن حالته الدكاترة
يقولوا لها ان فيه أمل أنه يحصى .

سبع سنين ع احوال دا وبعد أنا ماجت باريس بنفسها وفهمت
كل حاجة . فهمت أن صاحبها ما فيش فائدة فيه .. فهمت انها
ضيعت شبابها الناضر فدية للحب الناضر وها تضيع شبابها
الديلان في البحث عن كهل ديلان يتجوزها ، وتعيش ف أمان
، قعدت ف باريس واشتغلت ، ولما عرفتھا إتخطبت واتجوزت ف
ثلاث شهور . كان خطيبها راجل محامي فرنساوي عمره فوق
الخمسين جسمه ضخم وعينه مضعضعه وشعره واقع لكن عنده
اوتومبيل جميل قوي ويظهر ان عنده فلوس كتيرة . الراجل دا كان
بيجي عندنا ف البنسيون تقريبا كل مغربية ياخذ انا ويفسحها

ويرجعها قرب نص الليل . يدخل مكشّر ويطلع مكشّر وعمره
مايحى حد . كان مظهره شرس لكن افكر النوع دا من الناس
قلبه طيب ابيض . أنا قالت لى انه بيغير عليها من الهوا وكل
مايشوفها بتكلم حد يفتح لها محضر . وبعد ما اتجوزت سكنت ف
الضواحي واعتزلت العالم ف حدود المعقول .. يوم من الايام جبت
البنسيون تسلم وكان على وشها حاجة زى الهدوء الكامل ، الهدوء
الى يخوف الهدوء الى ف عينين الرهبان الى خلاص فاتوا ف
زوابع الشهوات وانتصروا ع الجسد ووصلوا لمرحلة اليأس الأكيد
الى احنا بنسميها مرحلة الصفاء، مسكينة أنا شرابير، أنا
الجميلة الناضجة الشقرا الى عاملة زى غاده ف صور روبتز
دخلت علينا زى قديسة سكسونية مرسومة على قزاز ملون .. أنا
ماكانتش شقية، لكن قبل ما تتجوز كنت دايما اشوف ف عنيتها
شعاع مكسور مفهمنى انها كانت تحب تكون شقية لولا الماضى
الى ضاع منها ، الشعاع دا راح ومطرح الشقاوة حل الرضا ..
أنا شرابير الى تحب الحياة انتهت وجا مكانها أنا شرابير الى
عملت صلح مع الحياة .

أهى دى كلها صور فانت على، بعضها مأسى وبعضه عبر
وبعضها تمر ع الانسان زى سحاب الصيف عابر لكن ما يتنسيش

ومن وقت لوقت برضه الواحد يشوف السعادة . يمكن يقابلها وهو داخل ف سينما او خارج من مكتبة او قاعد ف الاتوبيس او بيجوا ف شارع ويسلم عليها من بعيد لبعيد . دي حال المسافر. أنا دلوقت عملت زى اوديسيوس . يعنى اللى شاف عادات ناس كتار ومدائنتهم ، زى مابيوصف هوميروس ف أول .. الاوديسا .. وهو راس ف قصيدته عن فن الشعر، أنا كمان شفت عادات ناس كبار وشفت بلادهم وقريت نفوسهم وطويتها زى ما أطول كتاب، ولما اوصف ف الاشخاص اللى قابلتهم ف أركان الارض الواسعة وماقدرتش انساهم لحد دلوقت مش هانتهى . لكن اقدر اقول لك أنى من اسعد الناس ف رحلاتى، وأن الطف ناس قابلتهم ف حياتى قابلتهم وأنا با انتقل من حته لحتة . دخلوا حياتى وخرجوا منها ف مدى كام ساعة زى اطياف النوم لكن سابو على أثر باقى.

مثلا ف سفره من سفراتى فرنسا ف يونيو ١٩٢٩ لقيت نفسى ف قطر نيوهافن قاعد ف ديوان واحد مع شاب اسمر واثنين بنات بيض . بعد نص ساعة كنا اصحاب الجدة طلع هندي ، واسمه رافى وكان يدويك خلص دراسته ف اكسفورد وراجع بلاده، والبنتين واحدة منهم - الكبيرة طلعت يهودية انجليزية

واسمها نينا فرنس واكن باقى عليها سنة ف اكسفورد يرضه
والثانية طلعت يهودية المانية طليانية بتدرس موسيقى ف لندن
واسمها ميا يانتيام ، رافى كان ولد قصير زى اغلب الهنود لكن
شكله وسيم خالص ويان عليه ف منتهى الشقاوة .

نينا كانت حوالى اثنين وعشرين سنة مثال النضوج المفرى
وكمال الجسم والرشاقة ، طويلة وبشرتها وردية وشعرها اصفر
وعنيها دائما بتضحك ، وكان ليها ضب انجليزى خفيف
مابتحاولش تخبيه، كان باين عليها رايحة باريس تتفسح بحق
وحقيق مش تتمشى ف شانزليزيه اوتقعد ف كافيه دى لاييه زى
اغلب الانجليز مايعملوا . اما ميا فكانت قصيرة ورفيعة ولونها
شاحب وعنيها سودا واسعة اهدايها طويلة وجمالها مش من
العالم دا . اتكلمنا ف الف موضوع لكن نروح ونرجع لأكسفورد
وكامبريدج ونقعد نغيظ بعض بالنكت على بعض . نينا ورافى
بينكتوا على كامبريدج وأنا وماي اللى جت ف صفى ننكت على
أكسفورد طبعاً . وف المانش ركبتا جنب بعض وف قطر باريس
قعدتا جنب بعض وأنا طول الوقت يبخلق ف ميا وهى مسنودة
لورا قدامى وتتكلم ببطء وهدوء واتفرج على عنيها السودا الواسعة
اللى عاملة زى عيون الكهنة بتاعت معبد دلف اللى الاغريق كانوا

يقصودها عشان تقرا لهم المستقبل . أنا قلت لها الكلام دا بنفسى
، وميا كمان قعدت ف القطر تبص لى وتقرا المستقبل بتاعى
وتسيب المستقبل وتتكلم على الحياة وتسيب الحياة وتتكلم عن اللى
بعد الحياة ويعدى ترجع لى تانى وتشجعنى ف حاجات وتحذرنى
من حاجات وعنيها السودا الحالة نفذ فيها شعاع الشمس الغربية
قام بانث لى عسلىة زى قشر الكستنا المعمولة من بنور ، والريح
تضرب ف راسها الصغيرة يقوم شعرها يطير لورا من غير
ترتيب، فضلنا بالشكل دا لحد ماوصلنا محطة سان لازار .

ف سان لازار عطيتهم ميعاد لكن مش أكيد ف الكوليزيوم
وفعلا مارحتش ليلتها لانى كنت مشغول.. بعد كدا ما اتقابلناش
غير ف الافكار، ميا سافرت كابرى عشان تمضى بقية الصيف مع
أهلها ويعدى قعدت علي طول وبعثت لى جوابات تقول لى ازورهم
ف كابرى ، طبعا مارحتش لانى كنت محجوز ف باريس لكن كتبت
لها كثير.. رافى رجع الهند وماكتبش حرف واحد ..

زمانه دولقت بشتغل محامى ف مدارس والا بوبماى ، فيه بيت
شعر سانسكريتى جميل اتعلمته ف انجلترا بيقول ان احنا البشر
زى خشب طافى ف محيط يصطدم ببعضه مرة ويفترق بعد كدا
إلى الابد . أنا خايف ان دا يكون صحيح يا رافى منين ماتكون .

الحرب قامت وأنا رجعت كامبريدج ونينا فرنش المخلوقة
اكسفورد وكتبت لى كسلت ارد عليها . لكن ميا بانتباوم المخلوقة
الغريبة اللى صدمتني ع الماشى وسابتني الهث زى نجمة ما
تصطدم نجمة وتزحزحها من مدارها . ميا ما خرجتش من محيط
حياتي غير لما ايطاليا دخلت الحرب . لحد باريس ما وقعت بشهر
وهي تكتب لى جوابات غريبة وترسم لى عليها رسومات بالحبر
الشيئي . كانت تبعت تقول انها قاعدة ع الشاطيء ف كبرى
بتأمل ف الامواج الزرقاء وهي بتتكسر على بعضها بينما روحها
طاافية زى الشراع ع البحر تحت شمس الجنوب بتبعد بتبعد تجاه
الافق ، وخايقة تنوه ف البحر الكبير المجهول . وف أعلى الجواب
ترسم لى حاجة زى فرسين بيشبوا لفوق وصدورهم ف بعض
وتحتهم خطوط مرسومة باهمال ماتفهمش معناها اعشاب والا
حاجة تانية .. شلى .. افكار شلى بس مكتوبة بنثر انجليزي
عادي.

قولى بقى ترد على دى تقول إيه ؟ أنا مش فاكرو ولا كلمة من
الجوابات اللى بعثها ليا لكن غالبا زى ما با أعمل ف الحالات اللى
زى دى كتبت لها عن الفن والحياة وعلاقة الفن بالحياة . لكن انا
فاكر اغلب جوابات ميا لحد دلوقت .. فضلت شايلهم ف محفظة مع

حاجات ثانية أهم منها وعبرت بيهم المحيطات وطرت بيهم آلاف
الاميال وفوتهم ف عشرين جمر ك وف الآخر ضاعت المحفظة منى
ف الجيزة .

أدى اختيار من الاختبارات الناقصة الجميلة الى بتقابلنى ع
الماشى وتخلص قبل ما اشبع منها . يمكن تقول . وياه يعنى ما
كلنا بتقابل ناس زى رافى وميا بانتباوم ف قطرات السكك الحديد
وبتنساهم تانى يوم . يمكن . لكن أنا ما انساش . أنا ما نساش ،
اختبار كان له معنى ف نفسى ، وحتى لو نسيت الظروف المعنى
باقى مقيم . أنا ما انساش لحظة سعادة فانت على لان لحظات
السعادة ف حياتى قليلة وأنا عارف زى . أنا ما با اشتكىش أنا
مانيش راجل تعيس زى ما تتصور من كلامى . كل ما فى الأمر
انى راجل مشغول ياما فانت على مواكب السعادة ومواكب
الاحزان وأنا مش واخد بالى ، ويوم ما باقابل السعادة وش لوش
واعرفها واحضنها دا يوم ف حياتى خالد ومذكور فما بالك
بالسعادة لما اقابلها وأعرفها لكن الاقيها مسافرة كبرى أو رايحة
تحضن واحد غيرى ؟ أنا صحيح راجل مشغول لكن لسه فاضل
ف قلبى شعور .

بلاش مياتانتباوم الى عيونها زى عيون عرافة او نبيه ان كانوا
الأنبياء فيهم ستات ، كان واحد صاحبى ف كامبريدج اسمه
نورمان هوتويث بايما يقول لى : تعال امضى الاجازة فبيتنا ف
لندن انا لازم اعرفك بامى وأختى وأنا دايمًا أقول له معلش بلاش
الاجازة دى. خليها للاجازة الجاية.. فضلنا ع الحال دا لغاية
ماجيت يوم وقررت انى ارجع مصر . وف كام يوم بصيت لقيت
نفسى التذاكر ف جيبى وها اسافر بعد بكره .. كل حاجة حصلت
من غير ترتيب لدرجة انى كان يومها عندى معاد شأى معها ف
كامبريدج وأنا كنت ف لندن بوضب شنط وحاجات وباسبورتات ..
بعث له تلفراف اعتذار بالتفصيل راح هو تويث جاجرى من
كامبريدج وخذنى بيته ف ضواحي لندن واتعشنا سوا ومشينا فى
الجنينة الكبيرة بتاعتهم الى زى الغابة ايوه مشينا ف الجنينة
بتاعتهم مشيت انا واخته روث ساعتين وزيادة .. حوالين دايرو ..
حوالين البركة وبالليل رجعت البلد وسهرت مع هوتويث وخليته ينام
عندى .. وف القطر قلت له ..

- نورمان ، أنا طلبت من أختك روث انها ترقص معايه بكره
ف اودونينو وهي وافقت ..
نورمان ضحك وقال لى :

- بس ابقى حرص عليها ، دى روث بنت سانجة خالص .

تانى يوم المغرب كنت أنا قدام البراسيرى اونيفرسيل مستنى
وهى اتأخرت شويه دى كانت اخر ليلة لى ف لندن فى انجلترا ..
وأنا واقف أتأمل فى الناس والأبنية وتمثال اىروس والاعلانات بتاع
اللبان ومنعطف ريجنت ستريت نسيت زحمة النهار والباسبورتات
والتأشيرات والبنوك وشفت لندن ف بدلة جديدة، وقلبي اتعصر من
الم الفراق .. وقلبي اتعصر من الم الجمال اللي ملاحظتوش غير
ف آخر ساعة ، ونا مذهول كدا شفت روث جايه بتمد وقطعت
ميدان بكاديللى من الوسط عشان توصل بسرعة .. أنا مش عايز
اقولك روث دى كان معناها ايه عندي .. روث دى بتمثل عندي كل
الحاجات الجميلة اللي بتيجى بعد فوات الأوان . عرفت ساعتها
انى انا اللي جيت متأخر مش هى اللي جت متأخرة ، هى جت
متأخرة عشر دقائق ولا قيتنى مستنى ف الميدان لكن أنا جيت
متأخرتلات سنين ولقيت المركب مستنى فى المينا .. انت ممكن
مخك ييروح لحاجات تانية لكن دا غلط. روث كانت مخطوبة وأنا
كمان كنت مربوط من رقبتي . لكن اذا قالوا لى دور لك على اخت
بين اركانجل وجزيرة النار مش ها الاقى اخت احسن من روث .
والعطف بتاع ام نورمان ، ازاى انساها ؟

روث اخدت دراعى ودخلنا اودونينو .. جوه ماعملناش غير حاجتين . شربنا نبيت بورغونى ورقصنا .. صحيح اكلنا بوفتيك واكلنا عن فرنسا وعن الماضى وعن المستقبل وعن الحرب لكن مافيش حاجة استنت فى راسى غير حاجتين النبيت الأحمر وروث فى دراعى بتلف طول الوقت حوالى وحوالين نفسها وحوالين الصلاة .. تلف .. النبيت مستنى ف راسى لحد اللحظة دى وهو اللى بيخلينى اكتب الكلام دا .. وروث شايفها دلوقت قدام عينى بتضحك من غير حساب وتلف من غير حساب والنبيت لمع خدود وبقيت اضحك والف بيها كأننا بنرقص ف باليه احنا اللى مألفين خطواته واحنا اللى واضعين الحانه .. هى طبعاً كانت مبسوطه ومش فاهمة حاجة ..

وأنا كنت مبسوط لكن مانسيتش دقيقة واحدة ان ف نص الليل بالضبط تمثال الفرع اللى بين ايدى ها يتبخر لحد مايتلاشى ف الهواء .. لكن أنا مش مغفل افسد اخر ليلة بحسرة التفكير واوجاع لسه هاتحصل لما يمشى الحلم .. ان كنت عاوز تعرف حالتى النفسية بالضبط ليلتها ها أقول لك حاجة واحدة .. اتصور فالس زى «اصوات الربيع» متوزع على اوركسترا من تسعين نفر ، وف ضهر الفرقة عازف واحد ، واحد بس ماسك كمنجمة ويلاعب

صولو مقدمة الفصل الثالث من «الترافياتا» تقدر ؟ صعب ،
دى كانت حالتى ساعتها .. وانين الكمنجة وحشرجة المومس
البائسة اللى بتموت وثورة فردى كلهم غرقانين ف الزيتة الايقاعية
اللى مليانة ألوان وعطور وخمرة وضحك الشباب ..

وفى نصف الليل وصلتها ف تاكسى لحد محطة ووترلو وودعت
اختى الى كانت تاهت منى ف الغابة واحنا عيال وشافتها الغزالة
قاعدة تبكى قام حنت عليها واخذتها ورضعتها وربتها وعاشت مع
الغزلان ...

وتانى يوم الصبح اخدت شنطتى ف تاكسى لحد محطة
فكتوريا ، وشاورت بمندبلى للجناين والتماثيل والعمارات والناس
الى فى الشارع افتكرونى مجنون ...

. عشان كدا أنا بأقول لك ان أنا حظى كويس فى الاسفار ودا
نفسه مصدر عزاء لأن الصور اللى زى دى مالىه دماغى ومالهاش
نهاية، وكل ما اتعب شوية من طريق الحياة كفاية اقعد فى كرسي
غويط واغمض عنيه واستعرض الناس اللطاف اللى قابلتهم فى
مفترق الطرق وابتسمت لهم واثنتست بيهم ويعدين مشيت فى
حالى .. تغمرنى السعادة، قلت لك دول كتار وبعضهم غيروا
اتجاههم ومشىوا معايا شوية فى طريق الحياة وبعضهم ذكراهم

مش من نصيب الحبر والورق لكن نايمين مستريحين فى تجاويف
عقلى أنا وحدى بشأن احميهم من عيون الناس.. لكن دا نفسه
مصدر عذاب، لما أبص ألقى ان اغلب الناس اللى اتولدوا بشأن
يكونوا أصحابى بينى وبينهم بحور أو قطر سكة حديد أو فرق فى
الميلاد أو غلطة فى العقيدة أو مقابلة ما تمتش أو قبر مجذب
ماعلش حتى صحبة زهور.. ادفن وشى فى ايدى ويملا قلبى
الحن.

كان من احتياطات الحرب اتنا ماعرفناش اتنا هانركب المركب
من تلورى غير فى آخر لحظة لما بتوع كوكس وزعوا علينا تذاكر
القطر حتى قبلها بيوم كان بعضنا بيقول هاتقوم من ليفربول ..
عدد التلامذة المصريين اللى كانوا على رصيف محطة فيكتوريا
كانوا يطلعوا ميتين لكن مش كلهم سافروا اللى ركبوا القطر
كانوا حوالى خمسين واحد.. القطر كان مزحوم خالص والرحلة
زى المنتظر كانت متعبة وسخيفة لكن قصيرة.. ماحدث شاف
حاجة فى السكة حتى ماحدث فكر انه يطل من الشباك الا يمكن
واحنا سايبين لندن واحنا داخلين تلورى، ولما لمحت الصبح بيكبر
ويقتشر على المصانع اللى فى أول السكة، ولما نزلت ف المينا
قعدت مشغول بالجمرك ساعتين على الأقل مش تفتيش، لكن

مستنى دورى.. الموظفين بتوع الجمرك أخذوا من كل واحد قناع
الغازات السامة بتاعه بطاقة الأكل وكارت تحقيق الشخصية..
وقرب الضهر كنا كلنا على ظهر المركب أو طالعين على سلالها
وينتفرج على حجمها وينقرأ اسمها الكريم المادورا! على خيرة
الله..

اتحركنا عشان نخرج من مصب التيمس ، مابديش أوصف لك
فى البنايات وهيه وتتلف فى الهواء الكثيف وتختفى.. ولو انى
شفتها وفاكرها، وكل واحد على الرحلات الاستكشافية بتاعته
عشان يعرف الحمام فين والصالون فين والأكل فين، ومشينا فى
المصب ناحية بحر الشمال ساعات طويلة واتعشنا ونمنا وصحبنا
تانى يوم لقينا نفسنا لسه فى مصب التيمس، ما أعرفش إذا كنا
وقفنا شوية أو رجعنا شوية أو هو المصب اللي طويل كدا.. أنا
وقعت قرعتى انى اعيش فى كايينة واحدة مع الأستاذ على
الجريتلى المدرس فى كلية التجارة والاستاذ مصطفى عبدالعزيز
المدرس فى كلية العلوم وحمدت ربنا على كدا.. الاولانى كان
صديق شخصى ليه والثانى كان من شلة كامبريدج. اصل الرحلة
كانت طويلة وزملاء الكايينة ان ماكانوش منسجمين يتعبوا قوى..

الساعة خمسة الصبح دخل علينا خدام الكابينة الهندي وصحانا
بزعيقة.

– شاي.. شاي..

وراح حاطط ثلاث فناجين وفتح شباك الكابينة المدور واحنا
عرقانين من غير استئذان رحنا كلنا مفزوعين احنا الثلاثة قومنا
فى السرير وقالنا بالعربي فى وقت واحد.

– ايه يا اخينا دا..

هندي.. مايفهمش عربى.. كلمناه بالانجليزى مافيش فايده..
رد هوه بالانجليزى مافهمناش ولا كلمة.

– انت اسمك ايه؟

دى فهمها..

– كوتشى صاحب.

بالتمرين عرفنا انه صاحب دى هندي معناها حاجة زى يا
سيدى.. كوتشى دا خدمنا خمسة واربعين يوم بليااليهم.. مش
غريب بقى انى باعتبره من أهم الناس اللى اعترضوا حياتى. على
الريق المغفل يخش بالشاي ويفتح شباك الكابينة من غير استئذان
واحنا لسه بنشر عرق.. قلنا له بلاش شاي، قال أوامر الكابتن.

قلنا له يسيبنا نايمين، قال أوامر الكابتن، قلنا له مايفتحش الشباك
قال أوامر الكابتن، كل حاجة يعملها يلزقها فى الكابتن.. اطلب منه
شاي فى الكابينة بعد الظهر مايجيش ويقول أوامر الكابتن.. لكن
بالتدريج أخذنا على بعض وحتى كلنا نهزر مع بعض من بعيد
لبعيد، بالتدريج علمناه انه ينسى الكابتن وينسى الشاي وينسى
يصحبنا فى الفجر وينسى يفتح شباك الكابينة لحد الصبح
العريض.. أول يوم نمنا فى المركب كوتشى مش بس فتح شباك
الكابينة لكن وقف قدامه وفضل يقول:
- لوك صاحب فايف سيب سنك.

ماحدث فاهم .. الى يقول له «يخرب عقلك» واللى يقوله «بلاش
دوشة».

- لوك صاحب فايف سيب سنك.
خمس مرات قالها. قلنا لازم دى حاجة ليها معنى مهم..
بصينا من الشباك لقيناها صحيح حاجة مهمة.. لقينا مصب
التيمس مرشوق مراكب غرقانة .. الى باين منها مدخنة.. حركة
ذعر فى الكابينة.. ورينى ورينى وبعدما اتفرجنا ابتدينا نفكر فى
كلام كوتشى ونحل فى الغازه.. مرة واحدة ان من السلامة اتنا
نتعلم لغوة كوتشى عرفنا الجملة الى استفتحنا بيها معناها.. بص

يا سيدى خمس مراكب غرقانين.. قلنا يمكن يا واد تحصل حاجة
صحيح بيحى ينقل لنا تعليمات مانفهموش أو نطلب منه طوق
نجاه مايفهمناش . ابتدينا نفصص فى لغته.

عرفنا ان كل «ش» بينطقها «س» وانه ما عندوش فرق بين
الجمع والمفرد وأن الافعال المساعدة مالهاش وجود فى قاموسه
وان طرق النفى وأدوات النفى عنده تتلخص فى كلمة «نو» وانه
ماسمعش عن أدوات التنكير والتعريف.. كل يوم بقى الاستاذ
الجريئلى يكتشف قاعدة جديدة فى كلام كوتشى، وبعد ثلاث
أسابيع على المادورا لقينا نفسنا كلنا بنتكلم زى كوتشى تمام.

تانى يوم الصبح برضه قمنا مفزوعين وكوتشى وقف فى وسط
الكابينة ونعق زى البومة.

— سيب سنك صاحب لوك.

الله لا يصبحك يا بعيد.. مركب غرقانة ايه وزقت ايه.. بصينا
من الشباك لقينا صف مراكب غرقانين بهذا المركب بتاعتنا،
يمكن بتوع امبارح يمكن غيرهم ما اعرفش، احنا لسه فى مصب
التيمس والمصب واسع ومالوش شطآن وماحدث فاهم المادورا
ماشية ازاي .. أنا كنت حاسس ما اعرفش ليه اننا دخلنا بحر
الشمال.. على كل حال طول النهار واحنا نتفرج على مراكب

غطسانة.. نبقى فين لسه فى المصب احنا يدوب اتسممنا الشاي
الى كوتشى جابه وعلى غفلة سمعنا حاجات بتقول بم بم بم ..
بصينا لبعض يعنى «جاك الموت ياتارك الصلا».. وازيز وكان
مكتومة.. والمعركة انتهت بسلام.. انتهت حتى قبل ما نلحق نلبس
الرويات.. بعد كدا عرفنا أن المادورا مش ماشية لوحدها انما فى
قافلة كبيرة، حسبة خمسين ستين مركب وحامياهم مدمرة
واحدة ومدمرة جيب وان طيارات المانية كانت عاوزة تصطاد حاجة
من القافلة لكن ربوها وان القافلة كانت عاوزة قال تحود على
المانش وتخرم المحيط الاطلسى لكن غيرت مجراها لما شافت
الشغل حامى تحت وقالت أحسن تلف فوق اسكتلندا .. ماحدث
طبعاً يعرف الحقيقة كلها ايه غير ضبط المراكب .. لكن جزء من
الحقيقة بالتأكيد اننا حودنا مبحر.

بعد كدا ماشفناش لا طيارات ولا غواصات ولا مراكب
غرقانة.. مافيش غير بحر الشمال بأواجه الى ساعة تبان بلون
القصدير وساعة بلون الرصاص والمراكب الثانية قدامنا وورانا
وحوالين القافلة طول النهار شايفين المدمرتين رايعين جايين فى
اتجاهات عكسية لما واحدة تمشى من راس القافلة الثانية تكون
سابت ديلها، زى الدبابات الى بيمشوا قدام النقط العسكرية،

طبعا الاشاعات كانت كثيرة بين سكان المانورا، المانورا كانت صحيح صغيرة حمولتها حداثر الف طن يعنى قد «النيل» واصغر من «الكوتر» لكن فيه ناس كثير كانوا بيقلوا انها مركب خرده وكانوا هایشركوها لولا ظروف الحرب.. مافيش شك انها كانت قديمة لكن الله أعلم سنها كام سنة.

واحنا لسه فى بحر الشمال حصلت دوشة تانى لكن ما اعرفش اصلها ايه.. شوفنا المانورا بترمى مواد متفجرة فى المية.. ناس قالوا غواصة.. ناس قالوا تمرين.. ناس قالوا روتين.. وظباط المركب ماحدش منهم فتح بقة . مرة تانى ضربوا لنا صفارة الخطر ولبسوا جاككات النجاة على غفلة، برضه ناس قالوا غواصة وناس قالوا تمرين وناس قالوا روتين.. واحنا عايشين زى الحمير على المركب ماحدش فاهم حاجة.. على كل حال كان فيه تعليمات مطبوعة معلقة فى كل حطة بتقول ان المسافرين يوم كذا ويوم كذا هاسمعوا صفارة صفقتها كذا الساعة كذا لازم يلبسوا جاككات النجاة ويقفوا فى الحال على الدك الفلانى وعلى الدك الفلانى - كل واحد طبعا على حسب نمرة كابينته.. والاختبارات الدورية الثابتة دى قعدنا نعملها لحد ما وصلنا مدينة الكاب، كمان

علقوا لنا اعلانات طالبين الفواصات.. لازم اقول انه كان فيه مصريين كتار اتطوعوا فى الشغلانة دي.

المانورا مشيت مدة طويلة فى بحر الشمال قبل ما تقف على ميناء، اكتر من أسبوع وطول الاسبوع دا البار كان مقفول ومافيش لا مشروبات ولا سجائر تتباع، أتاى فيه قانون يحرم على البواخر انها تبيع الحاجات دي طويل ما هى فى المياه الانجليزية.. دا كان حته مقلب.. ماحدث كان عارف الحكاية وكلنا سجائرينا خلصت من تانى يوم وبقينا نستلف من بعض.. تالت يوم كان كل اللى على المركب بيلموا الاعقاب.. رابع يوم السجارة يعنى بشلن.. خامس يوم السجارة وصلت هاف كراون.. يعنى اتناشر صاغ ونصف.. بعد كدا انقطعت.

ف الآخر انفرجت ازمة السجائر وازمة الشرب وكل ازمة تقريبا الا ازمة الزهق.. ابتدا الزهق والبوكر ابتدا.. البوكر ابتدا تقريبا فى جزائر الاوركنى وما انتهاش غير فى الكاب، لأن الزهق ما انتهاش غير هناك، فى الظروف العادية المركب كانت تقدر توصل جنوب افريقيا فى ثلاث أسابيع، لكن احنا وصلنا فى خمسة وأربعين يوم.. الكابتن لف بالمركب فوق اسكتلندا وغيرنا الساعات.. مشى أيام مغرب وغيرنا الساعات ومشى مقبل أيام

وغيرنا الساعات ويعددين مشى مغرب ايام وغيرنا الساعات بالشكل
دا كل يوم فى اتجاه.. كل دا طبعاً عشان يتحاشى مناطق
الخطر.. وحياتنا اصبحت خارطة جغرافية مافهاش غير ميه
وخطوط طول وعرض..

حتى الخطوط دى ماحدث قال لنا عليها إنما استنتجناها من
تأخير الساعة وتقديمها، واحنا فوق اسكتلندا قبل ما نخش المحيط
الأطلسى شفتنا الليالى البيضاء اللي بيحكوا عنها وفتنا على جزاير
الهيريديز.. فى اليومين دول أنا بطلت اقعد فى الصالون وسكنت
على الدك الوسطانى عشان اتمتع بكل دقيقة.. فى نص الليل
شفت الشمس معلقة فى الأفق الغربى مالهش لون والسما منورة
والبحر عليه ضوء فى قوة الفجر العريض.. الشمس فضلت معلقة
كدا ساعات ماتتحرركش وكان باين ان الفجر المستمر اللي احنا
فيه نوره مش جاي منها لكن من لمبة سحرية مكانها ورا الطبيعة..
فجر دايم سكون دايم حتى صوت الموج وهو بيخور تحت المادورا
كان جاي فى ودنى مش زى الصوت لكن زى الوش اللي بيملأ
طبلة الودن لما بنضرب جنبها مدفع ميدان، دا لما أحصر انتباهي
فى البحر والسما والشمس والأفق الوش يروح وأحس انى لسه

قبل الخليفة في الزمان والمكان أيام ما كان الزمان والمكان فكرة واحدة اليه نفسها كانت زرقا وصافية ومالهاش نهاية.

احنا ماشفناش جزيرة الهبريديز ، لكن عرفنا انها موجودة لما شفنا الطيور البيضاء بترقرف في كل حنة وحتى لما سبنا منطقة الهبريديز وسبنا الطيور ماسبناش منطقة السكون، انا ما أعرفش إذا كان هدوء الهبريديز كان كامل صحيح وملحوظ وألا أنا وحدي اللي حسبته.. يمكن كان فيه اصوات في الهوا أو في اليه أوجايه من عالم الاحياء وأنا اللي كتمتها بخيالي لاني قرئت في شعر وردزورث عن السلام المطلق هناك.. أنا ماسمعتش حاجة ودا كفاية .. يمكن خوار الحبيب الابيض وهو بيتكسر على صدر المانورا كان الصوت الوحيد اللي بيمنع فكرة الأزل.. لولا داكنا يقينا زى ناس في الاساطير ركبوا مركب وابحروا في السما لحد ما طلخوا من منطقة الكرة الارضية ودخلوا في عالم الصفات المنفية والصفاء اللي مش مسموح للنفس الانسانية انها تفهمه.

لكن طبعا كل حاجة ليها نهاية مادام المكان بيتحرك في الزمان حتى اللانهاية بتاعت الهبريديز كان ليها نهاية.. كلها يوم ولقينا نفسنا بنضرب في الاطلسي والاصوات اللي سبناها في بحر الشمال رجعت كلها.. أصوات الطبيعة والاحياء.. الموج رجع موج

والريح اتنفست تانى والبار اتفتح والبيرة انكبت على البدل ولغة
البوكر ملت جو الصالون والظابط التالت قعد يلعب «الدباسيوناتا»
على البيانو والجماعة بره كانوا بيلعبوا الطوق ويدربكوا على
الدك.. وانا اللى كان عندى فكرة مخيفة عن أمواج المحيط ابتديت
استخف بيه. كنت أقرأ فى الروايات وأشوف فى السينما مناظر
تشيب للمحيط كل دى اختفت لما شفت الاطلسى بنفسى امواجه
معقوله ومش أعلى كتير من الأمواج البحر الابيض المتوسط..
يمكن احنا كان حظنا كويس ان ماكنش فيه زوابع يمكن بعد كدا
اتعلمت انى أسأل الريح وما أسألش الامواج، الريح تعرف كل
حاجة والاوقيانوس زى وزيك يبقى زى الريشة قدام نفس
الاعصار.

المادورا كانت تابعة لشركة بواخر انجليزية هندية نص بضاعة
ونص ركاب وظباطها كانوا انجليز ويحارتها كانوا هنود والطبيخ
فيها كان انجليزى هندى . تركيبة عجيبة.. وبالنسبة لى أنا أكل
المادورا كان بيحب لى نوار أكثر من نوار البحر.. لكن كل حاجة
تيجى بالتمرين وفى آخر لحظة الرحلة الواحد ذوقه مات وبقي يأكل
زى التور:

المصريين اللى ع المركب كانوا أمر الله بليغ وأنور فراج
ومدام فراج ومصطفى زهدى وعلى صادق واحمد صادق
ومصطفى عبدالعزیز وأنا من كامبريدج ومنير صبرى
وعبدالمحسن بكير من اكسفورد وعلى الجريتلى وسيد سودان
وأزؤذ يعنى عزت والبطراوى والشرقاوى البكرى ومدام بكرى
وجنينة وسيسوزان من لندن وابوار زقلمه من بريستول وعبدالحليم
محمود ومرعب ويوسف مجلى من ليفربول وشهدى من اكستر
وحسنى عزيز حسن من ودنج وناس كثير تانيين مش فاكرهم دول
طبعاً كانوا مقسومين شلل شلل ومافيش رابط كبير بينهم..
الدكاترة كانوا دايماً يمشوا مع بعض ويتوع كامبريدج كانوا دايماً
يمشوا مع بعض والباقيين مش عارف كانوا مقسمين على أى
أساس طبعاً التقسيم دا ماكانش محكم قوى لأن الشلل كانت
غالباً متداخلة فى بعض وكان الدكتور البطراوى يسبب الدكاترة
ويجى يقعد معانا وسيد سودان كان عمود من اعمدة شلتنا وعمره
ما يمشى مع بتوع لندن.. ومنير صبرى كمان كان معانا وعمرى
ماشفته بيسلم على زميله بتاع اكسفورد كل دول انضموا لينا
بحكم الصداقة الشخصية والبوكر. غير المصريين كان فيه شحنة
انجليز كلهم رايعين المستعمرات فيهم الملكى وفيهم العسكرى ..

كان فيهم كان شاب صغيرين باين عليهم متخرجين من الجامعة ورايحين يتمرمطوا فى أطراف الامبراطورية.. دول كانوا محايدين طول الوقت مافيش احتكاك لا بالوحش ولا بالمليح زى ما بيقلوا ف الدنيا.. لكن كان فيه شلة انجليز تانية فى منتهى الفلاسفة واغلبهم رجال كبار.. واحد منهم كان شكله عكر وكنا بنقول عليه قاضى فى تتجانيقا وبعدين سميناه «بومينيو» مرة كان اتخانق مع واحد فينا على الدمينيو وكان على وشك انه ينضرب وبعدين ازؤذ طلع عليه غنيوه مالهاش معنى ولحنها سونج وكل مال الراجل يخش الصالون كان يغنيها بعلو حسه.. لحد الراجل ما قطع رجله من الصالون..

الحقيقة كان فيه اشمئناط عمومى بين المصريين الانجليز من أول الرحلة فيه حاجات كتيرة بتحصل من غير سبب واضح.. التنافر دا كان من الحاجات دى يمكن السبب هو أن الانجليز من الأول حبوا يشتغلوا علينا.. يعنى يخلونا نحس انهم من جنس تانى اعلى شوية.. الحاجات دى مش ضرورى . تقولها إنما تقدر تعملها.. تقدر تعملها مع أى واحد.. بيحى واحد يسألك عن الساعة مثلا تقوم له عليها بتأفف.. يفهم وتانى مرة مايسألكش . مش بس كدا..

يكرهك كمان، أو ع الأقل يشيلها لك، وان كان عنده ثقة في نفسه يردها لك ويبقى مبسوط، ويمكن سببها ان المصريين كانوا دائما بيعملوا زينة.. ان ما كانوش بيغنوا تلاقيهم بيتخانقوا.. وان ما اتخانقوش تلاقيهم بيزعقوا - أنا ما افتح بتلاتة شلن - أشوفك - ياس - أشوفك - هات تلاتة - نمزمز بقى - هات واحدة - شرفى - وكم ان عشرة شلن - ياس - كله جنيه - تشوف ساكتين - تلاتة أس - أه يا بلاف نكسب.. بطل الماسكيه دا..

والانجليز قاعدين ساهتانيين على تربيعة تانية كل واحد فى بقة بييه والبوكر بتاعهم بالاشارات .. طيبعى انهم يتغاضوا من الشوشرة، وأى حاجة جايز تحصل بعد كدا، جو النرفزة ده على العموم استمر تلات اربع الرحلة.. لكن فى الآخر كل حاجة مشيت كويس وحتى قلبت بمجاملات.. مرة جماعة من الشبان الانجليز عملوا حفلة تمثيل ومونولوجات ونمر للركاب، ولما نزلنا الصالون لقينا علمين كبار واحد انجليزى وواحد مصرى مفروشين على الحيطه قبال بعض دى كانت «بوجيست» زى مابيقولوا.. على الاقل أنا كنت بافتكر كدا.. المركب ماكنش فيها ركاب غير انجليز ومصريين وواحد بس اسود من كينيا.. ما اعرفش جابوا العلم

منين إنما يظهر ان كل مركب عندها مجموعة كاملة من اعلام
الدول عشان المناسبات المختلفة. ويرضه فى مناسبة تانية
العلاقات اتحسننت شوية زيادة عن اللزوم.. الكابتن ما اعرفش ليه
جا يوم من الايام واحنا قرب سانت هيلانة وقال الليلة دى البار
مفتوح على طول.. يعنى حفلة تمام المصريين كانوا محتلين البار
الاصلى اللى فى الصالون ابوكراسى جلد والانجليز كانوا محتلين
البار الغربى أبوكراسى قش.. سكرنا وهم سكرنا ، ويعد نص
الليل ابتدت اللخبطة والانتقال.. كنا نطلع دوريات دوريات من
الصالون الجلد عشان نغزو الصالون القش ونهيص فيه..
والانجليز كانوا بيععملوا نفس الحكاية، لكن بعد شوية كل
السكرانيين واللى ناويين يسكروا اتحولوا على البار القش لأن
الكابتن وبقية الضباط كانوا بيسكروا هناك ..

كنت تشوف جماعة بيعغنوا وجماعة بيرقصوا ، قصدى
يتنططوا وكنت تشوف واحد مصرى ماسك كاسين وسكى ف وقت
واحد، واحد باليمين وواحد بالشمال اتنين انجليز موطيين
بيشربوا فيهم، وكنت تشوف واحد مصرى راكب على ظهر واحد
انجليزى بيقول له «حا» سيد سودان وقع ف شلة انجليز سكرهم
بيطلع بغنا قام، عمل لهم رئيس أوركسترا قعد يعلمهم «خد البزة

واسكت» ازؤز كنت شايقة بيشيل الراجل الطويل الى كنا بنسميه
حكمدار كينيا من رجليه وبروح ناكته فى الأرض ويشيله تانى
وبروح واقع به على الكرسي.. الراجل اتبطح ف الحكاية دى ثلاث
مرات فى شفته وف قورته وكان يقوم من الهدر يضحك ويبوط ف
عزت سفت بليغ كمان حا وقعد يشد شنب الحكمدار ويشكه من
ورا ويقول له بالعربى «ياتوتو عليك» ومنير صبرى كان مستفرد
بواحد انجليزى ويبدى له درس مصارعة غير كده حصل فصلين
من الطف ما يمكن واحد من الركاب ايرلندى باين عليه مايطلعش
عشرين سنة من سكره نسى انه موظف فى الحكومة البريطانية
وقعد طول الوقت يقف على رجليه ويمد ذراعه ويقول «هايل هتلر»
ويعقد على الكرسي تانى ويقف ويفرد ذراعه ويقول «هايل هتلر» ،
ويقعد تانى.. عمل الحكاية دى حوالى عشر مرات.. بصينا لقينا
راجل انجليزى كنا بنسميه الديك الروسى مشى لحد عنده وراح
ضاربه قلم على قفاه ومسك فى خناقه. خلصناهم من بعض
وخدناهم لبعيد عن بعض .. دى كانت أول مرة ف حياتى اشوف
واحد انجليزى «بيتخاتق» طبعاً بعد كدا شفت كثير لما وصلت
مصر قعدت ثلاث سنين ف انجلترا ماشفتش اتنين ماسكين فى
بعض أو حتى بيشتماوا بعض.. انا انبسطت قوى من المنظر دا..

بعد كدا على طول شفت منظر الطف وانكت منه.. الساعة دقت
اتنين والكابتن لاحظ ان كان واحد اخذ كفايته شرب.. هو نفسه
كان مستوى وبيتطوح قام أمر بقفل البار وقال للموجودين بنوق:
- خلاص مافيش شرب بعد كدا.. السهرة كانت لطيفة قوى..
بقى كل واحد ينزل على كابينته.. جود نايت وراح مدور راسه
بسرعة واتسند على درقة الباب وقعد يستفرغ بصوت عالي كلنا
ضحكنا طبعاً.. والظباط سندوه لحد حاجز الدك عشان يفرغ
بقية بطنه فى البحر وبعد كدا طلعوا وحطوه فى السرير.. الشرب
وقف صحيح لكن السهرة استمرت بعد كدا كتير.. لحد ثلاثة
ونص قول.. واتصور بار فيه خمسين راجل مدرغمين ومافهوش
ستات.. اتصور الحرية بقى اللي شافوها سكان المادورا.. أنا
طول الوقت كنت عامل حسابى انى اشرب ما اسكرش عشان
اقدر اتفرج على اللي بيحصل وافتكراه تانى يوم، لكن جت على
دماغى فى الآخر.

منير صبرى ف درس المصارعة بتاعه انكفأ على الجذع
الانجليزى والجذع الانجليزى وقع على عزت اترمى على وأنا
اترميت على الحيطه، دماغى طقت زى الجوزة الهند وكنت ها
اسورق لولا المجهود العصبى الشديد اللي عملته عشان مايغماش

عليه.. بلاش اقول لك على المجهود العضلي الفظيع اللي عملته
عشان اقوم وانا فوقى ثلاث رجالة اقل واحد فيهم يوزن خمسة
وتمانين كيلو.. لكن فعلا دخت وجمالى اغماء مؤقت حوالى نص
دقيقة.. ولما قمت الدم كان بيشر على قفاى وعلى ضهرى من وسط
راسى.. صبرى جا يعتذر لكن برضه قدرت ابتسم وافهمه ان
المسألة بسيطة.. المسألة ماكانتش بسيطة - الجرح ثلاثة سنتى
وغويط - لكن الحمد لله اللي جت على كدا.. لو كانت الخبطة
نزلت لتحت شوية على المخيخ يمكن كنت رحت فيها أو حصل لى
فقدان ذاكرة ارتجاع مخى وكنت زمانى فى مستشفى المجاذيب
بدل ما أنا قاعد مرتاح باقرأ كتب وأكتب مذكرات اخدنى دكتور
مصرى اسمه عبدالسميع للكابينة بتاعته وعمل لى اللازم كتر
خير، الاصول كنت اروح انام، لكن تعمل ايه فى المقاومة. رجعت
الصالون تانى رأسى كلها قطن وشاش ووقفت اتفرج لقيت عزت
لخبط قوى.. نزل تحت وقلع ورجع الصالون تانى بالفانلة واللباس
وفى ايده حرية طولها متر كان اشتراها من بلاد الزنوج، وقعد
ينشبن بيها على التابلو المدورة قال يلعب «دارتس» بصيت لقيت
الجماعة الانجليز الى كانوا يلعبوا اللعبة دي ابتدوا ينسحبوا

واحد واحد وينزلوا يناموا، الصالون لما صفصفت على أربعة خمسة عرفت أن السهرة انتهت نزلت أنام.

لكن الليالى اللطيفة دى ماجاتش غير ف الآخر، أما فى الأربع اسابيع الاولانية كان الروتين اليومى لينا اننا نصحى حوالى عشرة ونكون فى الصالون حوالى حداثر ونفضل نشرب بيره وندررش أو نلعب بوكر لحد الغدا وبعد الغدا نرتاح شوية أو نقرأ شوية لحد معاد الشاى وبعد ماناخذ الشاى نطلع نلعب بوكر لحد العشا وبعد العشا نبتدى نشرب من جديد ونلعب بوكر لحد نص الليل.. العملية دى كانت بتتكرر كل يوم مع تغييرات بسيطة خالص.. من حين لحين كنا نجرى حوالين المركب أو نلعب الكورة أو الطوق أو نخش فى مناقشة.. وأنا من حين لحين كنت أقابل على الجريتلى فى الكابينة بتاعتنا وأخليه يقرألى حجت من «فاوست» بالألمانى ويترجم لى بالانجليزى أو أقرأ عليه الشعر الوحش اللى أنا باكتبه وهو يسمع فى منتهى الصبر والأدب أو أقرأ عليه منظر من عطيل أو أخليه يقرأ عليه حجت من دى موسيه ف الخمسة وأربعين يوم بتوع المادورا نول كل النشاط العقلى اللى قمت بيه انى قرئت رواية «حسن» بتاعت جيمس الروى فلكر وكتبت سونيته واحدة بالعربى البلدى، صحيح أنا حاولت اتعلم

طلياني زيادة على قدر ما اقدر لكن بعد كذا ركنت الكتاب.. البحر
كان لسه فيه أمواج، واحنا كنا لسه في وسط البحر، والأرض
بالنسبة لنا كانت بؤرة أحلام.. مين يقدر يشتغل من غير استقرار
نفس الحركة الراقية لفوق ولتحت بتاعت المركب كانت رمز لعدم
الاستقرار.. وجا علينا وقت كان أي نوع من أنواع الحركة معناه
عدم استقرار.. أنا عارف.. هيه غالباً الحركة المستمرة اللي خلقتنا
نعيش زى الحيوانات على ظهر المادورا.. الحركة عدوة السكون.
فيه حاجات تانية كنا بنعملها أو أنا كنت بأعملها كانت بتراجع
لى صفاتي الانسانية المهدورة.. كان معانا حسنى حسن ابن
الامير عزيز حسن ودا كان شاب بتاع ستاشر سبعناشر سنة،
مش من دورى أبدأ، لكن كنت كل ما ألاقيه بيتمرن على درس
البيانو بتاعه كنت أقعد جنبه أسمع.. حسن ماكنش ف لعبة مهارة
كثيرة وماكنش يعرف البهلوانيات بتاعت بعض الناس اللي
صوابعهم سريعة.. لكن من ناحية الاحساس كان الطريقة اللي
يلعب بيها تدل على ان له مستقبل.. هو نفسه مرة قال لى ان كل
امله أنه يبقى زى - بادرفسكى أو شتايل ويطوف العالم ببيانو
فورت.. حسن عمره ما لعب حاجة غير شويان.. دا كان يناسبه هو
قوى وكان كفاية على أنا قوى.. ولما ألقى واحد يسمعنى كل

صباحية والثانية ما زورنا ولا نوكتورن ولا دراسة أبقى مبسوط خالص.. ولما ألقى واحد زى الضابط الثالث بتاع المركب يسمعى كل ليلة والثانية سوناتا لبيتهوفن ولا رابسودى ليست أبقى مش عايز حاجة تانى.. حسن كان يكره «المهارة» بتاعت الضابط الثالث وكان دايما يتهمه انه خالى من الشعور.

صحيح لكن حسن كان بينسى ان مهارة غريمة كانت احيانا تعلق الأنفاس.

دى أهم حاجة حصلت على المركب.. ومن سجل المحيط الاطلسى مش باقى ف ذاكرتى غير ليلة ابتدت ف منتهى اللطف وانتهت بغم.. كانت الشلة بتاعتنا بتحتفل بعيد ميلاد انور فراج بعد العشا طلعت الصالون كلنا ومالعبناش بوكر انما قعدنا قعدة جميلة تحت البار على طول وهات ياشرب وهات ياغنا.. فراج اشترا علبة سجائر وحطها قدامنا وكان بيمضى كل الفواتير بتاعت المشتريات كمان.. وعزت قام بدور العالة وقعد يغنى طول الوقت.. سوينج طبعا.. والباقيين سميعة ومذهبية.. بليغ وسودان وصبرى وزهدى وصادق اخوان وانا ومدام فراج قاعدة ومبسوطة اللى أحنا مبسوطين.. عزت كان صوته حلو ويغنى باصول.. ابتدا يسونج صحيح، وفى الآخر لخبط كان بيتدى أى دور ويروح على

غفلة قالبة سونج وفالس يقلبه سونج تانجو يقلبه سونج.. كانت
حاجة تقطس من الضحك إذ كنت تقدر تتصورها من الزيتة إالى
كنا عاملينها.. الناس فى الصالون طفشوا .. وصبرى يطلب
دارمبوى ويحرقه ويشربه ويطلب دارمبوى ويحرقه ويشربه لحد ما
استوى خالص وأبتدا يقلب بعنف.. بقى يضرب الترابيزة بأيده
البيرة تقع على بنطلونى.. بقى يقف ويمسك المروحة اللى فى
السقف وهيه دايره بمنتهى السرعة.. بقى يحذف ف كراسى
ويضغط على الكبايات فى ايده يكسرها. عزت كمان عبال ما صوته
اتنبح من الغنا كانت شرايينه اتملت بالدم وعمل عميل زى صبرى
تمام.. احنا كنا ملهيين فى الهيصنة بتاعتنا وماحسيناش لما
الكابتن بتاع المادورا جامع الظباط وقعدوا جنبنا وابتدوا يشربوا..
يظهر الكابتن استحملنا كتير لكن لما شاف الحكاية فيها تكسير
كبايات وتوقيف مراوح وجرى ونط والناس نايمين قال فى عقله دا
مش شرب دى عريضة راح زعق فى صبرى.

~ انت روح نام..

دى كانت اول مرة نشوف الكابتن.. صبرى شخط فيه:

~ انت مين اللى تقول لى اروح أنا.. انت روح نام..

~ أنا الكابتن بيتى، كابتن المركب.. باقولك روح نام..

صبرى كان عنيد.. ما اعرفش كان فاهم الكلام اللى بيقلوا
والا لا..

- لا انت مش الكابتن.. انت مش ممكن تكون الكابتن..
المسألة دخلت فى دور سئيل.. الكابتن بيتى بص للبارمان وقال
له.

- ما تدى لوش حاجة تانى.

- أنا أخذ بالغصب.

احنا أول ماشفنا الحكاية كدا قعدنا نهدي فى صبرى وحبينا
ناخده ينام.. لكن هو ابتدا يستعمل الفاظ قبيحة من النوع اللى
بيستعملوه العساكر الانجليز فى مصر.. مش بيشتتم الكابتن لكن
قال كلام كثير مالوش معنى أغلبه موجه لاصحابه اللى بيشدوا فيه
عشان ينزل.

الكابتن: قلت لك روح نام.

صبرى: أنا ابوى رئيس وزارة مصر.. أنا بكره حا ابعت له
تلغراف وابقى اتفرج.

الكابتن: إذا ما سمعتش الكلام انزلك ف فرى تاون.

دى كل المناقشة اللى حصلت .. بليغ وسودان وعزت زقوا
صبرى بره الضالون . لكن صبرى هرب منهم.. مانزلش ينام إنما

طلع فوق على الدك الفوقانى خالص . طلعنا رراه ندور عليه بين
المدخن وف الزوايا مافيش فايده.. هوه كان ف حالة عصبية قوى
وخفنا انه يعمل ف نفسه حاجة.. ولما الضباط عرفوا الحكاية
اشتركوا معانا فى البحث أخذ نص ساعة تقريبا لأن الدنيا كانت
ضلمة . كحل وكل الأنوار الخارجية مطفية عشان حالة الحرب..
وف الآخر لقوه نايم فى قارب من قوارب النجاة اللى بتبقى مدللة
ف جنب المركب .. سابوه للصبح.. جت سليمة ان صبرى ماكنش
من النوع اللى بيمشى وهوه نايم .. كمان جت سليمة ان الكابتن
قفل الموضوع وما سابوش فى فرى تاون .. تانى يوم الصبح كل
حاجة رجعت زى ما كانت.. صبرى كان لسه زعلان رحت أنا
جيت له ديوان شعر انجليزى فيه قصيدة لولت هويتمان عن
واحد كابتن مركبه غرقت وقلت له يديها لعزت بلحنها سونج..
القصيدة اخدت لها يومين لغاية ما صبرى راق، لكن يظهر ان
زعل الكابتن ماراحش بلاش من يوم الفصل دا نفسنا انكسرت
شوية والمادورا رجع عليها السلام..

دا تاريخ المادورا .. باقى تاريخى انا مع البحر والطبيعة.. من
يوم مافتنا الهيريديز وانا هريان من الأمواج المملة اللى كلها زى
بعضها فى نفسى وف البيرة وف لعب الورق.. لما شفت ان احنا

نزلنا مغرب لحد جزائر الازور فى وسط المحيط بقيت أصلى لربنا
ان غواصة تطلع لنا وتطاردنا لحد ما نوصل امريكا عشان ننزل
نتفرج على بلاد الله.. لكن مافيش حاجة من النوع دا حصلت،
والمادورا بعد كدا مشيت جتويا. كنا احيانا ننسى خطوط الطول
والعرض. لكن ماكناش ننسى ابدأ خطوط البارومتر.. دخلنا ف كل
المناطق الحرارية تقريبا.. طلعت من تلبورى سليزر فى كحلى وبعد
ما نزلنا فى غرب ايرلندا كانت الهدوم بتخفف لغاية ما وصلنا خط
الاستواء كل واحد كان دايـر ببدلة بحر أو بنطلون شورت . وعند
مدار الجدى ابتدينا نلبس هدوم تحتانية وعبال ما وصلنا الكاب
لقينا الشتا طالع واستقبلنا الربيع.. وزى ماشفنا النهار الطويل
شفنا الليل الطويل.. ولكن أهم من كل دا كان لون السما وقت
الغروب كنت تشوف الشفق الافريقى بيتدى من الضهر لحد الليل
وبين الضهر والليل خمس دقائق مافيش غيرهم وقرب الليل كنت
أشوف الشفق فيه كل الألوان الرئيسية وكل الألوان اللى مش
ممكنة وان كنت تقدر تتخيل ألوان جديدة كمان متخافش تتصور
انها كانت موجودة فى السما قعدنا ثلاث اربع ايام فطسانين من
الحر ونتفرج على تابلوهات مش هاترجع تانى الأيد الخفية اللى

بيعرضها بتخبيها تانى عشان ماحدث يفهمها تمام.. أسأل سيد
سودان يحكى لك على سهام الشمس النازلة واشكال الغمام..
ماكنش فيه سحب ابدأ.

كان فيه غيم.. السحاب ابيض بيعوم قدام نفس الريح لكن
الغيوم ثابتة وداكنة وحمرا وصفرا وكل حاجة.. دى الخواطر
بتاعتى أنا ع الاقل وانت حر.. فيه تغيير فى سما افريقيا
الاستوائية لو تعرف تقراه تلاقيه زى التعبير الى على شفائف
الزئوج اللى ساكنين تحت الأرض كله قوة وشهوانية وجمال وضاح
مش منظم.. ولو عندك خيال شوية تقدر كمان تشوف الغيم النبىتى
والتمتعانى والاسمر قاعدين عليه أطفال الزئوج، سود وعريانيين
وييفتحوا فى الغيم بصوابهم الصغيرة الفحمية.. اى واحد يعيش
تحت السما دى لازم يأكل لحوم البشر دى حاجة ف المناخ.. فيه
حاجة صريحة ف افريقيا الاستوائية مابافهمهاش من موسيقى
رافيل ولا من صور جوجان لكن بافهمها من اى رومبا وأى
كونجا.. اركب المانورا تفهمها.

المانورا ما وقفتش غير مرة واحدة فى الرحلة الطويلة دى..
من تلبورى لغاية فرى تاون عاصمة سيراليون شوط واحد.. يعنى

شهر تقريبا.. كان لازم نرسى ف نرى تاون افتر عشان نجد
أكل ووقود وميه.. ولما اشرقنا على البلد لقيناها عبارة عن شوية
بيوت مش واضحة على تل اخضر وف سفحه فرى تاون ماكانش
ليها ميناء عشان كذا المركب بتاعتنا ماخلتش ع الساحل انما
وقفت بعيد ف البحر الغويط على بعد كيلو ونص تقريبا.. كان فيه
مراكب تانية كتيرة حوالينا ومن بعيد قوى شفنا مركب مرفوع
عليها العلم المصرى.. اتفرجنا عليها بالتلسكوب وافتر قرينا
عليها اسم «ردامس» وانت فى مصر ماتقدرش تتصور الفرع اللى
فرحناه لما شفنا المركب دى كانت صغيرة، لكن زى بعضه كفاية
الواحد يحس ان بلده ليها بواخر بتشق المحيطات وتقتحم موانى
العالم حتى من كتر الزيتة والهرج بتاعتنا والتلسكوب بيقتوت من
يد ليد الركاب الانجليز اللى مركوبين على الدك اتحرك فضولهم
وعرفوا الحكاية حزنونا فى المركب ساعتين وبعد كذا سمحوا لنا
ننزل فى الميناء ونرجع الساعة خمسة بالظبط، أول المادورا لما
كانت قربت على فرى تاون وربطت بصينا لقينا الزنوج جاينين من
قوارب صغيرة قوى مدببة وضيقة ومطبولة ، من النوع اللى
يسمونه بالانجليزى كانو.. كل كانو يساع راجل واحد.. الزنوج

اتلموا تحت المركب وكان شكلهم يضحك.. كانوا عريانين خالص
وسود غطيس بيعملوا بهلوانيات.. واحد منهم كان جسمه عريان
ملط ولابس ياقة سهرة منشية ويرنيطة عالية زى بتوع اللوردات
الانجليز وطول الوقت يغنى هلوليا مش هلوليا بتاعت موتزارت..
هلوليا أمكريكانى من اللى المبشرين بيعملوهم للنزوح.. دول طبعا
كانوا شحاتين.. كنت ترمى للواحد بنس والا اتنين ينط من الكانو
ويغطس يجيبهم.. الركاب طبعا كانوا عشان يخيلوهم يرموا لهم
فكة كتيرة قوى فى كل الاتجاه والزنج زى العفاريت ما يطلعوش
للسطح غير بعد مايلموها كلها.. قعدنا نضحك نص ساعة ويعدين
جت القوارب تاخذنا للساحل..

نزلنا فرحانين وركبنا نلف فى البلد وزى العادة ف كل مينا
التراجمة اتلموا علينا.. غوطنا ف البلد فراج ومدام فراج وانا
دخلنا الدكاكين واشترينا برانيط ومباسم عاج وحرب صغيرة
وسمعنا ناس بيتكلموا عربى.. أتاى البلد فيها جالية سورية مش
قليلة وكلهم فاتحين دكاكين كانت وسخه وكلها تراب والبيوت
مكسرة وواطية وبعضها مبنى بالبوص والجريد ومغطى وأحسن
بيت فيها بيت الحاكم العام الانجليزى كان زى بيت عمدة ف

الريف المصرى لقينا البلاد كلها فى ربيع ساعة على الاقدام وفى
الآخر لقينا انفسنا بنخش فى الغابة اللى طالعة على الجبل. قلنا
لحد هنا كفاية وقعدنا على الارض بين شجر الموز والمنجة
والنسانيس بتتنطط حوالينا.. أنا طبعا ماكتتش قاعد على بعضى
وطول الوقت باتصور ان تعاين كبيرة جاية علينا زى الهيدرا
والكوبرا والانواع اللى كنت باشوف صورها وانا صغير مرسومة
فى قاموس ويستر وانشف فى جلدى.. وما صدقت معاد الغدا جا
قلت نرجع.. رجعنا المركب وكل الناس.. والمائورا سابت المينا
وبعد شوية الضلمة جت ولقينا نفسنا بين المية والنجوم.. النجوم
كانت اوضح من زى نجوم شفتها فى حياتى واكثر والمية كانت زى
العادة بتلطش فى نفسها لكن تبص فيها تلاقى تحتها حاجات
بتنور وتنطفى ، زى ما تكون لمبة كهربائية مولعة جواه، بورق
مليان ميه سودا، قالوا اسمك، ما اعرفش .. وفى النهار شفنا
حوت غطسان وبينفخ من خرم راسه نافورة ميه افترثاها من
بعيد بيريسكوب غواصة، وفى النهار شفنا لغم طافى والبحارة
ضربوه عشر مرات بالرصاص عشان يتفجر ماحدث عرف
يصطاده.. سابوه وفى النهار فتنا جنب سانت هيلانة وماشفنهاش

لكن الطيور قدالت والريح ناحت.. وروح قوية غضبانة حامت على
رش المياه.. الانجليز رقصوا طول الليل وانا سحبت شوب البيرة
بتاعى وانزويت على جنب استعبر باللى كان وأتأمل فى اللى
هايكون.

بعد كدا ماشقناش غير الميه والافلاك.. خلصوا الواحد واربعين
يوم.. وبالليل شقنا جبل منور من راسه وعلى الجبل شوارع
وميادين وفى الشوارع حياة.. كاب تاون.

رأس الزوابع

وصلنا كيب تاون ليلة ٢١ اغسطس ١٩٤٠.. قالوا لنا المركب
هاتبات فى المينا وهاتقوم فى الضحى.. نزلت انا وحسن لابسين
بلاطى المطر لأن السما كانت بتتدع .. عدينا الجمرك ومشينا ورا
الأنوار لأن منظر الانوار كان يقرح القلب بعد سنة سودا فى
انجلترا وخمس أسابيع ع المحيط الدامس.. حتى السيجارة
ماكناش نقدر ندخنها على الدك بالليل بأمر الكابتن.. حسيت
بالسعادة لان أخيرا حطيت رجلى على جزء من العالم مافهوش
حرب ومايفكرش فى حرب . لكن أغلب سعادتى كانت جغرافية
سببها انى كنت حاسس انى ماشى فى آخر نقطة على الخارطة
الى فى الأطلس من تحت، وانى اقدر اقول انى عشب ف آخر
افريقيا من الشمال وف وسط افريقيا الاسود وف آخر افريقيا
من الجنوب كائن صحيح مشيت الأطوال العجيبة دى كلها على
رجلى.. لا مش كفاية انى اتفرج على كيب تاون.. لازم «أنام» فى
كيب تاون عشان اسجل الذكريات وابنيها على اساس.. طبعاً أنا
ماقلتش الخواطر دى لحسن واحنا دايرين من سينما لسينما ومن
شارع لميدان قلت له:

- اسمع يا حبيبى.. بقى انا أدى خمس اسابيع بأنام على
مرجيحة.. أنا الليلة دى لازم أنام على سرير ثابت وأحس بأنى
على تيرافيرما.

الفكرة عجبته.. احنا حجزنا اودتين فى لوكاندة اسمها «جراند
اوتيل» ونزلنا تانى نتفصح فى البلد لقينا فيلم لتلسون ادى وجانيت
ماكدونالد فى سينما اسمها البلازا دخلنا انا طلعت مبسوط وهو
طلع قرفان. لكن تانى يوم الصبح اتفقنا اننا نمنا مرتاحين..
ومن كتر النشاط نزلنا سوا نشترى له جزمة قبل ما نرجع
المركب.

المركب شالت الركاب وابتدت تخرج من المينا، لكن القارب
اللى كان هايمشى قدامها عشان يوريها الميه الصالحة للملاحة
خبطها فى ضلوعها قام جنبها اتطبق.. المادورا وقفت بعد مالفت
وقفت مدة طويلة.. قالوا ان شركة التأمين رفضت تضمناها إذا
خرجت من المينا وف الآخر جانا الخبر اليقين ان المادورا هاتنام
اسبوع فى مدينة الكاب نزلنا على البلد جرى ولقيناها شلل شلل
زى الدوريات.. قبل مانخش جنوب افريقيا كنا سمعنا عن مشكلة
الألوان فيها لكن أنا شخصيا ماكنتش فاهم معناها بالضبط كنت
افتكر انهم بس بيدققوا فى الاجناس اللى بتدخل عندهم.. لكن

لما قالوا إن البيض لهم قانون والسود ليهم قانون قلت مش
معقول.. الحقيقة ان كل المصريين لما سمعوا بالحكاية دى
استنكروها وخافوا على نفسهم ويقم كل ما يروحوا حته ييقوا
مستعدين للخناق.. طلعت أنا والاستاذ الجريتلى نحقق الحكاية
دى فى النهار.. شفتنا كل اللوكاندات والسينمات مكتوب عليها
«للأوروبيين بس» شفتنا الأتوبيسات مكتوب على نصها
«للأوروبيين» والنص التانى «لغير الأوروبيين» شفتنا مراحيض
عامة للبيض ومراحيض للسود « شفتنا بارات نصها للبيض ونصها
للسود، ولما وصلنا دربان أن شفت كنيسة - بيت الله - ليها
بابين.. واحد للبيض وواحد للسود.. البنك القطر.. المواقف..
والمنتزهات .. كل حاجة مقسومة نصين: ابيض وأسود.. ابتدينا
نخاف.. المشكلة بقت بالنسبة لنا: يا ترى احنا يا مصريين بيض
ولا سود قلت للجريتلى يللا نجرب.. دخلنا بار واستعبطنا.. أنا :
اتنين وسكى صودا من فضلك.

البارمان - أسف.

أنا: ماعندكش ويسكى طب هات اتنين بيرة.

البارمان - أسف.

هزيت كتافى وخرجنا . البارمان ماقالش غير الكلمة دى.

كل حاجة كانت واضحة لكن أنا كنت باعمل عبيط.. إذن
المصريين فى جنوب افريقيا حاسبينهم سود.. انا دى فار من
غير مسوغ.. قبل مانخش البار كنت فاهم انه يمكن فيها كسفة،
ولما حصلت الكسفة ثرت كان المسألة كانت جديدة على وقعدت
اشتتم أولاد الكلب السفلة، بكره نعمل امبراطورية ونوريهم، بعد
كدا الواحد بقى ماشى مدوش.. مرة سألت واحد فى السكة عن
الساعة مارضيش يرد على اتهاى لى انه يصح فى أى لحظة انه
بيجى واحد ويوقفنى ويقولى، انت ماشى من الشارع دا ليه، أنت
اسود «أو» انت بتشرب سيجارة ليه، انت مش أبيض.. صحيح
لحد دلوقت ماشفناش شوارع مكتوب عليها ألوان ولا اعلانات
تمنع التدخين على غير الاوروبيين لكن بعد الحاجات اللى فاتت
على اتهاى ان أى حاجة جايز تحصل فى جنوب افريقيا.. لحد
دلوقت طبعا ماكانش واضح عندنا إذا كان المصريين فى قانون
البلاد دى من الشعوب الملونة ولا من الشعوب اللى مش ملونة.
البارمان لما قال لى «أسف» يمكن كان فاكرنى هندى.. طيب
الجرائد هوتيل قبلتتى ليه الليلة اللى قبلها.. وسينما. بلازا، لا
البارمان مش قياس.. على العموم احنا قررنا اننا نمشى فى
الحكاية للأخر.. واللى يحصل ركبنا الاوتوبيس عشر مرات مع

الأوروبيين ماحدش قال حاجة.. وبالليل دخلنا مع بليغ وسودان وفراج سينما تانى واتفرجنا على مستر روبرت تايلور وفيفيان لى فى «جسر ووترلو» ماحدش قال حاجة.. ورحنا أحسن رستورانت فى البلد ماحدش فتح بقه.

أنا ما اعرفش اصحابنا الباقيين حصل لهم ايه بالضبط فى المسألة دى، لكن اعرف ان بليغ وفراج وسودان وصبرى وعزت وزهدى اول ليلة دخلوا قهوة كبيرة اسمها «دل مونيكو» وقعدوا يشربوا من سكات ويعددين جم اتنين عساكر سكرانين وقعدوا يترازلوا عليهم «العساكر ابتدوا».

- انتوا قاعدين هنا ليه؟

ماحدش رد عليه.

- انتو مش ف الجيش ليه؟

ماحدش رد عليهم.

- انتو من انهى داهية.

لما الجماعة شافوا ان مصر بقت داهية عرفوا ان التبليخ هاشتغل.. كل واحد كان عارف ليلتها ان المركب هاتقوم تانى يوم الصبح بدرى، وماحدش قايم عنده نية انه يبات فى الكركون. ويخليها تفوته.. عشان كذا المصريين احتملوا كتير.. بليغ كان

ناصرح.. راح قايم من سكات وقابل مدير المحل وشرح له المسألة
وطلب منه انه يرمى العساكر بره.. وفعلا مدير المحل نزل معاه
وخلاهم سابوا المكان.. بعد دقيقة العساكر رجعوا تانى ورا بليغ
من جديد.. واحد منهم مسك بليغ من قفاه التانى زغده فى راسه
وقال له:

– أنا سالتك انت من انهى داهية . ما ترد.

بليغ وقف على رجليه وقال له:

– حاضر هارد.

وراح شايل كرسى وطاخ على دماغ الجدع.. دمه ساح لكن
قام وحب يهجم. كمان ترابيزة على دماغه نزل فلات.. سودان
كما وقف على حيلة ومسك التانى من ياقته ويوكس فى صدغه
الشمال وجزمة فى بطنه نزل فلات.. البوليس جا وشالوهم على
نقالة.. مدير المحل شهد ان العساكر هم العاييين والليلة انتهت
بسلام.. الناس اللى كانوا بيتفرجوا على الخناقة اتلموا على
المصريين وقعدوا يسلموا عليهم وكل واحد طلب لهم بيرة على
حسابه دا طبعا دليل على جنوب افريقيا بلد لسه بكر.. وأهله
يحبوا أعمال الفتونة وشغل «الكابوينز» تانى يوم الصبح، الخبر

كان على كل لسان لما وصلنا دربان بعدها بعشرة ايام لقينا الناس
لسه بتتكم فى الموضوع.

أدى أول حاجة عملوها المصريين ف جنوب افريقيا . دافعوا عن
كرامة بلادهم، وفهموا كل الناس ان مصر فيها رجالة.. وعلى
حس خناقة دل مونيكو كان فيه اكثر من ميت مصرى عاشوا شهر
ونص فى جنوب افريقيا روسهم مرفوعة . تعرف الجزاء كان ايه
بدل الحكومة المصرية ما تطلب نيشان الجدارة لبليغ وسودان بعد
ما رجعوا رفضت انها تاخدمهم فى الجيش نهايته خلىنا فى عالم
الذكريات لان عالم الذكريات مش مر زى عالم الواقع.

تانى ليلة بليغ وشلتته داروا يشمشموا على نادى ليلى لغاية
ماعتروا ف واحد.. وف النادى شافوهم غامقين شوية تعبوهم
شوية ماتفهمش خافوا منهم والا ايه ماقدروش يقولوا لهم ممنوع
الدخول لغير الاوروبيين قاموا قالوا لهم ان النادى مابيديش
مشروبات دخلوا وقعدوا وهم ناويين على نية سودا.. كلمة واحدة
خارجة عن حد الأدب وهم يشطبوا المحل على الطريقة المصرية
صبرى نزل جرى على المادورا عشان يجيب شرب لقي البار
قافل.. راح واحد بحار بكام شلن وخلاه يسرق له قزازة جن من
أودة الكابتن.. رجع بيها النادى الليلى والجماعة قعدوا يمزوا عليها

لحد ما خلصت.. الناس اللى كانوا بيرقصوا بطلوا رقص وكل واحد قعد كاشش من وجود الجماعة دول .. المرح راح من الصالة.. لكن مصر اقتحمت «بالعافية» وكر من أوكار الاوروبيين. ودا كفاية أنا عندي حاجة زى كدا فيها دعاية لمصر أكثر من لما نفتح قنصلية وسفارة ونبعت بدل بقصب وقواصين.. فيه ناس تخاف ماتختيش .. دول خوفهم تعيش مرفوع الجبين.

أول يوم الصبح رحنا الجريتلى وأنا طرف البلد من تحت حته اسمها سى يونيت كاب تاون زى ما قلت لك مبنية على جبل اسمه تابل ماونت ف خليج اسمه تابل باى، وفعلا الجبل لما تشوفه من بعيد وانت داخل المينا تلاقى شكله زى تراييزة حجر.. منظر البحر من ناحية المينا ممل لانه مستأنس شوية ومليان مراكب وفى ضهره ونشات مالها عدد وترسانة وخط سكة حديد وعربيات مليانة فحم وشيالين وعمال وموظفين الجمرك.. كل الحاجات دى تضيع هية البحر.. إنما إذا كنت عاوز تتفرج على عناصر الطبيعة ف حالتها الأولى تلاقىها فى حته تانية من الساحل زى سى يونيت. نزلنا من الاتوبيس وكان لازم نمشى مسافة بانحدار.. لقينا دكان دخلناه نشترى سجائر. لقينا بنت حلوة عمرها حوالى تمتناشر سنة وشها صبح واقفة تاكل قشطة وتضحك طول الوقت

عرفنا من لغتها ان البنت ماكنتش انجليزية انما افريكان يعنى
من اصل هولندى، ولما شافتنا وقفت تتفرج علينا زى ما كنا
بنتفرج عليها هيه وقفت تتأمل فينا لانه كان باين علينا اغراب..
لازم افكرتنا اسبان أو برتغاليين.. احنا وقفنا نتفرج عليها لانها
اول خلقة نضيفه شفناها بعد اربعين يوم من القحط الشديد..
صحيح المركب كان فيها ثلاث أربع بنات انجليز باين عليهم كانوا
رايحين يشتغلوا ممرضات فى السودان وباقى نواحي
الامبراطورية ، لكن دول كان شكلهم غلط على الاطلاق ويمكن
فى ظروف تانية الواحد مايرضاش يتعرف بيهم، هم كمان فى
الظروف الاستثنائية دى استغلوا قانون العرض والطلب اشنع
استغلال وابتعدوا عن كل الناس وفاتت اربعين يوم على اربعين
شاب من غير ما يتبادلوا تحية الصباح مع واحدة من الجنس
التانى، القسوة اللى فى الموقف واضحة علشان كذا البنت اللى
شفناها واقفة تاكل قشطة وتضحك جنب الشاطيء هبت علينا زى
نفحة زكية من عالم الأرض وفيها اتجسدت كل معانى الحياة.

مافيش بينه وبين الأرض تجارة.

سبناها ونزلنا الشاطيء لقينا صبرى كمان نازل يتفسيح واحنا
نفسنا كان باين علينا أننا ملاحين من عالم بعيد محصور...

قعدنا ع الصخر ضهرنا لكوينز هوتيل وبقية الفيلات وعنينا
مرخية على مفرق البحور، شفتنا المحيط الاطلسي بيضرب في
المحيط الهندي والاتنين بيضربوا في الصخور والجو كان صافى،
والأفق ممدود أبعد من المعتاد والمية بتلمع تحت الشمس والهوى
بيمسح سخونه من خدودنا، ولو كان نظرى بعيد شوية كنت
شفت المحيط المتجدد الجنوبي طالع منهم زى بحيرة قزاز
بتتمخطر عليها البنجوين وسيندرلا بتعمل باتيناج البحر كان
هايج وماكتش فيه أمواج. كان صدر الميه كلها يتملى غضب
ويرتفع وبعدين ينطوى حوالين نفسه أو على صخور الساحل لحد
ما قوته تتبخر فى الهواء ويهبط لأصله.. ولو كنت قاعد لوحدى
يمكن كنت عملت بتين لشعر أفكر بيهم أقصى الجنوب والشعور
جالى وأنا قاعد على الحجر كان الأرض مسطحة وكأنى قاعد
على حرف الأرض ومدل دل رجلى فى الفضاء، لكن أنا ماكنتش
لوحدى وكان عندى حاجة أحسن من بيتين شعر افكر بيها
المكان.. البنت الهولندية جت علينا وقعدت بعدنا بصخرتين وكانت
لسه بتاكل قشطة.. أهو انا بعد عشر سنين ها أنسى مدينة
الكاب وشوارعها وميادينها وباراتها واختباراتها مش ها أفكر
من كل اللى شفته غير لسان الأرض عند سى يونيت والبنت

الهولندية ماشية ع الساحل بتاكل قشطة فستانها طائر فى الهواء
وعينها بتجول من غير اكتر اثار فى مجمع البحور، كمان ها ابقى
افتح الاطلس عند خريطة العالم وفى ايدى دبوس واشوف آخر
نقطة فى افريقيا من تحت، وبين اللون الاصفر بتاع اليابس
واللون الازرق بتاع المياه اغرز الدبوس زى ما واحد رحال لما
يوصل قمة افرست ويغرز علم بلده، واقول هنا قعدت على القارة
ودللت رجلى فى المحيط.

دى هيه السعادة الجغرافية اللى قلت لك عليها، الاسبوع فات
هوا وشفنا كل بيت فى كاب تاون وكل شجرة، بلد جميلة نضيفة
صغيرة جديدة صحيح مافهاش اثار زى مصر لكن دمها خفيف
وصحيح اصغر من اسكندرية بمراحل لكن عاملة زى الموانى
السحرية اللى فى امريكا الجنوبية اللى قرئت عنها وماشفتهاش،
اسبوع كامل فى مدينة الكاب مالقيناش واحد من الاهالى نكله
حتى كمسارى الاتوبيس كان ياخذ قلوسه من سكات.. اللى يحكم
بالمظاهر يفتكر ان البلد دى جد فى جد.. لكن انا قادر اتصور
الافراح المستخبية والليالى اللطيفة اللى ماشفتهاش، اللى
مايشقهاش السايح لكن يشوفها واحد استوطن فى بلد وانسجم
مع أهلها، أنا متأكد انى ابقى سعيد لو عشت سنتين فى مدينة

الكاب، أنا ماكانش عندي فلوس كتير عشان كذا كانت القاعدة
انى اطلع الصبح والضهر ارجع اتغدى فى المركب وبعد الظهر
انزل البلد تانى وع العشا ارجع أكل وانزل تانى فى آخر الليل
وارجع المركب انا.

العملية دي كانت بتوفر لى جنية بالراحة كل يوم.

ولكن دي كلها اختبارات شخصية واهميتها محدودة.. أهم
منها الحاجات اللى اتعلمناها عن جنوب افريقيا مش بس فى
اسبوع الكاب لكن كمان فى الشهر اللى قضناه فى دربان فى
مشاهدات الحياة، اتعلمنا ان سكان اتحاد جنوب افريقيا خليط
مش مزيج، لأن الشعوب اللى فيها مش راضية تندمج فى بعضها
لا فى اللغة ولا فى الدين ولا فى الدم عن طريق التزاوج ولا حتى
فى العادات، الانشقاق دا طبعاً وصل للقمة ايام حرب البوير،
لكن حتى دلوقت أنا ما اقدرش اسمى سكان جنوب افريقيا
«شعب» عشان مافيه مش وحده.. وماله مش غرض مشترك.. دا
يمنعش انهم ناس متمدينين قوى فى حاجات كتيرة، وحتى مالوش
دعوى بالحكاية دي.. المدنية شىء والنضوج السياسى شىء تانى.
شعوب جنوب افريقيا ليها عدد ومعروفة، أولا فيها بيض
وسود البيض نوعين ناس اصلهم انجليز وبيتكلموا انجليزى وناس

اصلهم هولنديين وفرنساويين كان أصلهم هيجونوت طفشوا من اضطهاد الكاثوليك زمان ودول بيسموا أنفسهم افريكان وبيتكلموا لغة مولودة من اللغة الهولندية اسمها برضه افريكان، السود برضه نوعين، فيهم الزولو ودول السكان اصلين واصلهم صنف من الزنوج وبيتكلموا لغة اسمها البانتو، وفيهم هنود هندوس على مسلمين .. ودول ساعة يتكلموا انجليزى وساعة هندی واصلهم كانوا الانجليز جابوهم من الهند وسيلان ايام ما كانوا بينشروا زراعة السكر فى جنوب افريقيا، دى هيه الاجناس الرئيسية، لكن طبعا فيه ناس مولودين نص دمهم اوروبى ونصه مش اوروبى، وبين السود أنفسهم فيه ناس هندی على زولو.

تلاقى بين العناصر الاربعة دى فيه شقاق مستمر، لكن مش دايما ظاهر تلاقى الانجليز والافريكان منضمين لبعض ومسميين أنفسهم اوروبيين عشان يحكموا السود ويستغلوهم، الحكومة فى ايدهم وطول الوقت يطلعوا تشريعات ضد السود، الحالة فى جنوب افريقيا بطالة خالص لان الحكومة المركزية «معترفة» بان فيه ألوان، كل واحد يعرف ان الولايات المتحدة كان فيها ويمكن لسه فيها مشكلة ألوان، لكن حكومة واشنطنون من ايام ابراهيم لنكولن عمرها ما اعترفت بان زنوج امريكا مش مواطنين ليهم

نفس الحقوق وعليهم نفس الالتزامات بتاعت البيض بالتأكيد فيه لكن فيه كراهيات واضطهادات كثيرة شغالة ويمكن الحكومة نفسها مشتركة فيها لكن مش بشكل رسمى، فى جنوب افريقيا مش كده بقى، الحكومة هى اللى فاصلة السود عن البيض فى كل المرافق العامة وهى اللى مانعة السود من الجماعات وهى اللى عاملة اجرة الاسود اقل من اجرة الأبيض وهى اللى مطلعة قوانين للأوروبيين وقوانين لغير الاوروبيين، فى غير كده تلاقى الانجليز والافريكان يكرهوا بعض وطول الوقت يتنازعوا على السلطة بدرجة ان البلد ليها لغتين رسميتين الانجليزى والافريكان وعاصمتين كيب تاون وپريتوريا وحزبين فيلد مارشال سمطس اللى عايز جنوب افريقيا تستنى حنة من الامبراطورية البريطانية وحزب هرتزوج ودكتور مالان اللى عايزين بلدهم تنفصل منها والطابور الخامس اللى عايز اتحاد جنوب افريقيا يبطل حرب ويعلم انفصاله من الامبراطورية بيشتغل بمنتهى النشاط، حتى واحنا هناك شمعنا عن مؤامرة عاملينها الافريكان لقلب نظام الحكم لكن مافيش حاجة حصلت، والسود كمان حالهم ألعن من البيض، طبعا فى اى حاجة ضد البيض تلاقىهم مع بعض لكن فى غير كدا تلاقىهم منقسمين، الهنود لأنهم مش غامقين قوى زى

الزولو عاملين انهم اعلى منهم فى الجنس.. والقوانين نفسها بتشجعهم لان الحكومة بتفرق بنى سواد وسواد وفى مقياس الانسانية سكان جنوب افريقيا ترتيبهم من اعلى الى اسفل.. الانجليز والافريكان والهنود والزولو وحالة تحزن صحيح.

لما استقرينا شوية فى البلد اتعرفنا بناس من كل جنس، الزولو كانوا بيشتكوا لنا من الهنود والهنود كانوا بيشتكوا لنا من الأوروبيين نسأل الانجليز يقولوا لنا دول الافريكان هم المسئولين، نسأل الافريكان يقولوا لنا دول الانجليز هم المسئولين.

الاسبوع فات والمائورا صلحوها بالاسمنت وخرجت من المينا ودخلت فى البحر العريض.

حياة الصالون اللى مليان دخان سجائر وكبايات بيرة على الترابيزات رجعت تانى لكن ماكانش فيه لعب ، قعدنا أول يوم الاستاذ الجريتلى وأنا نبحت فى مشكلة الالوان لكن فى ظروف مش عادية أبداً، أنور فراج والست بتاعته سابونا فى الكيب لأن الست كانت حامل ودكتور المركب قال: دى تكمل الرحلة بالقطر.. دى ماتحتملش الامواج اللى هانفوت فيها.. الامواج اللى كتا هانفوت فيها كانت الأمواج اللى فات فيها بارثولوميو دياز.. ورأس الرجاء الصالح كان زمان اسمه رأس الزوابع وكل المراكب

الى لفت حواليه لفت فى دواماته واستقرت فى بطن المحيط.. لحد
ماجه بارثولوميو دياز وقيد الريح واخضع اللج وفات بسلام وغير
اسم المكان، الريح ماضيعتش وقت وابتدت تصفر والموج الى
عملته ماكانش زى قمم الجبال لكن زى الجبال نفسها وبين
الجبل والجبل اخدود، والأخدود زى الهاوية، والمركب تنحدر فى
الهاوية ونشوف بوزها بزاوية ١٢٠ درجة نغمض عيننا
مانخبط فى القاع، والجبل المتجدد يحط كتفه تحت المركب ويطلع
بيها من قدام نغمض عيننا ونقول المركب شالت فيه من وراء،
وطول الوقت خشب الكباين بيزيق زى سقف بيت خريان، وان
ماغمضناش عيننا نشوف الكراسى والطقاطيق والبائى نفسه
بيدحرجو على ارضية الصالة، أنا بحار كويس عمرى مادخت من
الميه ولا استفرغت ولا حتى فقدت شهية، لكن المرة دى خفت
صحيح.. الميه كانت تطلع لتالت دك وتتحطم عند جزمى وتبل
بنطلونى، اخاف ولا ما اخافش؟ مجرد النظر إلى البحر كان
يخلي الواحد يفكر فى تفاصيل الفرق ولقيت اسلم حاجة أن
الواحد يحتمى فى الصالون ويشغل بكتاب يصرف تفكيره ويعمل
حسابه ان عنيه ماتقعش على الأفق الى بيطلع ويختفى بره
الشبابيك، نص الركاب استفرغوا والمرح بتاع دل مونيكو طار من

الشفافىف الصفرا والاجسام المرضانة اللى كانت مرمية على
الكنب أو مسنودة على الحيطان.

أربعة ايام بالشكل ده فى مركب كهنة ضلوعها ملصمة
بالاسمنت وحمولتها بتاعت بحر مش محيط.

وأنا ما اعرفش اعوم، اللى زى طبعنا كان يطب زى الرطل
يغطس مايطلعش، لكن دى فكرة مش منتجة، يعوم مين يا عم ، ولا
جونى وايسمولر ولا اسحق حلمى يثبتوا خمس دقائق على بعض،
من الأول كنا عارفين انهم هايبقوا بالشكل ده، ومن عنف المحنة
أنا شخصيا ابتديت أشك إذا كان رجانا الصالح فى دربان
كان له محل ولا لا لكن افطع وقت فات على صحيح كان لما يجى
وقت النوم، فى النهار الموت يجى والواحد يشوفه فى صدر الموجة
المالحة ويغالبه ويشريه ويطفحه ويضربه بايديه ورجليه، فى النهار
الواحد يقدر يشوف له طرق والا جاكته فلين والا قارب نجاة والا
حتى لوح خشب يتشعبط فيه زى روينسون كروزو.

لكن بالليل كل ما احط راسى على المخدة اتصور انى نعست
وصحيت مرعوب لقيت المحيط بيتدفق من باب الكابينة زى
الشلال، ساعتها بيقى قضى الأمر، قطيس، أو أتصور انى رحت
فى نومه وتانى يوم الصبح ماصحيتش.. يعنى مت من غير ماخذ

بالى.. فطيس.. أو اتصور نفسى قال فى قاع المحيط راقد مسجى
مافيش حياة والسماك حوالى بيقزقز فى صوابعى ويعض فى
جزمتى ، لا بلاش نوم، أقعد فى السرير أقرأ من غير فهم وانتبه
للسقف اللى بيزيق واسمع رغاء الثبج وهدير العناصر وأبص فى
وش على

الجريتلى ألقى عليه صفاء نورانى مافهوش تعبير زى واحد
ارتفع عن الدنيا ويبص وراه ويبتأمل عمله ف حياته ومش شايف
فيها حاجة تزعل ولا حاجة تفرح ولا حاجة تكسف ، حتى مش
شايف فيها حاجة تستحق الاهتمام ، أهوده لو انتهى دلوقت يبقى
طلع كيت من الحياة ، وطلع كيت مع الحياة ، وأبص للسرير اللى
تحتة ألقى مصطفى عبدالعزيز وشه بينز عرق ف المخدة وقورطه
مكفهرة وخدوده بتتنفض وطول الوقت بيمضغ حاجة زى واحد
ضميره ثقيل وعقله الباطن مشجون أحقاد وآلام ، وتلاقيه كان
بيفكر ساعتها ف رسالة الدكتوراه اللى كان سابها ف ايدين
المتحنيين وركب المركب قبل ما يعرف النتيجة ، الساعة اتنين ،
ألبس الروب وأطلع ع الصالون ما ألاقى جنس مخلوق عرفت أن
أنا الوحيد اللى أعصابه خسرانة ع المركب ، والساعة أربعة تكون
أجفانى بتتاوب وشفافى دبلانه وعقلى منهوك ، أنزل كابينتى

وأقول لحد كده كفاية ، دى بقت حرب ع الحياة مش حرب ع الموت ، اللي يموت ف ستين داهية ، وأصحى مع الغدا..
أربعة أيام بالشكل ده ، ونسينا العبيد بتوع كاب تاون واليفط اللي بتقول « لاوروبيين بس » نسيناها ، ماكانش عندنا غير فكرة واحدة ، زى مابتشوف الريح أحيانا تتجمع على بعضها ف شكل مفروط من الدخان وناس تقول عفريت وناس تقول أعصار كمان المحيط كله لف حوالين نفسه ف نومة واحدة ، أربعة أيام بالشكل ده ، وف الصبح شقنا الطيور . طيور دريان ، وبالليل حلمت حلم جميل .

أوندين ١٩٤٠

حلمت أن المادورا غرقت واني ماشى ف المحيط .. لكن الأهوال
اللى شفتها على وش الميه اختفت ومافيش حوالى غير سكون زى
سكون المرتفعات، وصفاء زى صفاء السماء عند القطبين وموج
مافيش رياح . فيه بس اوقيانوس مالوش حدود من الزرقة الرايقة
اللى بتتمرجع من غير صوت زى ألوان «والت ديزنى» والا السائل
السحري اللى ف بنورة لص بغداد . فانت على سمكة حمرا ف
حجم الرمانة بترمى هالة حمراء منين ماتروح ولعبت قدامى شوية
وقبلت الميه بين ايدى وهزت النور اللى ف ديلها فهمت انى لازم
أمشى وراها . لو كنت ع الأرض كنت افكرتها النجم الهادى اللى
مشى قدامه الرعاه لحد بيت لحم ووقف عند بيت النبى المولود قلت
دى رسول من عند ملك محجوب وأنا على وشك رؤيا .

فضلت ماشى والسمكة تنور طريقى . وع البعد شفت غبش
سد البحر ، البحار يشوفه صخرة من فوق واللى يعرفوا أسرار
الخيال يشوفوه قلعة ليها سبع أبراج وقبة كبيرة . شوية شوية
لقيت نفسى على أعتاب كهف عظيم بابيه ضئيل والسمكة حنت
رأسها وهزت ديلها النورانى وقبلت الميه بين ايدى وانطفت على

طول .. دخلت الكهف لقيت دهليز وف آخر الدهليز صالة كبيرة
مستوفة بالزمرد واللؤلؤ والياقوت المعشقين بذهب مصبوب . شفت
الحيطان مرجان ، والأرض واسعة ومكشوفة ، بلاطة مرمر ،
وبلاطة فاروز ، وف آخر الصالة شفت ملك قاعد على عرشه تاجه
فصوص الماظ وف ايده الصولجان . لابس كسوة لونها حشيش
مفضض وحواليه بنات البحر والفرسان . خفت شوية لكن مشيت
بثبات لحد ما بقى بينى وبينهم حاجة بسيطة وركعت ثلاث مرات
وصرخت بصوت عالى :

- يامولاي ، أنا شفت نور عجيب ومشيت وراه ، ياترى أنا
وصلت والا لسه كثير ؟

الراجل اللى ع العرش رد :

- أهلا وسهلا هنا ماحدث يعرف الشك ولا الغلط ولا الضلال.
فهمت التلميح وعرفت أن دا هو المكان . قلت :

- فين أنا يا مولاي ؟

- أنا ملك البحر ودا قصرى ودول بناتى وأصهارى وأنت

ضيفى إذا حببت ..

ركعت تانى وقلت :

- أنا ف خدمة مولاي ..

ملك البحر ضحك وقعد يلعب فى دقته البيضاء بتأنى ورد :
- ماتوعدش يا ابنى بحاجة بعدين تندم عليها . قبلك برضه
واحد زيك وعد وأقسم لكن نسى الأيمان . اسأل بنتى دى عن بقية
الحكاية ..

بصيت للبنت اللى شاور عليها أتهيالى إنى شفتها قبل كدا ..
قعدت أحقق ف شعرها الأزرق الطويل وعنيها الجميلة المرخية
وبعدين أفكرت كل حاجة ..

أنا : إنتى أندين ، مش كدا ؟

أوندين : أيوه ، إزاي عرفتنى ؟

أنا : شفتك مرة بتتشمسى على رمل الشاطئ جمالك سحرنى
ومن يومها بقيت أمشى ورا ظلك من ساعة ما قابلتى هانز لحد
ماغطستى فى البحيرة تانى . لكن دا كلام قديم قوى ، إزاي أنا
فاكره ؟ إنتى لسه جميلة قوى يا أوندين .

ملك البحر : أنت يظهر تعرف حاجات كبيرة ..

أنا : أنا شفت حاجات كتيرة يامولاي ..

حتى القبة دى متهيالى إنى شفتها قبل كدا .

ملك البحر : فين ؟

أنا : يمكن ف المنام .

ملك البحر : لا ..

أنا : يمكن ف وجود سابق .

ملك البحر : لا ..

أنا : أه أفكرت . ف زانادو : دى لازم قبة السعادة اللى بناها

كويلاخان ف زانادو .

ملك البحر : لا يا إبنى . دى أختها الكبيرة ، كويلاخان نزل

ضيف عندى أدى ألف سنة ، ولما رجع الأرض بنى واحدة زيها ،

أنا حذرتة ..

أنا : من ايه ؟

ملك البحر : قلت له مايينيش قبة السعادة على الأرض .

ماصدقنيش . ضيع نص عمره يلم ف جواهر العالم وضيع النص

التانى يبنى القبة بالجواهر . أنا فاكر تمام . دا كان آخر يوم ف

حياته . حط آخر جوهرة لنفسه وقعد ع العرش وأستريح . القبة

وقعت عليه مات .

أنا : أنت اللى قتلتة . أنت قتلت هانز .

ملك البحر : أنا ما قتلتهموش . أنا حذرتهم .. اللى قتلهم

القانون .

أنا : أى قانون ؟

ملك البحر : القانون .. اللى يكسره يموت ..

أنا : أنا عاوز أعيش . دا كلام قريته ف التوراه . أنا عاوز

أطلع من هنا يامولاي ..

ملك البحر : (يضحك) أنت خايف ؟ مافيش خمس دقائق كنت

بتقول انك ف خدمتى . أنت حظك كويس .دايما أكسر الوعد قبل

ما تفعله . أوعى تكسره بعد ما تعمله القانون واحد وما بيتغيرش .

دايما أفكر هانز وكوبلاخان وكل الناس اللى ماتوا .

أنا : كل اللى كسروا القانون ماتوا ؟

ملك البحر : كل اللى ماتوا كسروا القانون .

أنا : كل الناس بتموت .

ملك البحر : كل الناس بتكسر القانون .

أنا : لكن مولاي لسه عايش .

ملك البحر : يوم ما أكسر القانون أموت .. ومع ذلك أنا با

أموت موت بطيء . حتى الملوك بيكسروا القانون .. والآلهة كمان .

بروميثيوس مثلا ، كسر القانون . تلاقيه لحد دلوقت مربوط ف

صخرة وسط المحيط . أطلس كمان تلاقيه لحد دلوقت محبوس ف

الجيل اللى جنب قرطاجنة . كل الآلهة اللى حبوا يتشبهوا بالبشر

وكل البشر اللى حبوا يتشبهوا بالآلهة ماتوا .

أنا : دا ييقى قانون أعمى .

ملك البحر : ماتكفرش .

أنا : ايه الفايده ؟ فيه حد ماكسرش القانون ؟

ملك البحر : فيه .

أنا : القديسين ؟

ملك البحر : لا . ناس عاדיين زيك والمجانين والناس اللى

مالهوش أرواح واللى بيسموهم ع الأرض الخطاه .

أنا : دول خالين ؟

ملك البحر : لا .. دول برضه ماتوا .

أنا : إزاي ؟

ملك البحر : دول ماكسروش القانون لكن ماتوا . ماتوا لأنهم

ماكسروش القانون .

أنا : مولاي .

ملك البحر : مافيش غير شىء واحد مايكسرش القانون ودا

القانون . واللى مايكسرش القانون يموت لأنه عرف القانون أو

فهمه أو أخذ صفة من صفاته .

أنا : يعنى مهما عملنا نموت .

ملك البحر : مهما عملنا .

أنا : مولاي .

ملك البحر : أنا يا أقراف عقلك فكرة رهيبة .

أنا : أيوه فكرة رهيبة ، هانز ماكانش غلطان .. كويلاخان ما

كانش غلطان ، أنا عاوز أكسر القانون .

ملك البحر : تحب تبني قبة السعادة ع الأرض ؟

أنا : لا عاوز أعرف القانون .

ملك البحر : أنت مجنون . أنت عارف بتقول ايه .

أنا : عاوز أعرف القانون ..

ملك البحر : أنا باحذرك ..

أنا : عاوز أعرف القانون ..

ملك البحر : يا شعاع .

« طلبها ثلاث مرات » .

أنا : مولاي ..

ملك البحر : أتحد مع الشعاع .

الشعاع نقذ في ، نقذ في الشعاع اللي سقط من سقف القبة

والمعجزة حصلت بصيت لقيت نفسي جسم نوراني أو نور في

هيئتي البشرية بس ليه أجنحة والأجنحة رياشتها من النور الأزرق

وف الحلقة معاية الملايكة سابحين أى عصافير بيسح على محيط
الحلقة والحلقة ليها مركز وف المركز شفت القانون .

شفت القانون . شفت القانون متغطى بأوراق الورد . رفعت
أوراق الورد وعرفت القانون . لقيت القانون كلمة ، كلمة نايمة تحت
أوراق الورد . القانون قال :

– أنا الكلمة اللى مش ف أى لغة . أنا الكلمة اللى مش ف
القاموس . تقدر تشوقنى لكن ماتقدرش تفهمنى . أنت مشيت نص
السكة بس .

قلت :

– أنا هلكت .

القانون : تقدر تخرج من الحلقة الأبدية وتقدر تستنى ف
مكانك وتقدر تنام زى تحت أوراق الورد .

أنا : وإذا طلعت من حلقة الأبدية يحصل لى ايه ؟

القانون : تعيش وتموت . يرجع لجسمك الطين ، تاخذ جناحك
معاك . تعيش غريب ف وسط أهلك والعالم كله يضيع عليك . تتوق
للنور وتحوم حوالين النجوم زى الفراشة ما تطير حوالين اللهب
والناس تتفرج على جناحك وتتعجب . العاقلين يعرفوا الحقيقة
ويقولوا هللا ، واللى مش عاقلين عليك مجنون . اللى تشتهييه ما

تنلوش واللى ماتقدرش تنوله تشتهييه .. جسمك يعذبك وجناحك
يعذبك ، لكن بعد ماتموت الطين يرجع تراب والجناح يرفرف على
وش البسيطة .

أنا : أبقي شاعر .

القانون : ومن وقت لوقت تحكى للناس عن حلقة الأبدية وأوراق
الورد اللى شفتها من بعيد . برضه ناس تسمع لك وناس تقول
مجنون .

أنا : وأقر أرجع تانى ؟

القانون : بعد ماتحكى للناس «كل» اللى شفته ف حلقة الأبدية
، وأنت ع الأرض أن طفيت جناحك ف مية الذهب تهلك .. تنسى
كل اللى شفته ، وجسمك يرتاح ، لكن يوم ماتموت طينك يبقى
تراب ، لكن الجناح ، أه .. انطفأ ف مية الذهب .

أنا : وأن ماسبتش حلقة الأبدية ؟

القانون : ايه يحصل ؟ تبقى زى الملايكة اللى انت شايفهم
بيضربوا النور الأبيض بأجنحتهم الزرقا . دول كانوا ناس زيك ،
دخلوا الدائرة من باب الفضول زيك . خافوا يناموا معاه تحت
أوراق الورد وخافوا يرجعوا الأرض تانى . أن أستتيت مكانك ف
حلقة الأبدية تقعد فيها للأبد . أمال هيه اسمها حلقة الأبدية ليه ؟

جسمك النوراني يستنى نورانى وجناحك الأزرق يهيم جوه المحيط
ومن وقت لوقت تزهرق وتتجى تسند رأسك على أوراق الورد من بره
ويمكن كمان ترفعها وتتأمل ف الكلمة لكن تخاف وتغطيني تانى
بأوراق الورد . إلى الأبد ترفرف حوالين الكلمة وإلى الأبد ترفرف
داخل المحيط . كل الملائكة بيسبحوا بالكلمة الى تحت أوراق الورد
لكن مايفهموهاش .

أنا : يعنى أبقى ملاك ؟

القانون : ومن وقت لوقت نبعثك الأرض برسالة .. نبعثك تهمس
ف وذن شاعر أو تضرب بسيف النار جيوش الظلام .

أنا : وأن أندمجت ف الكلمة ؟

القانون : أقفل علينا أوراق الورد تعرف أنا ايه .

أنا : أنا خايف ..

القانون : خايف من ايه ؟

أنا : خايف أدخل ما أطلعش .

القانون : تقدر تخرج ، لكن إذا خرجت تبقى شيطان .

أنا : يا الله ..

القانون : تبقى شيطان لأنك فهمت سرى ومشيت . كل

الشياطين كانوا ملايكة أندمجوا فى وبعدين فاتونى . عشان كذا

أنا ربطتهم بالسلاسل جنب بحيرة النار والكبريت .

: أنا إذن سر الكلمة مع الشيطان .

القانون : أيوه . لكن ما فيش حد منهم باح بيه غير أبلّيس .
عشان كدا أنا عملته رئيس الشياطين مرة كسر السلسلة
وهرب وباح بالسر لأدم وأنت عارف ايه حصل لأدم . مرة ثانية
حب ييوح بيه لفاوست لكن فاوست مات قبل ما يحطم الأكوان اللى
أنا بنيتها .. عشان كدا أنا ف حرب دائمة مع أبلّيس ، وأن غفلت
عنه دقيقة على جبل الزيتون يجمع الرياح الأربعة ويقرا عليها
الكلمة والسر يبقى زى نور النهار . عشان كدا أنا با أبعث ملايكة
تنام ف قلوب العباد وملايكة تحرس أحلامهم وقت النعاس وملايكة
تنظم الفوضى بتاعت الوجود . تعالى أتحد مع الكلمة . كل واحد
يندمج ف الكلمة يدينى قوة .

أنا : أنا خايف .

القانون : خايف من ايه ؟

أنا : خايف أضيع ف الكلمة ، وأن حببت أمشى أصير إلى
شيطان . إزاي أتحد مع قانون ما أعرفوش ؟

القانون : أنا سمعت كتير عن خوف البشر .

أنا : أنا باسميه حذر .

القانون : أنا أسميه خوف .

أنا : ماتفتكرش إني ها أنسى نفسي وأثور لكرامتي ، لو كان
دا ف طبعى كان زمانى بقيت سياسى ولا قديس . أنا راجل
عادى..

القانون : أرخى علينا أوراق الورد .

أنا : قول لى ع الكلمة وإن رضيت بيها دخلت عندك .

القانون : تعال وأنا أعملك حاكم على السبع أكوان .

أنا مفيستوفوليس .

القانون : تعالى أعملك حاكم على حلقة الأبدية .

أنا : فاوست ..

القانون : تعال . تعال . تعال .

أنا : لا . لا . لا .

سبت أوراق الورد وطرت ف الحلقة المقفولة وأنا ف شك مريع

.. هو الطين اللى عمل كدا . لو كنت من أصلى مخلوق نورانى

ماكنتش شكيت . قلت «ياملك البحر» قال لى : «أبيك» قلت له :

«عاوز أنزل الأرض» ، قال لى : «بأسرع من خاطر ف عقل

الراجل المحموم» . بصيت لقيت نفسى تحت البحر تانى وفوقى قبة

السعادة ، وحوالى بنات البحر والفرسان وقدامى ملك البحر قاعد

على عرشه والجوهره ف تاجه زى عين الثعبان . حسست على

جسمى نقيت البدلة زى ما كانت خشنة على جسمى وف أكتافى
جناحين بلون الموج الغميق .

ملك البحر : فهمت القانون ؟
أنا : لا شفت الكلمة .

ملك البحر : أنت نادم ؟

أنا : لا يامولاي ، أنا من زمان بافتش عن أجنحة وعن ملاك
يفنى ف ودنى من وقت لوقت ، وخلص لقتهم .

ملك البحر : وعن بقية قبة السعادة ؟
أنا : وعن أوندين .

ملك البحر : اللى تشتيه ماتنولوش واللى ماتقدرش تنوله
تشتيه .

أنا : الكلمة .

ملك البحر : ماتقدرش تبني قبة السعادة ع الأرض . أفكر
كوبلاخان .

أنا : أفكرت .

ملك البحر : أوندين نسيت البشر ، أفكر هانز .

أنا : افكرت ..

ملك البحر ..

أنا : أنا ماجيتش هنا من نفسى . مولاي بعث لى رسوله ،
السمة الحبرا اللى عاملة زى رمانة النور هى اللى جابتنى ، كنت
عاوز منى ايه يا مولاي ؟

ملك البحر : أبدا . احنا بس ناس كرما . لما عرفت أن مركب
غرقت ، قلت لازم عندنا ضيوف جداد ، والضيوف محتاجين
للمساعدة .

أنا : متشكر يا مولاي ..

ملك البحر : إن كنت عاوز تعيش ف مملكتى زيك زى بقية
الفرسان دول على الرحب والسعة .

أنا : لا ، متشكر ، أنا أفضل أرجع الأرض .

ملك البحر : عاوز حاجة تاخدها من هنا قبل ما تسافر ؟
جواهر ؟ تذكارات ؟

أنا : لا يا مولاي ، أنا صحيح رجعت لعقلى ، لكن مش ناوى
أطفى جناحاتى ف مية الذهب ، والتذكارات اللى ف عقلى يغنينى عن
الفين تحفة وتحفة . بس عاوز ثلاث حاجات .

ملك البحر : أطلب على كيفك ، عشان لما هاتوصل الأرض كل
حاجة هاتطلبها مش هاتجى لك .

أنا : أولا أنا عاوز البركة بتاعتك يا مولاي .

ملك البحر : ابراكاد ابرا . ابراكاد ابرا . ابراكاد ابرا .

أنا : آمين .

ملك البحر : ايه تانى .

أنا : كمان ابعت معايا السمكة الهادية تنور طريقى لغاية ما
أطلع من مملكة أوقيانوس .

ملك البحر : وهبتك السمكة الهادية تنور طريقك لغاية ما تطلع
من مملكتى ..

أنا : كمان ادينى اوندين ، الموجة العذراء تعيش معاى ع
الأرض ، تلهمنى وتمسح على فؤادى الشتيت . وكل ما أشوف
شعرها الأزرق المرسل افتر النعمة اللى بين ايدى ، وابنى لها
بيت من الميه العذبة على رمل الساحل عشان ماتشعرش بالغربة .
ملك البحر : الموجة العذراء بقت أرملة من يوم عينها ما وقعت
على هائز .

أنا : فهمت وكل يوم تنزل تتشمس ع الحصى ، وأجيب لها
الموجة المالحة تسرح لها شعرها والموجة العذبة تغسل لها رجليها .

ملك البحر : أنت طلبت ثلاث حاجات وهاتخذهم ، بس عندي
ثلاث شروط . أوندين هاتمشي وراك لحد الخط الأزرق ما يدخل
ف الخط الأبيض وأن التفت لورا قبل ما تخطى حدود مملكتي
اوندين هتتحاش ف شبكة اوقيانوس . قول أنا راضى .

أنا : يا الله .. الآلهة مرة قالت كدا لاورفيوس لما نزل العالم
السفلى يطلب أوريديس . دا امتحان عسير يا مولاي ، لكن ها
احتمل بشجاعة ، أنا راضى .

ملك البحر : إذا اوندين وصلت الأرض هانز هايقيم من
الأموات .. هايعرف أن مراته موجودة على سطح الأرض ..
هايسأل عنها الموجة المالحة والموجة الحلوة .. هايسأل أمواج
السما ، وهايسأل الصدى عن مقرها ، لكن بأمرى أنا ماحدث
هايقول له . هايحرب المعصورة وهاينادي ف أركانها الأربعة .
هايفتش القصور والأكواخ ويرفع الأحجار ويكشف عن عيون الميه
.. هاينادي ف كل وادي . إذا سمعته اوندين أو شافته هاتفتكر
كل اللي كان كان ، هيه لسه بتحبه لكن تحت ستارة النسيان . إذا
اوندين شافت هانز هايرجع لها الحب العظيم وهاتسيبك وحيد
وشتيت . قول أنا راضى .

أنا : يا الله . أنا راضى .

ملك البحر : لو راحت معاك أوندين هايسيبك الملاك اللى
بيهمس ف ودنك ويلهمك هايغير منها ويسيبك . مش أنا اللى أمرت
بكدا لكن أنا بأقول لك ع اللى هايحصل لازم تختار بين العام
أوندين والهأم الملاك . أوندين هاتهمس ف ودنك كل آيات الحب
والملاك هايهمس ف ودنك هلولوا اللى سمعتها ف حلقة الأبدية ..
لكن جناحك هايبقالك وهاتقدر تعمل الأناشيد . قول أنا راضى .

أنا : أنا راضى .

ملك البحر : على خيرة الله ، على بركة الله . ف حفظ الله .
وخرجت من قبة السعادة قدامى السمكة الحمراء اللى زى
الرمانة تنور طريقى وورايا أوندين همس الملاك انقطع عرفت أنه
سابنى وطار . ثلاث أيام بلياليها والسمكة تنور قدام عيني وعيني
تعبت من التحديق . ولما السمكة انطفت عرفت أن الرحلة انتهت
وإنى على ساحل الحياة . صوت من ضميرى قال لى « أنت ف
ملك أوقيانوس » مشيت شوية لوحدى بارتجف لحد ماشفت الأفق
الأزرق اختفى تحتى والأفق الأبيض ظهر واكتمل قلت يا قدرة
الرحمن ، بصيت وراى لقيت أوندين بتستريح على ساحل الأرض
ويتنفض المية المالحة من شعرها الأزرق الطويل ، ومن الفرح

صليت وباركت ملك البحر والموجة العذرا وسائر الأحياء ، بصيت
قدامى لقيت هانز قاعد ع الشط وف ايده شبكة بيصطاد . قلبى
ارتجف والدم هرب من وشى . تمتمت :
– المقدور .

همس ف ودنى الملاك :
– ماتحزنش . أنا أغنى لك زى اوندين .
رجع لقلبى السلام وقلت :
– الوداع يا اوندين .

اوندين ثبتت مكانها مسحورة ، وعينها المفتوحة فهمت كل
حاجة . الملاك قال لى : يللا نضرب فى الرحاب وابتدا يغنى لى ع
النأى . ومشينا ع الأرض السهلة لحد ما اختفى الشاطئ ، وسبنا
اوندين بتفتكر وسبنا هانز بيصفى الشبكة بتاعته من الأصداف ..
الراحة شاعت ف كيانى وقلت للملاكى :
« احكى لى عن الغرام اللى ماكانش وغنى لى سيرة سيرانو
دى برجيراك » .

كوراس العبيد

لما نزلنا دريان شركة كوك الى كانت متعهدة بترحيلنا لمصر من أول السكة لآخرها قدام الحكومة المصرية وزعتنا بين اللوكاندات . ناس راحوا المارين هوتيل وناس راحوا الامبريس وناس راحوا الكمبرلاند وأنا قرعتى وقعت ف البتروويرث . البتروويرث كانت أوحشهم كلهم . كانت ف وسط البلد ومافيش مناظر حواليتها واللى ساكنين تحت مافيش مانع يسمعو التاكسيهات بتزن ف الشارع والعربات الكارو بتكركب . كان فيه كمان مزلقان وخط أوتوييس . المارين افترك كانت أحسنهم مع إن اللوكاندات الباقية كلها كانت بتدى ع البحر . البرويرث دى الى كانت أوحشهم كانت بتاخذ مننا بين و ١٥ شلن وجنيه ف اليوم الواحد - أنا مش فاكر كويس - نظير النوم والأكل والحمام وشاى خفيف الساعة خمسة وكانت أحسن من المتروبوليتان ف مصر بمراحل . حسن عزيز حسن كان معانا ف البتروويرث وماعجبوش الحال قام طلب يروح المارين قالوا له نص كروان زيادة ف اليوم ، لكن مالحقش يعزل لأن الطائرة عزلته خالص بعد ثلاث أيام . بقية اللوكاندات كان سعرها واحد ..

دربان أجمل من مصر . دربان أجمل من اسكندرية . مافيش
شك ف كدا مصر واسكندرية بالتاكيد فيهم حقت أحسن من أى
حاجة تقدر تشوفها ف دربان ، لكن أنا ياخذ بالمتوسط . أنا
باضرب بولاق ومصر عتيقة وياي الشعيرة وتحت الربع ف الزمالك
وجاردن سيتى وفؤاد الأول ومصر الجديدة وآخذ المتوسط . دربان
مافهاش حاجة جمالها زى جمال المعادى .. ولا لندن ولا باريس ..
لندن وباريس فيهم أحياء أجمل من المعادى لكن جمالهم مش زى
جمال المعادى .. لكن كمان مافيهاش حاجة زى بولاق . حتى
البيوت الفقرا من بره نضيفه وداخله التنظيم وبسيطة ف تركيبها
وشكلها العمومى عامل زى الخوط النموذجية اللى بتصممها وزارة
الأشغال للعمال ومن جوه صحية وفيها سراير ودواليب وكابانيهات
ومافيش مانع بقه أو أو اتنين ماشيين ع الحيطه أنا كان عندى
فرصة أدخل أحسن بيوت وأوسع بيوت ، عشان كدا أنا فتحت
الموضوع دا . إنما بالأجمال ، إذا كنت عاوز تتصور التأثير اللى
سابقته مبانى دربان ف نفسى تقدر تتصور ضاحية زى مصر
الجديدة . الشوارع طبعاً هناك أوسع والطراز مختلف شوية والبلد
أكبر خمسين مرة لكن التأثير واحد ف الحالتين . أول حاجة
تلاحظها ف دربان أنها بلد مبنية جديد على أحسن طراز المدن

بتاعت البحر الأبيض المتوسط فرنساوى على طليانى بس فيه
مسحة أمريكية .. نهايته . ف الأول ماكنش فيه مكان كفاية قام
سكنت أسبوعين أنا والأستاذ على الجريتلى ف أوده واحدة ، وف
الكام يوم دول - طلعت مداهبه . كان يصحى الصبح ما يلاقيش
الشبشب بتاعه وبعد شوية يبص يلاقينى راجع من الحمام
وشبشبه ف رجلى .. الحقيقة هو الشبشب دا بس اللى كان
موضوع النزاع الحقيقى بيننا ، لكن كان كل يوم له مأساة . كمان
لاحظت أن هدومى قربت تخلص ودا كان بسبب غلطة أنا عملتها
وأنا ع المادورا . المادورا لما قرئت على دربان ، كوتشى خدام
الكبينة دخل على وقال :

- صاحب . الرحلة انتهت صاحب . عندي مرة وتمان عيال
صاحب ..

فهمت أنه عاوز بقشيش ، لكن ماعرفتش أجيب له فلوس منين ،
ودى كانت حسبة كبيرة . واحد يخدمك خمسة وأربعين يوم تدى له
ايه ؟ الأصول مش أقل من اتنين جنيه . مافيش اتنين جنيه رحت
فتحت الشنطة وعطيت له بدلة من بدلى وجوز جزمة وطبطبت على
كتفه وقلت له :

- كوتشى . أليس دول . وإن كانوا مش على قدك بعهم يجيبوا
عشرة شلن .. مافيش فلوس كوتشى ..
كوتشى أخذ الهدوم وعليها شوية غيارات تحتانية لكن زعل
طبعاً .. أسياد ايه دول اللي بيشححتوا هدومهم .. كمان عبال ما
وصلت بتروويرث هوتيل وفتحت الشنطة لقيت بدلة تانية ناقصة
والمايوه يظهر إنى نسيتهم ف المادورا كمان لقيت الشبشب مقطوع
رمىته . وبعد يوم جالنا مندوب كوك وقال لنا ندى له كل حاجة
عندنا عشان بيعتها مصر بالمركب لأن الطائرة مش هاتقبل أكثر
من أربعة وأربعين رطل . النتيجة كانت أن كل واحد فينا قعد ببدة
واحدة وغيارين تلاته بس .

لكن كل الحاجات دى مالهاش أهمية كبيرة . أول حاجة
عملناها بعد ما استقرينا ف دربان عملية الاستكشاف المعهودة
ودى تقريبا أخذت لها يومين . عرفنا السينمات ودرسنا خارطة
البلد وعرفنا مين نشترى أمواس الحلاقة واللوازم الخفيفة وازاى
نتفسح ع البحر وازاى نختصر المسافات بتقطيبه ف الحوارى
وازاى نروح بنك باركليز وازاى نروح شركة كوك لكن ما انساش
أقول أن فكرة أسود وأبيض كانت منتشرة ف تفكيرنا كلنا أو على

الأقل ف تفكيرى أنا فى الأيام الأولى . مرة مثلا جيت أخش
سينما اسمها كنجر عشان أشوف «ذهب مع الريح» وكنت خايف
طول الوقت أن البنت اللى بتقطع لى التذكرة تقول لى «أسفة» زى
البارمان بتاع كاب تاون ما قال لى «أسف» ، لكن جت سليمة ،
بعد كدا دخلت سينمات كتيرة وماحصلش حاجة أبدا . الحاجات
دى كانت تخلىنى استغرب خالص .. أنا صحيح مش أسمر قوى
لكن بالتأكيد أنا مش فاتح زى الانجليز والافريكان . صحيح ممكن
واحد يقول على أسباني أو برتغالى أو طليانى لأن فيه ناس من
شعوب البحر الأبيض المتوسط غامقين زى المصريين ، لكن دى
عاويزة شوية خيال أولا ، وثانيا عاويزة واحد يكون اختلط كتير
بأجناس الأرض . ما افكرتش أن البنات اللى بيقدوا ف شبابيك
التذاكر بتوع السينما عندهم خيال أو اختلطوا كتير بأجناس
الأرض . ف الأول قلت ف عقلى يمكن لقونا لابسين نضيف يمكن
أنضيف من الاوروبيين أنفسهم ، قاموا اتحيروا فينا . هم ف العادة
متعودين يشوفوا الأجناس الملونة ف بنطلونات مرقعة وقمصان
مقطعة وأحيانا دايرين حافيين ف الشوارع لأن أغلبهم عمال يمكن
. بعدين قلت ف عقلى يمكن كان باين على منظرنا أننا أغراب ،

سواح مثلا ، أو ناس بيغيروا مركب بمركب يمكن ، كمان قلت ف عقلى لازم بيتكسفوا لما يلاقوا شبان باين عليهم أولاد ناس ومتربين ، على كل حال ماحدث ف المصريين صادف أى تعب بالنسبة للحكاية دى غير مرة واحدة . واحد زميلنا (١) كان ماشى فى الشارع فى منتهى الأمان وبعدين قابله شاب أفريكان كان سكران ومن غير مناسبة ضربه ف صدغه وأسنانه وقعت ،

تانى يوم الصبح كان فيه وفد من المصريين ف ايدهم مذكرة احتجاج وطاقوا على ادارات الجرايد .. المسألة كبرت ودريان كان فيها دلوقت حوالى ميت مصرى من أحسن شبان البلد . الجرايد كلفت الموضوع لأنه إذا انتشر يبقى معنى كذا أن عمدة دريان لازم ييجى لحد عندنا ويعتذر عن اللى حصل لكن ف نفس الوقت حلوا المسألة بشكل تانى . الجرائد الرئيسية ف البلد ناتال مركيورى وناتال ديلى نيوز طلعت تانى يوم وفيها خبر بالبنت التقل معناه أن فيه جماعة مصريين صفتهم كيت وكيت راجعين بلدهم من انجلترا وأن أهل دريان لازم يكرمواهم منين ما يروجوا وبالأخص أن مركز .

(١) الدكتور چاك سميكة أستاذ الاحصاء بكلية العلوم جامعة القاهرة . المنتدب حاليا خبيرا فى الأمم المتحدة ومنظمة الأغذية والزراعة .

مصر الحربية فى منتهى الأهمية للدول المختلفة . العبارة
الاخرانية دلت على نوق مجليط لكن ماحدث من الأهالى اخذ بهاله
من الصيفة لما الخير انتشر ف البلد زى الوباء . بعد الفصل دا
الأمور انتظمت وشفنا عهد من البحية مش هانشوفوا تانى مدى
الحياة.

البلدية بعثت لكل مصرى ف دربان أبونيه مجانى على كل
خطوط المواصلات بكل أنواعها جوه البلد ، من باب اصلاح الموقف
طبعاً . وكان عندى أحسن من ستين اعتذار . أنا شخصياً ما
استعملتش الابونية دا أبدا لكن فهمت المعنى اللى فيه . بعد كام
يوم ابتدينا تفكر تفكير عملى شوية . رحنا كوك عشان نعرف أمتى
هانرجع مصر . قالوا لنا الطيارة بتقوم مرتين ف الاسبوع بس
ومابتاخذش غير اربعتاشر راكب كل مرة . طبعاً المصريين
مايقدروش يحتكروا خط المواصلات الجوى مدة شهر . كوك قال
نص الركاب بالتقريب حا يكونوا مصريين والنص التانى ركاب
عاديين ، قلنا معقول .. كوك كمان قال دفعة المانورا تستنى لحد
الدفعة اللى قبلها ما تسافر وقلنا معقول لكن جا دورنا اكتشفنا
أن فينا خيار وفقوس . ف الظروف العادية ماحدث كان يهتم لكن
ايامها كانت الجرايد كل يوم تطلع علينا بأخبار الحرب .

جراتسيانى دخل السلوم ، جراتسيانى دخل مرسى مطروح .
جراتسيانى دخل سيدى برانى . الفكرة اللى شغلت بالنا كلنا
كانت واحدة ازاي نوصل البلد قبل جراتسيانى ما يدخل مصر .
كوك هز كتفه وقال أنا ما أقدرش أعمل أكثر من كده . عملنا
اجتماع وبحثنا الموقف طبعا على أساس أن مصر تقريبا ف حالة
حرب ووصلنا لخمس قرارات :

١ - الدكاترة المتجوزين ياخدوا أول طائرة .

٢ - المتجوزين اللى مش دكاترة ياخدوا تانى طائرة .

٣ - الدكاترة اللى مش متجوزين ياخدوا ثالث طائرة ..

٤ - اللى هابتطوعوا ف الجيش والمهندسين ياخدوا رابع

طائرة .

٥ - الباقيين يعملوا قرعة بنمر ويسافروا على حسب نمرهم .

عملنا قرعة وطلعت طيارتى آخر طائرة ، ورحنا بلغنا القرارات

دى لكوك وسلمناه النمر ، تانى يوم بصينا لقينا كل النظام اللى

بنيناه اتهد ، اتهد بسبب الاستثناءات منير صبرى أبوه كان رئيس

وزارة ومصطفى زهدى أبوه كان وزير دفاع وحسن عزيز حسن

أبوه كان برنس وعلى صادق وأحمد صادق ماكنوش وزرا ولا

برنسات لكن كان ليهم ناس بيشتغلوا ف مصر جامد ، دول كانوا

أول ناس سافروا زعلنا طبعاً وعملنا اجتماع تانى ف بتروويث هويتل واتفقنا على أن الخل اللى حصل مش لازم نخليه يلخبط النظام اللى وضعناه كان واضح أن فينا دم أزرق وشعب ، وبعد آخر نقطة من الدم الأزرق ماسابت دريان كل حاجة مشيت مضبوطة والشعب عرف ينظم أموره .

أول الجرايد ما كتبت أن فيه مصريين ف دريان ماعرفناش نلاحق ع العزايم منين ولا منين ، ف الأول جم شوية هنود وعزمونا ع الغدا ، وبعدين جم هنود تانيين وعزمونا ع الشاى .. بعدين جم هنود تاليتين وعزمونا ع العشا ، تانى يوم نفس الحكاية ، تالت يوم نفس الحكاية ، رابع يوم ، خامس يوم بالشكل دا كل يوم لحد ما سافرنا الهنود استلموا المصريين اللى جم بعدنا ، أنا شخصياً مش فاكر أنى أكلت ف اللوكاندة بقاى أكثر من خمس أكلات طول شهر سبتمبر طبعاً الدعوات دى ما كنتش كلها زى بعض .. يوم مثلاً الدعوة تيجى من أفراد ، ويوم تيجى من الأورينت كلوب ويوم تيجى من الأقالون ويوم تيجى من الرابطة الإسلامية ، كمان ما كنتش كلها أكل ف أكل كانوا أحياناً يعزمونا على رحلات ف عربياتهم عشان نتفرج على منطقة الزولو وينظموا لنا حفلة رقص مخصوص ويرقصوا فيها السكان الأصليين ، أو يعزمونا على

رحلة ف وادى التلال الآلف ، أو يعزمنونا على شرب ورقص أو
يعزمنونا على أفلام هندية أو يعزمنونا عشان نديهم خطب
ومحاضرات ، يوم مثلا لقيت ثلاث هنود بطرابيش حمر طويلة
مالهاش زر واقفين بره اللوكاندة بتاعتى وبيطلبوا مستر عوض .

- أنا مستر عوض .

- أحنا جايين باسم الرابطة الاسلامية وعايزينك تعمل لنا
محاضرة .

- معلىش أعفونى المرة دى ..

- لا . احنا بنرجوك أنك تعمل محاضرة للهنود ..

- انتو مين اللى قال لكم على ؟ .

- مستر بالى (قصدهم أمر الله بليغ) ..

- اتكلم ف أى موضوع ؟

- اتكلم ف أى موضوع ..

- أصل أنا راجل ثقافتى ف موضوع واحد ، أنا بتاع أدب ،

وما افكرش أن الأدب يهم حد

- احنا متأكدين أن الأدب يهم كل الناس ..

- طب حدبوا انتوا الموضوع ..

- لا أنت اللى تحدد الموضوع ..

- طيب ابونى مهلة أفكر ..

- لا .. مافيش وقت ..

- أقدر أتكلم عن الأدب والمجتمع ؟ ..

- عال قوى ، ما تقدرش تتصور قد ايه احنا ممنونين يامستر

عوض .

طبعا كلامهم كان ألطف من كدا بكتير والمجاملات الهندية ليها

فى قلبى ركن كبير ، اتفقنا ع اليوم ويعد كدا أنا نسيت كل حاجة

عن المسألة ، بعد كام يوم بصيت لقيت أوتمبيل ربط قدام اللوكاندة

- أحنا عاوزين مستر عوض .

- أهلا وسهلا ، اتفضلوا خدوا الشاى ..

- لا .. مافيش وقت ، اتفضل اركب معنا ..

- على فين العزم ..

- على سينما أفالون ..

- ليه ؟ نتفرج على فيلم ؟ ..

- لا .. عشان أنت تتكلم عن الأدب والمجتمع .. انت نسيت ؟

- لا مانسيتش .. هيه النهاردة ؟ ..

لا مانسيتش ، وقعتكو سودا ، طبعا ماكانش عندي فكرة

الجمهور بتاعى جنسه ايه .. مازعلتش قوى لأن أنا بطبيعتى أكره

التحضير والقراءة من ورقة ، ف الأول كنت فاكّر أنى ها أروح أدى
محاضرة عن الأدب والمجتمع لطلبة الجامعة وناس ف مستواهم ،
عينى ضربت ف شبّاك الأوتومبيل لقيت اعلانات ملزوقة ع الحيطان
زى بتوع السينمات وبتوع كرافن ايه وصايون بالموليف بس اسمى
عليهم وأسامى ناس تانيين ، أنا ماكنتش فكرت ف الموضوع قبل
كدا على أنى أتكلم فيه . لكن أعرف عنه حاجات كثيرة ، غمضت
عينى وحصرت أفكارى ورتبت كام نقطة ف عقلى ، ولما فتحت
عينى كان صاحبى الهندى بيفتح باب الاوتومبيل ، دخلت السينما
من باب الممثلين لقيت كراسى مرصوفة على المسرح
وميكروفونات وجمهور راكب على بعضه ف الصالة واللوحات
والبنوارات ، سود على بيض ، بلغت ريقى وقلت ياساىتر استرها ،
أنا ماعنديش حاجة شعبية أقولها للغنم اللى قاعدين دول عن
الصلة بين الأدب والمجتمع .

قعدت ف الوسط دا وعلى يمينى قعد الاستاذ صالح عبد
العزیز اللى دلوقت مدرس ف معهد التربية (١) وعلى يمين صالح
قعد الاستاذ شهدى عطية اللى دلوقت مدرس ف المدارس الثانوية،
ف الجناح الثانى قعد الاستاذ أمر الله بليغ اللى دلوقت من أعيان

(١) حاليا عميد كلية التربية .

الشرقية ، والاستاذ مصطفى عبد العزيز اللى دلوقت مدرس ف كلية العلوم وافتكر قعد مستر كادجى صاحب الدعوة ودا كان بيقلوا مليونير هندى ، وشوية دخل عمدة دربان وخطب خطبة رحب فيها بالمصريين وشكرنا ع المجهود اللى كنا لسه ها نعمله وبعد ما خلص وخطب والناس سقت لقيته سحب شوية أكاليل من الزهور البيضاء زى الاكاليل اللى يلبسوها البنات ف هونولو وراح ملبس كل واحد فينا أكليل وزق عجله، كل واحد كانت له تسقيفه ، فهمنا أن دى طريقتهم ف التحية ، أنا قعدت مبلول طول الوقت وكل ما أشوف الاكليل مدلل على صدرى وأشوف النمل اللى ف الصالة بيص لى أتكسف زيادة ، أنا عملت إيه عشان استحق كل دا ؟ ماعرفتش .. لحد دلوقت مش عارف طبعاً ، أنا كنت مصمم أنى أمشى ف المحاضرة بتاعتى زى ما كنت حاطط تصميمها ، واللى يفهم يفهم واللى مايفهمش عنه ما فهم ، أنا كنت عارف أنى لو عملت أى تغيير ف الطريقة أو تبسيط ف العناصر ها أتلخم وهاتبقى حكاية . فى الآخر مستر كادجى وقف وقدمنى للجمهور بكلام ما استحقوش ، مع أنى ماقابلتوش قبل كدا ولا مرة ، بعد كدا اتكلمت ، شرحت كل النقط اللى كنت مرتبها ف دماغى جوه الاتومبيل ، اتكلمت نص ساعة كائن بأحضر ف انفتياتر بتاع

جامعة وقعدت والناس سقفت كثير ، ومستتر كاجى شكرنى
كمان ، أنا متأكد أن مافيش ميه فهموا الكلام اللى قلته ، لكن زى
بعضه ، بعد كدا قام صالح عبد العزيز واتكلم نص ساعة عن
التعليم ف الهند وبعده شهدى اتكلم عن الشرق والغرب ، والحفلة
انتهت بسلام ..

تانى يوم قابلت ست يهودية صحفية اسمها دورا حاجة
وناقشتنى ف الكلام اللى قلته ، وفهمت منها أنه كان فيه ف
الاجتماع حوالى ألف وميتين شخص منهم ناس ف جامعة ناتال
وصحفيين واشخاص برضه بي فهموا ، اطمئنت شوية ، بعد كدا
جالى ف اللوكاندة شاب زولو اسمه بيتر ثلاث مرات عشان
يتعرف بيه ويكلمنى ف الموضوع ، دا فصل من الفصول اللى
حصلت ..

وبالتدريج بقى واضح أن المصريين ليهم رئيس ، والرئيس دا
كان أمر الله بليغ ، تمام زى أى مجتمع تظهر فيه نواعى النظام
لازم يطلع فيه ناس ياخدوا المسئولية ، بليغ كان أظهر واحد فينا
وبعد يومين كانوا كل هنود البلد يعرفوه ، وبعد أسبوع كان كل
الانجليز كمان يعرفوه ، بليغ كان تقريباً يرد على كل السلامات
والترحيبات اللى فى الحفلات باسم المصريين ، كمان من الناس

الى الجرايد اهتمت بيهم منير صبرى وحسن عزيز حسن ، وأنا
كانت شغلتى أنى أخطب وأعمل محاضرات ، بليغ هو الذى
كريسنى ف الحكاية دى الله يسامحه بقه ، لدرجة أنه فانت على
أيام كنت أضطر أتكلم مرتين وثلاثه ف يوم واحد ، المسألة ف
الأول ابدت بهزار ، كل ما يحتاجوا لواحد يتكلم بليغ يقول عوض
مع أنه كان فيه ناس أحسن منى كثير وأحياناً كان بيعملها من
غير انذار ، يقوم عوض يدش له كلمة فارغة وكلمة مليانة ، ولما
المسألة دخلت ف دور جد بليغ طلع منها زى الشعرة من العجين
وسابنى لا يص ، ويعد هو ماخذ الطيارة قعدت أنا بالقصور الذاتى
أعمل محاضرات حوالى خمستاشر يوم .

مرة مثلاً نادى الروتارى عمل حفلة غدا للمصريين بتوع
اكسفورد وكامبريدج ، وكانوا كل الناس المهمين ف دربان
موجودين ، أنا فاكر تمام يومها أنا فضلت اشرب نبيت أحمر
لطيف مع الغدا اللطيف لجد راسى ما ثقلت صحيح ، وابص ألقى
بليغ بيشيكر أصحاب الدعوة وبيقول :

- دابوقت دكتور عوض ها يكلمكوا عن مصر .

فقت دقيقة وسببت السيجارة تتحرق وقعدت ادش . بليغ نفسه
كان مشعشع من كتر النبيت الى شربه ، والباقيين ، طبعاً بليغ

كان اتفق معاً قبلها انى أتكلم وأنا كنت عارف أنه يبقى عبث لو
أنا شوحت لأعضاء نادى الروتارى حالة الأدب أو الثقافة ف
مصر. عشان كذا أنا اتفقت معاه أنى أتكلم عن حالة مصر
الاقتصادية ، وحتى يومئذ الصبح اخدت أذن من الأستاذ على
الجريتلى أنى اتطفل ع الشغل بتاعه وطلبت منه مساعدة والراجل
خدمنى كتير . أنا مش فاكراً أنا قلت ايه ، لكن فاكراً أنى اتكلمت
عن توزيع الثروة ف مصر وعن مصر الزراعية ومصر الصناعية
وعن موارد مصر المدفونة وحاجات تانية من اللى تلاقيها ف كتاب
كراوتشلى .. لكن أغلب الوقت ف حالة غيبوبة خفيفة من النوع
اللى يخليك تنسى الكلام اللى قلته لكن يدويك تقدر تفتكر الكلام
اللى هاتقوله .

تانى يوم الصبح لقيت نص الخطبة منشور ، ف أول صفحة
من الناتال مركيورى والنااتال ديلى نيوز تحت عنوان «موارد مصر
الصناعية» . حتى جرنال الهند اللى اسمه «النداء» كتب ف
الموضوع ..

لكن اللى بوخ الحكاية مسألة حصلت بعد كذا ، كنت قاعد ف
الصالون بتاع بترويرث هوتيل وبعدين واحد طلبنى ف التليفون .

- أنا بروفيسور باروز ، استاذ علم الاقتصاد السياسى ف
جامعة ناتال . أنا كنت حاضر ف الغدا بتاع نادى الروتارى
وانبسطت قوى من الحديث بتاعك عن مصر . تسمح تدينا
محاضرة ف نفس الموضوع ف صالة البلدية بدعوة من جامعة
ناتال ؟ ..

حط نفسك ف مركزى ساعتها . تقدر تقول لا ؟ لا ليه ؟

- بكل سرور ، بروفيسور باروز . بس تسمح تيجى تتعشى
معاي بكره ف اللوكاندة بتاعتى ؟

- بكل سرور ، دكتور عوض .

بليغ عملها وطار . قال على أنى دكتور ف كل حفلة وف كل
مناسبة ع الطريقة المصرية زى كل واحد ما يقول للتانى يابيه
واللى يخش الجامعة يبقى أستاذ واللى يطلع منها يبقى دكتور .
أهى دخلت ف الرسميات . أعمل أيه أنا دلوقت ؟

قلنا ف نوادى الهنود معلش ، ماحدش عارف حد وقلنا ف
نادى الروتارى مش مهم دول جماعة من الأغنيا ورجال الأعمال
ومش هاتفرق معاهم كتير إذا كنت أنا دكتور ولا ماجستير . قلنا
كمان الجرايد والاعلانات هاتتقرى وهاتترمى وكل واحد هاينسى
التاريخ اليومى بتاعها ومش ها أقدر أقف وسط المحتفلين وأقول يا

اخواننا بليغ يبالغ شوية أو أكتب تصحيح ف الجرايد وأقول ما عنديش دكتوراه ، لكن لما ترسي أنى أندس بين اساتذة جامعة ناتال بلقب علمى ماكانش عندى نبقى دخلنا ف دور الدجل ، لحد الجامعة واربط . ف نفس اليوم بروفيسور باروز ضرب لى تليفون تانى .

- أنا معاى سميث استاذ علم الاقتصاد ف الجامعة ويحب ييجى ع العشا . يقدر ؟
- بالتاكيد أنا لى الشرف .

تانى يوم الصبح بروفيسور باروز ضرب لى تليفون تانى وقال لى أنه فيه ثلاث أساتذة تانيين ف جامعة ناتال يبقوا مبسوطين لو جم ع العشا ، قلت له أنا كمان أبقي سعيد أنهم يتعشوا معاى وعشان أوفر عليه تليفون كمان عطيته ساعتها كارت بلانش أنه يدعى باسمى أى عدد يعجبه من الأساتذة ف جامعة ناتال .. طبعاً أنا استغربت شوية من الطريقة دى ، وفهمت أن الناس ف جنوب افريقيا بيرفعوا التكاليف بسرعة . أنا طبعاً طلعت كسبان ف الحكاية دى لأنى إتعرفت معرفة شخصية بأهم الناس ف البلد . لكن المشكلة عندى أصبحت ازاي أنا وحدى ها أقدر أكلم خمس ست نهار كلام معقول مدة ساعتين . جت لى فكرة .

لطيفة . قلت مادام كل الضيوف من أعضاء هيئة التدريس ف
جامعة مصر عازمة جامعة ناتال . وفعلا ضربت تليفون لبروفسور
المصريين الى هايدرسوا ف جامعة مصر لما يرجعوا ، ويبقى
اسمها جامعة مصر عازمة جامعة ناتال ، وفعلا ضربت تليفون
لبروفسور باروز وقلت له ع الترتيب الجديد . إحنا كنا ستة . وأنا
أغتطبت لنفسي رأس السفارة على اعتبار أنه ضيف الشرف .
انتهزت الفرصة دى وفهمته إنى مش دكتور ، إنما طالب دكتوراه
بس . كمان فهمته إن أنا مش متخصص إنما متطفل ع الاقتصاد
وإنى مش ممكن أتكلم فى صالة الجامعة عن التطور الاقتصادى
ف مصر الحديثة واقترحت عليه بدل ما أنا أتكلم ساعة لوحدى عن
مصر أن الست أساتذة المصريين الموجودين يتكلموا كل واحد
منهم على وجه من وجوه الحياة المصرية اللى هو متخصص فيه ،
قام أنبسط من الفكرة . أنا اخترت نقطة التقدم الثقافى ف مصر
الحديثة والدكتور فطين المدرس ف كلية الطب إختار التقدم الطبى
والدكتور مصطفى عبدالعزيز المدرس ف كلية العلوم إختار التقدم
العلمى والأستاذ عبدالمحسن بكير بتاع الآثار إختار التقدم
الأركيولوجى ف مصر الحديثة والأستاذ قدرى المدرس ف معهد
التربية إختار التقدم التعليمى . بعد كدا الراجل طلب منى لستة

بكل التفاصيل دى والدرجات العلمية بتاعتنا عطيتها له مظلوبة
وكتبت قدام نفسى بكالوريوس ف الأدب . والحفلة نجحت تمام .
بعد كام يوم كنا ف صالة بلدية دربان بنتكلم . قبل مانبتدى
جالى واحد من المصريين كان زميلى ف كامبريدج بيتنفض من
الزعل وببهر ف وشى ورقة كانت معاه ..

- خد ياسيدى اتفرج .. أنت المسئول عن كل دا ..

- إيه الحكاية ؟

بصيت ف الورقة لقيت مطبوع عليها إجراءات الاجتماع ..
ما فهمتش هو زعلان ليه ..

- شوف اسمى مكتوب جنبه ماجستير ف العلوم . أنت نفسك
عارف أنى أخذت دكتوراه كامبريدج . ليه تكتب كدا ؟

- أنا عارف أنك ها تاخد دكتوراه من كامبريدج إن شاء الله
لكن لحد دلوقت أنت أفندى زى زيك .

- أبدا أنت عارف إنى سلمت الرسالة للممتحنين قبل ما
أسافر والأستاذ بتاعى طمنى .

- كل دى حاجات ماتهمش . رسميا أنت ماجستير بس لحد
ما تطلع النتيجة .

- اشمعنى أنت بتقول على نفسك دكتور ف كل مكان .

- أنا عمرى ماقلت على نفسى كدا . دا بليغ هو الى عملها فيه قبل مايمشى وأنا اضطريت أبلعها ومع ذلك دكها كانت ف تهريج حفلات وأحنا دلوقت ف جامعة يا أختينا .

- أنا يا أقول لك أهو . أن ماكنتش تروح لبروفسور باروز وتفهمه إنك كنت غلطان ف الدرجة بتاعتى وتخليه يصلح المسألة وهو بيقدمنى أنا مش ها أتكلم ..

فصل بارد صحيح . قعدت أشتم ف سرى . عقلية أطفال . لكن طبعا كنت خايف إنه يعملها ويبوظ الشغل . قررت إنى أضحك عليه بلعبة صغيرة .

- طيب إذا كنت مصر أنا ها أعمل الى أنت عايزه تحت مسئوليتك . حاضر يا أفندم أدينى رايح ..

مشيت لغاية بروفسور باروز وقعدت أكلمه ف موضوعات كثيرة لكن طبعا ماجبتش سيرة لمسألة صاحبنا . لاحظت إنه بيتتبع كلامنا من بعيد وشففت ف وشه علامات الارتياح . دا بالظبط كان المطلوب أن الأستاذ يرتاح . الأستاذ افكر إنى كلمت بروفسور باروز عن الموضوع قام ارتاح ولما جا دوره وقف ع المنصة وف ايده مذكرته وپروفسور باروز قدمه للجمهور . بروفسور باروز ما قالش إنه دكتور . الأستاذ لپسها طبعا مايقدرش يأجل الحديث

ويشرح للموجودين إزاي إنه هو دكتور ، الأستاذ قال الكلمتين
بتوعه ونزل ، إنما كان باين عليه عايز يفترسنى ..

الإجتماع خلص ، ونجح وبروفسور باروز وصلنى بالعربية
بتأعته لحد اللوكاندة بتأعته . وف السكة اقترح على إقترح
لطيف، أن جامعة ناتال وجامعة مصر يتبادلوا الأساتذة أثناء
الأجازات . لاحظ إنه لما بيكون فيه أجازة الصيف ف نص الكرة
الجنوبى إحنا بيكون عندنا شتاء والجامعة تقدر تستفيد من
الأساتذة الزايرين . أعكس المسألة تلاقىها مضبوطة .. وعدته إنى
أكتب تقرير لمدير الجامعة بتأعته عن الموضوع وودعنا بعض
الساعة كانت حداثر تقريبا ، قمت أتعشيت وقرئت الجرايد ونمت
. الساعة إثنين جالى خدام من اللوكاندة وصحانى .

– تليفون ليك ..

قمت مفزوع ولبست الروب وبصيت ف الساعة لقيتها إثنين
نزلت على كابينة التليفون وأنا مستغرب من الناس اللى بيقلقوا
الناس ف وش الصبح . قلت ..

– هالو .. مين ..

– أنا فلان ..

فلان دا كان الأستاذ الدكتور إياه .

- إزيك يا فلان .. عايز حاجة ؟

- أنا طيارتى هاتقوم الساعة خمسة الصبح .

- طيب مع السلامة . أبقى سلم على مصر . أنت لازم مبسوط

انك هاتسافر ؟

- إيوه مبسوط اللي ها أرتاح من دناحك وسفالتك .

- بتقول إيه .

قفل السكة . تصور واحد يصحيك من النوم الساعة إثنين
عشان يشتبك . نهايته ربنا يسامحه . لا . ربنا يكون ف عونته لأنه
أول ما وصل مصر استلم تلغراف من انجلترا بيقول له إنه سقط
ف الدكتوراه ..

أنا بأحكي الحاجات دى من غير ترتيب زى ما بتيجى ف عقلى
الإنجليز اللي ف دريان أكرمونا اكرام شديد وكانوا طول الوقت
سهرانين على راحتنا .. مرة عملوا لنا حفلة كوكتيل لطيفة حضرها
كل الناس المهمين ف البلد . ومرة أخذونا رحلة بره البلد نتفرج
على مصانع السكر بتاعتهم . كان كل يوم تقريبا فيه فسحة بس
اللى كان عنده وقت يروح . إحنا طبعا فاضيين للسهرات والحفلات
والأعمال الاجتماعية دى لكن واجب علينا نوزع نفسنا توزيع عادل
على أصحاب الدعوات . كان لازم نروح للهنود مثلا . وكان كتير

يحصل إنه الدعوات تتعارض ف الوقت لكن أنا مهما وصفت ف
كرم الهنود ما أقدرش أديهم حقهم .. حفلات الهنود كانت تمتاز
إنها كثير ومليانة خيرات ومافيهاش نظام وخطبها كتيره .. قد إيه
الهنود يحبوا الكلام .. الشاى كان بيتدى الساعة أربعة وضرورى
يخلص بعد سبعة .. كمان كان فيها نوع من الجليطة .. نوية
عزمونا ف نادى بتاعهم اسمه أورينت كلوب . دا كان أول ما
وصلنا وكان ماحدث لسه لحق يسافر . اللفتنان منير صبرى
كان لسه موجود والبلد كلها كانت عارفة إنه ابن رئيس وزارة
مصر وحسن أفندى عزيز كنا دايما بنسميه برنس حسن والبلد
كلها كانت عارفة إنه من الأسرة المالكة . بعد ما أخذنا الشاى ،
رئيس النادى قام يعمل الواجب ، لكن المسكين انتقل من تليخ
لتليخ .. قال :

– إحنا النهارده حصل لنا شرف كبير لأن ضيوفنا المصريين
إتأزلوا وقبلوا دعوتنا . ودا يوم خالد ف تاريخ النادى بالأخص
لأن بين المدعوين فيه إثنين من أعظم المصريين . اللى قاعد هناك
دا مستر منير صبرى ابن رئيس وزارة مصر ويأذن الله هو نفسه
هايبقى رئيس وزارة مصر ف المستقبل القريب واللى قاعد هناك

دا بيقى برنس حسن ابن عم جلالة ملك مصر ويأذن الله هو نفسه
هايبقى ملك مصر .

الهنود سقفوا والمصريين إتكسفوا وحسن وشه أحمر .. جليطة
، واضح أن رئيس النادي كان عايز يجامل وماكانش فاهم هو
بيقول إيه .. صبرى معلش . حتى نتمنى له إنه بيقى صدر أعظم
إذا كانت الأمانى تفيد . لكن عرش مصر حاجة مش خاضعة
للأمانى .. الخطيب استمر .

- دى مش أول مرة النادي يستقبل ضيوف مهمين من مصر
ليدى كرومر لما زارت جنوب أفريقيا شرفت النادي بتاعنا وسجلت
اسمها ف الدفتر .

الهنود سقفوا والمصريين إنكسفوا وبعضهم ابتدا يشوشر ..
لكن إحنا مانسيناش إننا ضيوف والشاى إنتهى بسلام . كل مرة
بعد كدا المصريين بقم يروحوا للهنود سكرانين ، ويخطبوا فيهم
وهم سكرانين . نوبة الهنود عزمونا ف مكتبة غاندى .. وكانوا
عاملين اجتماع حضره حوالى ألف نفس فكرتى بالاجتماعات
السياسية اللى بيعملوها ف مصر أيام الانتخابات والمصريين
أتكلموا فيه .. بليغ كان طبعا أول واحد اتكلم باسم المصريين قعد

يلعب ف شنبه طول الوقت وبعد ما قال سيداتي وسادتي ابتدا
الخطبة بتاعته بكلام من هامات .

سمع الحنة كلها زى درس محفوظات بس بقى يقفل عنيه
أحيانا من باب التمثيل ويوطى صوته ويروح معليه على غفلة زى ما
بيعملوا الممثلين المصريين ويشد ف شنبه ، والهنود مبخلقين فيه
وساكتين كأن على رءوسهم الطير .. أنا متأكد أن خمسة وتسعين
ف المية من الهنود اللي كانوا ف الاجتماع كانوا أميين ودا اللي
ستر الموقف ما حدش فاهم حاجة ، والهجص بتاع بليغ اتفهم إنه
علم غزير حتى المتعلمين فيهم افتكرواه بيتكلم بالرموز .. بليغ قعد
وصبرى قام ، صبرى صاحب الطبع النارى العسكرى اللي كان
يشرب الدراميون فى المايورا ويوقف المراوح بايده ويخبط ع
الترابيزات ، قام وخطب . وخطب ف السياسة ودخل ف مشكلة
الألوان وشتم حكومة جنوب أفريقيا . وشتم الهنود وقال عليهم
جبننا ونسوان .. وكان القرار اللي دايم يرجع له كل كام جملة .
عودوا إلى الهند . لازم تكسروا الإغلال عودوا إلى الهند . لازم
تجطوا الرجل الأبيض فى مكانه .. عودوا إلى الهند لازم تشبثوا
حريتكم ولو بالدماء . الشعب هاج وجصل فوران . والتسقيف

العالي كهرب الجو زيادة .. كان واضح إن أغلب الناس كانوا مبسوطين من الكلام بتاعه .. لكن المليونيرات الهنود كانوا منظمين الاجتماع كانوا بيرتتشوا .. كانوا خايفين على نفسهم . كانوا عارفين أن كل اجتماع يعملوه الهنود أو الزولو لازم يبقى له جواسيس من الحكومة . ناس منهم قاطعوه صبرى . قال «أخرس» استمر ف كلامه . مستر كادجى رئيس الاجتماع حب يصلح الموقف قام انتهز فرصة سكون ووقف على رجليه وقال ..

- مستر صبرى قصده يقول :

صبرى بسرعة زقه ف الكرسي بتاعه وقال له :

- أنت تقعد أنا أعرف انجليزى زيك ..

واستمر ف الخطبة بتامته .. دا كان اجتماع مايتنسيش ..

ليلتها صبرى ارتفع ف نظرى كتير الاجتماع كمان كان

مايتنسيش لأنه حصل ف مكتبة غاندى .. غاندى برضه لما كان

صغير ورجع من أكسفورد جديد اشتغل محامى ف ناتال وابتدا

جهاده السياسى ف دربان بالدفاع عن قضية السود ..

صحيح. غاندى وصبرى ما قالوش نفس الكلام لكن الغرض

كان واحد . صحيح صبرى ف الفجر أخذ الطيارة وأول ما وصل

ممباسا بعت تلفراف لبليغ يطلب منه تخفيف الخطبة قبل ما تنزل
ف الجرايد . لكن اللي قاله كان كفاية .. اللي قاله فهم الهنود أن
فيه ناس بيشعروا بالأمهم ..

دريان بلد غنية ومليانة يهود .. اليهود بتوعها مسيطرين على
عدد كبير من الأعمال العامة ممولين طبعا زى العادة .. لكن
مافيش مشكلة يهود بالرغم من كذا .. اتحاد جنوب أفريقيا كله
مليون ونص . فيهم حوالي مليون انجليزى ومليون أفريكان ومليون
هندي والباقي زولو .. أغلب الزولو طبعا بيشغلوا عمال ف المناجم
.. وف المدن تلاقيهم شيالين وعتالين وحاجات زى كذا .. تلاقيهم
لابسين بدل مقطعة وبرانيط وماشين حافيين ف الشوارع وبعضهم
تلاقيه لابس الخلقات الوطنية ولابس ريش طويل حوالين رأسه
وييجر عربية حنطور صغيرة - بعجلتين اسمها الركشو .. دول
حالتهم تبكى بالنسبة للهنود .. على الأقل الهنود مستوردين شوية
وفيهم التجار وفيهم العمال الزراعيين وف وسط الفقر الشنيع دا
تلاقى الأوروبيين منغنفين .. تلاقى كل كام أوروبى عندهم أو تمبيل
.. الهنود كمان عندهم أتوم نبيلات كتيرة والناس الموكوسين
صحيح هم الزولو ..

دا بس سكتش لبعض الحاجات اللى حصلت لنا ف دريان أو
ع الأصح دى بعض الذكريات العامة بتاعتنا . ولو تسأل أى واحد
من المصريين اللى فاتوا ف جنوب أفريقيا يحكى لك أضعاف
الحكايات دى .. كل واحد فينا رجع ومعاها كتاب من الذكريات
اللطيفة اللى مش مكتوبة .. لكن أيام دريان ماكانتش كلها مزحومة
بالشكل دا .. دريان كمان عطيتنا أيام وليالى من الدعة والراحة
أنا شخصيا كنت موفق قوى ف ظروفى وأسباب السعادة كانت
يتيجى لى من تحت الأرض .. مرة كنت قاعد ف الصالون بتاع
البترويرث هوتيل .. وجا تليفون للأستاذ فؤاد جلال المدرس دلوقت
ف معهد التربية .. جلال ماكانش موجود رحت أنا أخذ الرسالة .

– هالوا .. مين اللى بيتكلم ؟

– أنا اسمى الدكتورة جونا م عاوزه أكلم مستر جلال .

– مستر جلال مش هنا أقدر أخذ له الرسالة ؟

– أصل مستر جلال خطب النهارده ف النادى الهندى وأنا

حييت أعزمه ع الشاي ..

– حاضر ها أبلغه الكلام دا .. أمتى وفين ؟

– أنت مين بيتكلم ؟ ..

- أنا لويس عوض ، واحد من المصريين .
- تقدر تيجى معاه ع الشاى ؟
- متشكر قوى أقدر آجى .
- كما جيب معاك ثلاثة أربعة من أصحابك .. أنا أحب أتعرف
بالمصريين ..

- أنا ما أقدرش أوعد إنما ها أتصل بيهم ..
- وأنا ها أفوت أخدمكو من اللوكاندة بكره الساعة خمسة .
ساعتها ماكنتش عارف إنى ها أقابل واحدة ست من أحسن
الستات اللى قابلتهم ف حياتى ..

قلت لجلال .. جلال كان مشغول بعزومة . عرضت الدعوة على
كام واحد مالقيتش غير مصطفى عبدالعزيز وعبدالمحسن بكير ..
تانى يوم العصر كنا إحنا الثلاثة ف عربية دكتورة جونا م وهيه
بتفلسحنا ف البلد .. أخذتنا بيتنها اللى على مرتفع بره البلد
وعرفتنا بأمها وبقية عيلتها .. أخذنا الشاى وسمعنا شوية مزيجة
ويعدين أخذتنا العيادة وعطت كل واحد فينا كام جن ولايم ..
ويعدين ساقنا بينا .. على حطة خلوية ع الساحل وركنت .. كان
فيه أتومبيلات تانية راكنة وناس جوه الأتومبيلات ييشموا الهوا
زينا ويستمعوا هدير المحيط .. أول يوم ماشفتش ف دكتورة جونا م

أى حاجة مش عادية لكن انتهزت الفرصة وعزمتها ع العشا تانى
يوم من باب رد الجميل .. طبعا ماكانش ممكن إنها تتعشى معاى
ف اللوكاندة لأنها هندية قام أخذتها ف رستوران هندى أو على
الأصح هى اللى أخذتنى .. ع العشا قعدنا نتكلم ف السياسة
والإجتماع وأمور الدنيا . ابتديت أحس إنى مع شخص ناضج .
شخص يمكن يفهم كل حاجة .. عرفت منها إنها عاشت سبع
سنين ف أدنبرة بتدرس طب وإنها كانت تعرف بعض المصريين
هناك وأن عمرها ثلاثين سنة .. ماكانش فيه ف دريان غيرها ..
فهمت منها إنها بتعبد حاجة اسمها مصر .. حسيت من نبراتنا
أنها ف منتهى التعاسة ولما أتصاحبنا أكثر قالت لى إن مصدر
عذابها . المقيم هو الحواجز اللى البيض عاملينها بينهم وبين
السود .. بعد سبع سنين من الحرية والمساواة ف اسكوتلانده
رجعت تتبهدل ف بلدها .. دكتورة جوناى باينه ع البعد دلوقت زى
روح متأللة حايمة حوالين المكان .. وأنا هناك كانت باينه لى أنها
أذكى شخص ف دريان كلها وان ثقافتها أوسع من ثقافة أى
إنسان تانى ف البلد كل الهنود كانوا يشتكوا من المعاملة الزفت
بتاع البيض . لكن دكتورة جوناى عمرها ما اشتكت دكتورة جوناى

كانت تشتم وتلعن من غير ماتخاف .. ودا اللي عجبنى فيها ..
كانت تشتم الحكومة وتشتم الانجليز وتشتم الافريكان وتشتم
الهنود . كانت تتكلم ف أى حاجة وتدور وترجع للسياسة . طبعاً
كل الناس كانت تعرفها ف دريان . الهنود والزولو والانجليز لكن
ماحدث من الكبار كان يحبها .. شفت المليونيرات بتوع دريان
كلهم بيتملقوهم لكن الابتسامة الصفراء ما تخفاش على حد .
الهنود كانوا يكرهوها عشان صراحتها والانجليز كانوا يكرهوها
عشان أفكارها .. ما فيش غير أنا اللي حاولت أفهمها .. لولا
دكتورة جونام كنت قعدت شهر ف دريان أتصفح وشوش آلاف
العباد من غيرا ما قرا السراير .. هيه اللي حكّت لى حكاية السود
والبيض على حقيقتهم ..

- تعرف فلان دا ؟ دا بيتاجر ف مليون جنيه وعامل زعيم
الهنود هنا .. تعرف دا عمل فلوسه ازاي ؟ كان ف الحرب اللي
فاتت بيورد انفار سود للحكومة . وياخد عن كل نفر ثلاثة جنيه
يحط اتنين ف جيبه ويدي النفر جنيه ..

عشان اكرمنى كثير . عشان كدا ما أقدرش أقول على اسمه
فلان دا كان يمسك سماعة التليفون ويطلب دكتورة جونام ويقرا

عليها رباعيات من عمر الخيام وكل ما أخذها ف بيته يوطى على
أيدها يبوسها .. واحد يعمل كذا يدك فكرة انه بنى آدم عنده
شعور وعواطف لكن الأعمال اللي بيعملها ف حياته الخاصة
والعامة كانت توقف الشعر .. أنا طبعا ماشفتش حاجة بنفسى ..
لكن دكتورة جوناث قالت لى على كل حاجة .. مرة بس كان عازم
ست سبع مصريين على حفلة ساهرة شفت كل الناس بتشرب
بصراحة وشفته بيشرب الويسكى سك ف فنجان شاي يومها
شرب عشرين فنجان شاي والعرق كان بينقط من خدوده لكن
ماضاعش اتزانة لحظة واحدة بلا وعى .. من يومها عرفت انه
شخص اتقن فن النفاق .. فلان كان مسلم وبيلبس طربوش طويل
من غير زى كل الهنود المسلمين بتتوع جنوب افريقيا . ولما
سأله عن فناجين الشاي اللي بيشربها وطى على ودنى وقال : اذا
بليتم فاستتروا .

لكن دى كلها مسائل شخصية ماتهمش حد .. فلان حياته
العامة كانت انجس من حياته الخاصة .. جزم الانجليز كان
يمسحها لكن بتمن عالى الجزمة بألف جنيه .. يقولوا له الجيش
عاوز هنود .. يقول بكام .. يتفقوا ع التمن وتانى يوم صاحبنا

ينظم حملة سياسية عشان البهايم يتطوعوا .. اجتماعات ف كل
بلد . وف الاجتماعات اعلام وع الاعلام نداءات . انصروا
الديمقراطية .. أنقذوا الحرية .. والسياسة تتخلط ف المسألة والى
يحقق ف الاعلام يلاقيها شيكات قدام الهنود يسميها سياسة عليا
وقدام الانجليز يسميها خدمات اجتماعية لكن عند دكتورة جونا
وعندى وعند مدير البنك بتاعه كلنا عارفين انها تمن الخيانة ..
تمن يهودا ..

هنود جنوب افريقيا ليهم زعماء كتار بالشكل دا وكلهم من
أصحاب الملايين وهم الزعماء دول اللى كانوا بيعزموا المصريين
ويكرمهم والمصريين ما يعرفوش حاجة عن الموضوع. واحد منهم
كان مستر كادجى واحد تانى كان اخوه .. كمان كان فيه مستر
رستم جى .. الباقيين مش فاكرا اساميهم .. طبعا ماكانوش كلهم
بيشربوا الويسكى ف فناجين الشاي .. لكنهم كلهم مسئولين عن
انحطاط الشعب الهندى ف جنوب افريقيا .. كانوا كلهم يقدروا
يعملوا حاجة لكن ما عملوش .. أما ما أقدرش الوم البيض بس ..
الدكتورة جونا حطت البويك بتاعتها تحت تصرفى لحد ما
ركبت الطائرة . كانت ف النهار تعرفنى بالحياة الهندية وبالليل

تفسحنى فـ البلد أو عند خلجان المحيط الهندى .. أو على
المرتفعات جنب بيرمان درايف اللى فيها القروء والاحراش ..
وكل يوم يفوت كان يقربنا من بعض لدرجة أننا تعبنا قوى يوم
ماجيت اسافر .. ليلتها اشترينا قزازة جن وسهرنا للفجر وفى
الفجر انتهت افراح دربان وانطوت مأسيتها . وأخذتني بالعربية
بتاعتها لحد المطار .. وشاورنا لبعض وزعلنا .. لكن لما لقيت
نفسى بـ اشاور لدربان كلها من الجو عضنى الألم فـ قلبى ..
لأنى كنت عارف انى مش ها أرجع لها تانى مدى الحياة ..
سمعت كوراس العبيد بيغنى فـ ودنى والصوت جالى زى لحن
حزين من ألحان بول روبسون مخلوط بوش الطيارة .. امتى تتفتح
أبواب السجون والآلهة الغضبانة ترضى عن البشر ، امتى ينزل
العفو السماوى عن الملائكة اللى وقعوا غلط فـ أطباق الجحيم ؟
امتى تنزل اليد الخفية وتفك السلاسل الثقيلة وبكتورة جونا
تلاقى نفسها تانى بتمشى على صدر الأرض الواسعة رأسها
مرفوعة ويتتنفس نسيم الحرية ؟ كل ما افكر فـ الماضى افكر
احزان الكوكب المنحوس بتاعنا لكن أعزى نفسى بأتى اعرف
انسان واحد عـ الأقل فـ نص الكرة الجنوبي اتحققت فيه صفات
الانسانية : الدكتور جونا ..

لو كنت روسو كنت كتبت للعبيد انجيل حروفه نار وصحايفه
بلون الدم الصبيى لو كنت بايرون كنت سلّيت سيف العدل والجهاد
وما غمدتوش قبل ما أشوف يعينى عملاق الظلم مخرج على سهول
بريتوريا ..

لو كنت شلى كنت غنيت مع الصبح وملّيت الأفاق بأناشيد
الخلاص .. لكن أنا ضعيف وروحى مكسورة وریشتى هزيلة ودمى
مهدور ف خدمة الأحرار ..

الوداع يا جنوب افريقيا . يا بلاد الجمال والكرم اللى مالوش
نظير والغنى الممجوج والقلوب الحجرية ..

مصر مرة ثانية

الطيارة كانت مائية ، سندر لاند ، من خطوط شركة
المواصلات الامبراطورية دى كانت أول مرة أركب فيها طيارة .
قبل ما أخط رجلى فيها كنت فاكّر أنه هايملانى شعور غريب أول
ما اتشعلق ف الهوا .. لكن دى فكرة بتيجى للواحد من عدم
الاختبار . الواحد وهو ع الأرض كل ما يشوف طيارة ويتصور
حالة الناس اللى فيها ، وبالأخص الناس اللى سايقينها بيتهيا له
ان دا عمل عايز قلب حديد ويمكن نوع من البطولة . ف الواقع
المسألة مش محتاجة لحاجة من دى .

تصور نفسك ف أتومبيل . حتى بمجرد ما حصل الارتفاع أنا
كنت أقدر أنسى بسهولة انى ف طيارة حتى الشعور اللطيف انك
بتعمل عمل عظيم يروح منك ف الوقت المناسب برضه يجى لك
الملل. تحس طول الوقت أنك راكب ف عريية دملر وماشى ف طريق
مرصوف . ومن وقت لوقت تفوت ف مطبات الهوا والطيارة تقع
بيك امتار على غفلة . ف أول مطب قلبك يقع ف معدتك لأنه
بييجى من غير انذار لكن بعد كدا تحس انك راكب ثور نيكروفت
هلكان من أتوبيسات الحرب وأنه وقع بيك ف حفرة . مطبات

الهوا دى مجرد طبقات من الهوا تخلخلت بسبب اختلاف درجات الحرارة .

الحقيقة أنك طول ما أنت فوق ما تعرفش أنك بيتحرك ، تحس أن الدملر واقفة ع الأرض ، الواحد بيعرف أن القطر اللي هو فيه بيتحرك لأنه بيعشوف عواميد التلغراف بتظهر وتختفى والغيطان بتنطوى والبيوت والقرى علامات ف السكة . الواحد بيتحرك بالنسبة ، ولو غمضت عينك الحركة تنتفى لكن ف الهوا مافيش علامات ف السكة تدى فكرة الحركة . الدمار ثابتة ومريحة ، حتى لما تبص للأرض على ارتفاع عشرة آلاف قدم وتشوف الغابات والافيال فيها زى الكلاب ماتحسش أنك بيتحرك بسرعة تلتميت ميل ف الساعة . تتفرج ع الفيل أو تنظر على حزمة شجر ويتهيا لك أنك فوقها بالضبط والشجر ما اتغيرش . ماتعرفش أنك بيتحرك غير لما تفوت ف سحب وتشوفه زى الدخان الأبيض اللي بينفخه وابور السكة الحديد وتطلع منه ، أو تفوق فوق سحب وتتفرج عليه عامل أحيانا زى القطن الطبي وأحيانا زى لحاف رمادى بيتغطوا بيه المردة .

مسحنا افريقيا بالطول ف خمسة أيام . كل يوم نطير كام ساعة ويعدين ننزل ف محطة كنا دايما نقوم ف الفجر ونطير لحد

الضهر - من ستة لواحدة تقريبا - ونبات ف آخر نقطة نرسى فيها . أول يوم قمنا من دربان ونمنا ف موزمبيق قدام مدغشقر ،
تانى يوم نمنا ف كيسومو من أعمال كينيا ، تالت يوم ف الخرطوم
ورابع يوم ف الأقصر . خامس يوم نزلنا مع الضحى ف روض
الفرج . دى المحطة الكبيرة لكن بين كل محطة والثانية كان فيه
محطات صغيرة نزلنا فيها ربع ساعة ع الماشى عشان بنزين
وتشحيم والذى منه . قبل ما نوصل موزمبيق فتنا على لورتزو
مركيز وبيرا وبعد موزامبيق نزلنا ف دار السلام وف أوغندا نزلنا
ف بورت بل ولما دخلنا السودان نزلنا ف جوبا وملكال . حتى ف
الدر نزلنا . كنا تقريبا كل ساعتين ننزل ونطلع تانى .

ف موزامبيق نمنا ف عوامة كبيرة بتاعت شركة المواصلات
الجوية الامبراطورية والطيارة نامت جنبنا ع الميه زى بجعة كبيرة
مالهاش قلب . ماكانش فيه حاجة نعملها حتى الكوتشينة
مالقيناهاش .. وأنا لاحظت أنى ف حالات عدم الاستقرار دى
مخى بيقف خالص . حتى صور الماضى ما أقدرش استرجعها
ومن باب أولى التفكير ف المستقبل بيبقى عندى مستحيل .. أما
الحاضر فمش موجود . سواعى كنت أرقد ع السرير وأتأمل شوية
ف حالتي ، وسواعى كنت أطلع على سطح العوامة وأبص مشرق

ف الأمواج اللى بتغسل سما الأفق واضغط على جفونى يمكن
أقدر أشوف مدغشقر ، لكن قالوا لى أن احنا على ساحل افريقيا
والبوغاز أوسع شوية من صورته اللى ف الاطلس . وان بصيت
مغرب ما أشوفش حاجة . الاقى القارة كلها زى ما تقول غرقانة
ف المحيط ..

ف موزامبيق الناموس بس اللى تعبنى . لكن فى كيسومو
شفت الويل . كيسومو على خط الاستواء واحنا كنا ف
سبتمبر يعنى الشمس نفسها كانت فوق روسنا على طول ،
يمكن جوا الاود بتاعتنا بالذات . لكن الدنيا ماكانتش حر من
الجحيم . الحر كان يخلق لكن زى مصر افترع عشان الحقة
كلها عبارة عن مضبة عالية كذا ألف قدم عن سطح البحر .
شوف كتاب الجغرافيا بيقول ايه .. الطيارة رسيت زى العادة فى
الميه مية فيكتوريا نيانزا واحنا شحنوننا ف اوتومبيلات لغاية
اللوكاندة الوحيدة ف البلد .. اللوكاندة كانت على قد الحال ، لكن
واسعة الجماعة كلهم حجزوا الأود اللى هم عايزنهم وأنا اتأخرت
شوية قام الست الانجليزية اللى ف المكتب عرضت على أنى أنام
ف «بنجالو» ملحق باللوكاندة بينه وبينها جنينة متوحشة مافهاش
مسالك واضحة . قلت مافيش مانع .. قالت لى كمان ان مافيش

غير ساكن ف الملحق دا قلت برضه مافيش مانع .. ساعتها الدنيا كانت نهار وصحيح ماكانش فيه مانع . لكن لما دخل الليل عرفت معنى الندم. عرفت انه كان أحسن لى ميت مرة أنى أنام ف حضن واحد صاحبي على سرير واحد . قعدنا العصرية كلها ف الصالون اللى كان مدروز ظباط انجليز ، والحر ختقنا . لما الشمس اتكسرت طلعتنا نستكشف ف الادغال اللى حوالينا لكن ماوصلناش بعيد . من باب اللوكاندة لحد البحيرة كان فيه طريق ضيق معفر يدويك يفوت عربية واحدة ، وعلى طول الطريق وحوالين اللوكاندة كان فيه أشجار من نباتات السفانا ما أعرفش كانت بتعمل ايه عند خط الاستواء . حوالى فدانين سفانا وبعدين تلاقى الأحراش المخيفة المظلمة وأنواع الشجر اللى بتقرا عنه ف كتب الجغرافيا ، الشجر التخين والشجر العالى اللى أوراقه أكبر منه والشجر اللى بياكل البنى آدمين اذا كان دا ممكن . وكل دبانة أشوفها أقول تسمى تسمى . وكل زنجى أشوفه عريان وبشفاتير أقول نيام نيام . قالوا لنا أن اللوكاندة بعيدة قوى قوى عن البلد ، كمان قالوا لنا أن أقرب مركز للمدينة كان على بعد أربعة كيلو واللى يحب يخرم فى الغابات أو يعوم فتكوريا نيانزا . كان معاى الاستاذ فؤاد جلال والاستاذ عبدالمحسن بكير

والأستاذ عبدالعزیز المراغی وقعدنا نمشی رایح جای ع الطريق
المعفر لحد الليل ما دخل .. الليل دخل واحنا برضه بنمشی
ماكانشی فيه نور عشان الانجليز كانوا لسة بيحاربوا ف
الصومال الايطالى .

الليل دخل واحنا بنتكلم ف الموضوع الوحيد المناسب ،
موضوع الخوف . طبعاً ماحدث فينا جاب سيرة أبو رجل
مسلوخة ولا البعيع . المناقشة كانت علمية ناشفة وماحدث
كان مرعوب . واحد يقول الخوف غريزة ، التانى بين الايجو
والسوېر ايجو ، المراغی يقول دا تخريف . لكن الأمثلة كلها كانت
على نمط ليه الإنسان بيخاف من التعابين ، « اذا طلع علينا دلوقت
تعبان نعمل ايه ؟ » الموضوع كان طبيعى وكل حاجة حوالينا
أوحت بيه من غير ما ناخذ بالنا حتى أنا ما أخذتش بالى من كذا
غير تانى يوم ف الطيارة وأنا باحلل الموقف زى العادة . لكن
لو كنا عاقلين كنا بصينا لبعض من سكات واتحاشينا الكلام
فيه قبل النوم ع الأقل ، زى راجل ومراته ما يخلطوا ف حق
بعض عن معرفة ويعددين يتجنبوا المناقشة والعقاب ، والأزمة
تقوت من نفسها ..

احنا ما كناش عاقلين لكن أنا لوحدى اللي دفعت التمن .. الليل
اتقدم ورحت أنا . الساعة حداشر ونور النجم مش كفاية ، مشيت
ف الجنينة اخبط ف تكعيبية وأطس ف زهرية واحضن الأشجار
وأخلص هدومي من النباتات المتسلقة . ماشى وراى عبد شايلى
شمعة . المغفل كانوا باعتينه يوريني السكة . قلت له يمشى قدامى
بالشمعة قعد يبرطم بالسواحيلى لغة كينيا ، عرفت أن مافيش
فايدة ، بقيت ماشى وايدي ممدودة لقدام بتحسس الطريق .

وصلت السلم الخشب اللي قالوا لى عليه وطلعت وعديت تالت
باب وفتحته . اتفتح . العبد سابنى ورجع ، والأودة كان فيها لمبة
كهريا ضعيفة وعريانة وعليها تراب . قفلت الباب ورايا بالمفتاح ،
وبصيت ف زوايا الأودة لقيت سرير زهر مقشر عليه ناموسية
وكومودينو مخلع ومراية سليمة بس قديمة وشباك كبير مغطى
بسلوك قلت كويس . ضمنا أن التسي تسي مايدخلش قلعت
ورقدت وطفيت النور ، والافكار ابتدت تخبط ع الباب وتخش
واحدة واحدة من غير اذن . قبل كدا أنا ماكنتش خايف انما كنت
متضايق من حظى الزيت ف اختيار الأودة ومن القرف اللي شفته
ف الجنينة .. لكن بعد الافكار ما خبطت ع الباب ودخلت قفلت
الباب وراها ابتديت أخاف . كل المناقشة اللي حصلت عن الخوف

رجعت لى حرف حرف .. دفنت راسى تحت المخدة مافيش
فايدة . لكن يظهر انى نمت من الاختناق لأنى بعد شوية صحيت
مفزوع بكابوس وأول حاجة عملتها كانت زر الكهريا طبعاً . ف
تلات ثوانى بالظبط كنت جوه البدة زى ما يكون ، ونزلت أجرى ع
السلم الخشب وف الجنينة ، لغاية ما وصلت باب الصالون ،
اطمأنيت وابتديت أفكر ف الكابوس اللى جالى . الحلم كان قصير
قوى .. كان عبارة عن حية قطرها قد المسطرة وطولها تلات أمتار
كسرت الشباك السلك وابتديت تزحف علي ..

بصيت ف الساعة لقيتها واحدة ونص . وبعدين ، ايه العمل ؟
أرجع الأودة تانى ؟ مستحيل ، اترميت على فوتيل ف الصالون
وقعدت أفكر . بعدين قمت ع المكتب وابتديت أكتب جوابات لمصر
وجنوب أفريقيا . كتبت تلات سطور ف تلات جوابات وبعدين
لكلكتهم ورميتهم ف السبت . الغفير جا ع الخشخشة . كان عملاق
أسود لابس بالطو أصفر من بتوع السلطة ع اللحم وعلى راسه
طربوش جريان من غير زر ولا خوصة . وقف قدامى .. بصيت له
شوية واستمريت ف الكتابة . ما اتحركش بصيت له تانى
واستمريت ف الكتابة . الغفير ماقالش ولا كلمة لكن فضل واقف

قدامى بمنتهى الثبات. ما اعرفش ايه اللى كان بيدور ف عقله
ساعتها. ارتبكت شوية وفى الآخر قلت له بالانجليزى وأنا بابتسم
عشان اتملقه هو بالتاكيد كان سيد الموقف. ايده كان فيها عكان
واسنانه كانت بتلمع..

- أنت عاوز حاجة؟

الغفير ضحك، مش فاهم ليه، وقال:

- نو.

لكن ماتحركش. ابتديت أخاف شوية. صحيح ضحكته ماكانش
فيها أى شر. كمان وقفته والتعبير اللى على وشه كانوا هادين
قسوى.. كنت أقدر ابتدى معاه سين وجيم، «طب واقف ليه؟»
«ماتروح حته تانية»، «أنا كمان مش عاوز حاجة». لكن قلت بلاش
الحاجات اللى تجيب الشكل، ابتديت استعمل كل الملكات اللى
عطيتها لى أمنا الطبيعة عشان حفظ الذات. طلعت نص كراون
وحطيت ف ايده وقلت له:

- روح هات لى عليه سجائر بحارى من فضلك.

الغفير حط الفلوس ف جيبه وقال:

- نو.

«نو» یعنی ایه؟. ابتدیت آشك أنه يعرف انجليزى شاورت على جيبه وابتديت أكله انجليزى بطريقة وست.

- مى سيجاريت.

هز راسه لكن ما اتحركش. رحت مطلع علبة سجاير بحارى من جيبى وقلت له تانى:

- سيجاريت. زى دى.

الراجل ماردش انما قلد صوتى تمام من غير مايبان ف حسه انه فاهم حاجة..

- سيجاريت..

ومشى. خرج من الصالون ومارجعش. على العموم دا اللى كنت عايزة. أنا ماكنتش عايز سجاير أنا عطيته الفلوس عشان يمشى. حتى انبسطت شوية انه مارجعش لأنى اتصورت الموقف الغريب دا ازاي هايتجدد إذا رجع وف ايده علبة السجاير. برضه ها أقول له «مرسى» وبرضة هايستنى واقف زى اللوح. بعد مامشى اترميت أنا على كنية وقعدت أفكر ف الحكاية دى. خطر لى أنه شك فيه وافتكرنى حرامى، ومادام هو الغفير بتاع اللوكاندة يبقى معنى كذا انه لازم يقف جنبى طول ما أنا قاعد ف الصالون.

ما أعرفش بعد نص ساعة عيني تعبت وحسيت بنعاس شديد..
ماقدرتش أرجع الاودة بتاعتي وقررت أني أنام ف الصالون ع
الكنبة زي ماكنت. لكن خفت انعس تروح على نومة والطيارة
تقوتني.. قلت لازم أشوف واحد يصحيني. مشيت لآخر الصالون
ادور ع الغفير تاني مالقيتش حد، رجعت مكاني وقعدت وسندت
خدودي بايدي من شدة التعب وبعدين بصيت لقيت واحد اسود
تاني جاي على. دا كان طويل برضه زي الغفير لكن كان لابس
جلابيه بيضاً بتلمع على جتته السودا اللي بتلمع عرفت أنه واحد
من الخدامين، لما وصل عندي مد لي ايده وفيها شلن وستة بنس.
قلت الغفير دا لازم أمين اشترى السجاير وباعتها لي مع الراجل
دا هيه وبقية النص كراون اخدت الفلوس وانتظرت شوية وضحكت
عشان افهمه اني ممنون، ماعطانيش حاجة تاني.. قلت له:

– فين السجاير. الفلوس دي باقي النص كراون.. فين

السجاير؟

يظهر أنه ما فهمش لأنه مارديش خالص. قلت:

– أنت تتكلم انجليزي؟

قال لي:

- كاكأ.

مأعرفتش «كاكا» دى تطلع أله. أفرض أن معناها «أوه» أو «شوة» طلعت السجاير بتاعتى ومدت أيدى وقلت له:

- سىجاريت..

مأردش خالص.. فكرت شوة وخطرت لى فكرة.. يمكن الغففر أفتكرنى عأز أشترى له هو علة سجاير قام راح أشتراها لنفسه وبعث لى الباقى. معقول. لكن دا ببقى تفكر معقد خالص وفه عملية رفاضفة.. لكن برضه معقول لأنه شاف معأى علة سجاير ومأفش حد بيشفل علففن أو يمكن أفتكرنى حرامى وعأوز أرشفه بعله سجاير. طفب ورجع لى باقى الفلوس لفه؟ دا ببقى شخص غير عادى.. نهأفته قفلت الموضوع. حاجة تدوش الدماغ صأفح. قلت للخدام:

- أنا عأوز أنام. صأفنى بعد ساعة.

قال لى:

- كاكأ..

أبتدت «كاكا» ببقى معناها أوه واللا لأ؟ وأبتدت أنا أعبر بالأشارة شأورت علفه وقلت «أنت» وهزف نفسى بأفدى وقلت

«تصحيني» وشاورت للساعة وعملت له ثلاثة بصوابي وبعد
ماخلصت العملية المتعبة دي قال لي بكل هدوء:
- كاكا..

قلت بالعربي: يخرب عقلك.. كاكا ف عيثك.. ورحت متمدد ع
الكنبة وعطيته ضهرى وقلت اللي يحصل يحصل بقى غالبا الدوشة
بتاعة الجماعة ف الصالون لما يصحوا هاتصحيني.. وفعلنا صيحت
ع الدوشة وف ربع ساعة كنا كلنا ف الطيارة لكن ماالحقتش أغسل
وشي قبل الخرطوم.

لما نزلنا ربع ساعة ف جوبا حسينا لأول مرة أننا على أرض
مصرية لقينا البلد عبارة عن كشك زى اكشاك المهندسين عايش
فيه شاب متخرج من اكسفورد جديد وشاب سورى مستوطن..
أهو دا عمره مايكتب جوابات للرياسة بتاعته مليانة شكوى زى
الموظف المصرى لما يحدفوه.. جنب الكشك حطة من النيل كانت
بتجرى ف حجم التربة الإبراهيمية بس فيها تماسيح بتقب
وتفطس، وبعدين تلاقى صحارى وأشواك وأقرب نقطة للمدينة
كانت عشش السودانية على بعد خمسة كيلو. أجدادنا كانوا
بيحسبوا أن النيل ينبع من الجنة. أنا اللي شفت منابع النيل
يعنى جوبا والبحيرات أقول لك أن النيل نازل من الجحيم.

ولما نزلنا ربيع ساعة ف ملكال حققت كويس ف النيل والبيوت
والطبيعة لأن أبويا كان بيشتغل باشكاتب المديرية هناك من قيمة
عشرين سنة لقيتها مش أحسن من جويا كثير.. بس بدل
الصحارى كان فيه أعشاب سفانا وبدل التربة الإبراهيمية فيه نهر
كبير مش منتظم ماشى ازاي عامل زى البحيرة البيضاء اللي
قعرها واطى وسايحة على نفسها وأعشاب طويلة مالية الميه وبينة
فوق السطح زى غيطان الدره الشامى لما يغرقها النيل وقت
الفيضان وبيوت السودانية زى خمسين قمع طين مرصوصين
جنب بعض.

نزلنا ف الخرطوم بعد كذا وكان لازم فيها. قوارب شركة
الطيران الامبراطورية خطفتنا من الطائرة لغاية شاطئ النيل.
واتومبيلات الشركة خطفتنا من الشاطئ لحد البلد. دخلنا
اللوكاندة وعطينا مكبوسة تراب لقينا الطباط الانجليز ف الصالون
بيشربوا بيرة. أنا خرجت على طول ودرت ألف ف البلد. مشيت ع
النيل وسألت عن البيت اللي اتقتل فيه غوربون باشا ودلوني عليه.
كما زرت نادى لطيف عامليه لموظفين المصريين ف الخرطوم وكل
الناس لطاف لكن برضه مافيش فايده. مشيت ف الشوارع اتفرج

ع البيوت الوسخة والبيوت الفقيرة والعفرار منين ما أروح يملأ
جزمتى ويخش ف شرابى.. الخرطوم ليها معنى عندى أكثر من
أغلب الناس لأنى عشت فيها خمس سنين على بعض أول خمس
سنين ف حياتى. حتى كان ليئا بيت ف الخرطوم ويعناه لما رجعنا
مصر أيام ثورة ١٩١٩ تقريبا. الحاجات دى رسيت ف ذاكرتى
لكن طبعا ماسابتش تفاصيل ماكانش معاى عنوان وخارطة البلد
ماكنتش فاهمها لكن كان عندى إحساس طول الوقت انى لو شفت
بيتنا أعرف بالالهام. مشيت ف الشوارع أجهد ذاكرتى واستحضر
صور ماضى سحيق زى يوم الميلاد لكن طبعا عرفت بعد شوية أنه
مافيش فايده من التجول دا. رجعت اللوكاندة لقيت أصحابى
العبطا اللى خدوا حمام ساعة ماصلوا بياخدوا حمام تانى. أنا
استنيت بترابى لحد المغرب ماجا وأتأكدت أنه مافيش خروج تانى.
حتى قبل ما استحمى عملت حسابى أنه اشوف أم درمان واقف
عند ملتقى البحرين واتفرج ع المناظر المشهورة ماكانش فيه منظر
مشهور، تانى رجعت أودتى وقلعت ومليت البانيو ميه باردة ونزلت
فيها وطلعت منها مفزوع. الميه الباردة كانت بتغلى بس ناقصه
الحركة والبخار. افكرت أن واحد صاحبى حب يهزر قام قفل

الحنفية السخنة، وفعلا رحت زعقت لهم كلهم لكن ف الآخر فهمت
أن دا من عمل الطبيعة مش من عمل الإنسان. أنا عايز أ.ب.
هربرت الخرطوم عشان يكتب مقاله عن حماماتها وطرق اصلاحها
زى ما عمل مع حمامات لندن.

مافيش فائدة أنى اكلمك عن الحرف الخرطوم.. الشمس كانت
فوق خط الاستوا لكن هلكتنا تحت مدار السرطان. كيسومو كانت
زى المطهر جنب جحيم الخرطوم، ويورت بل كانت مصيف جنب
جوبا..

انتهت المذكرات

كلمة كُنارى الثانية

.... واخيرا سلمت الكتاب

لم أكره فى حياتى مثلما كرهت هذا الرجل ذلك اليوم فقد كان غريما لى. جاء ينازعنى حضانة ولد عاش معى قرابة ربع قرن من الزمان. لقد كنت أعرف أن الولد غير لقيط، وأن له أبا، ولكنى كنت حلت من هذا الولد محل أبيه. إلى أن جاء اليوم الذى فيه فضحت نفسى، وكشفت أمرى فجاء الأب الشرعى ينازعنى فى ولد تبنيته عشرين عاما من الزمان.

فى أحد أيام صيف عام ١٩٤٥ تعرفت بقلم شاب كان يكتب بعض الكلمات المتفرقة، على صفحات جريدة «منبر الشرق» التى كنت أعمل محررا فيها. وما أن تبودلت بيتنا بعض الرسائل حتى كلفنى بأن أقدم له أوراقه ليدخل كلية الحقوق بالأسكندرية. لقد كان حلمه أن يصير محاميا، ولكن ظروف حياته منعتة من تحقيق هذا الحلم، فاشتغل موظفا صغيرا فى الرقابة، وكان لزاما عليه لتحقيق أمنيته أن يجرب حظه فى جامعة القاهرة. وكان لزاما عليه

أن يتردد على الاسكندرية. وكانت موارده لا تسعفه بمصاريف
النزول فى فندق. أى فندق كان.. فكان أن اتخذ من بيتى فندقا..
وكانما أحس بعد أن تكررت زيارته لى أن الواجب يقتضيه أن
يحمل هدية للمضيف يرد فيها جميل الضيافة ولكنه كان فقيرا كما
قدمت..

فلما جاء إلى ذات يوم فى إحدى زياراته المتكررة حمل إلى
هدية قدر إمكاناته انها.. كتاب مكتوب على الآلة الكاتبة، ومجلد
سنة من إحدى المجلات الخاملة الذكر.. وقال لى فى حياء ظاهر.
أعرف أنك صحفى وأديب، تحب القصص، وهذه قصة لعلها
أمتع ما قدم لنا فى الرقابة، كما أن هذه المجلة قد يكون خلا منها
متحفك الصحفى..

وكنت فى هذه السنة أعانى فى نفسى فراغا أضيق به. فما
كانت تنتهى آخر ليلة من عام ١٩٤٤ حتى أخذت معها صديقا
شابا كان توأم روحى فى الأدب والحياة، مات عن ثلاثة وعشرين
ربيعا. فكنت فى عام ١٩٤٥ أبحث جاهدا عن صديق يملأ على
فراغا تركه فى نفسى صديقى حسين محمد عبدالخالق.

وذا ليلة جلست على سريرى اتصفح الهدية التى حملها إلى
صديقى الجديد. لقد كانت تجربة باللغة العامية. ولكن أى تجربة..

لقد بدأت أقرأ أولى صفحاتها فشعرت بشئ يشدنى إليها ويربطنى. وإذا بى أطوى الصفحة أثر الصفحة حتى تنبتهت إلى أنى قطعت ثلثى الليل وأن على أن أستريح ساعة قبل أن يطلع النهار. وكأنى أخشى أن ينتهى حديث هذا السمير الجديد. ومن يومها وذلك الكتاب أصبح سميرى. أنس إليه، والوذ به كلما استوحشت روحى إلى انيس..

قرأته مرة، فمرة. ثم تحفظت عليه. لا أفرط فيه. وكتمت سره على جميع من عرفت من الأصدقاء فلا يستعيروه منى أحد، ولا يعلم بمكانه أحد فكم من الكتب أعرتها فلم استرجعها من المستعمير. وكم من كتب لم أعرها ولكنى افتقدتها لخفة يد صديق.

ومرت الأيام والسنون، وأنا أنتقل من بيت لبيت، ومن حال إلى حال وذلك الكتاب لا يفارق مكنة عندى، وتزوجت وأصبح لى أطفال وشغلتنى مشاغل العيش عن الكتب لم، وأصاب أطفالى معظم كتبى بالتلف. ولكن نجا من عبثهم هذا الكتاب. وجاء يوم، رأيت فيه أن أنزح إلى الحجاز بعد أن ضاقت فى وجهى وجوه العيش فى الإسكندرية وكان على أن أخفف حملى، واختزل مالى من

كتب، واتخلص مما ليس له شأن عندي. وراجعت كل كتبى فأهدى منها ما أهديت.. ويعت منها ألا هذا الكتاب الذى لا أعرف سر الرابطة التى بينى وبينه.

وقبل أن أعود من الهجرة. سبقتنى زوجتى إلى الإسكندرية لتتنقل أثاثنا من المخزن إلى البيت الجديد. وجئت لأفحص كتبى فافتقدت كتباً عزيزة على. لعلها. سرقها الحمالون. لعلها سقطت من سيارة النقل. لعلها نسيت فى المخزن. افتقدت ديوان وطنيتى الذى أهدانيه أستاذى على الغاياتى. افتقدت قصيدة مطبوعة نادرة «الحقوق الضائعة» أهدانيها صديقى الشاعر الكبير أحمد محرم. ولكنى وجدت هذا الكتاب.. كان هذا الكتاب سميرى. لم أعد إلى قراعتى قط. ولكن أحداثه كلها كانت فى قلبى. أعيش فى فيوض منها.. وأذكرها كلما ذكرت شبابى، ولم يكن فى ذهنى قط أنى أملك نسخة لا يملكها أحد سواى.. اذن لسارعت إلى استئجار خزانة فى بنك مصر لأودعها فيها. ولا أقول فى ذلك هزار فانى مولع بالتحف من الكتب والصحف.. وأحتفظ بجرائد اللواء والمؤيد وحمارة منيتى والهلال وسركيس والمجنون والمسلة والأهالى والأفكار وغيرها.. وغيرها.. من الصحف والمجلات التى

يَحْمِلُ النُّومَ لِلْكَلِيلِ الْمَعْنَى
قَلَّةُ أَعْيَاشِ شَيْئَاتٍ .. مِنْ الْإِبْصَارِ
قَدْ قَطَعْتَ الطَّرِيقَ .. الْإِقْلِيلَا
فَسَاءَ عَزَفَى يَا طَيْسُور .. لَحْنِ انْتِصَارِ
فِي غَدِّ تَقْبِيلِ الْوَفْدِ تَعَزَّى
وَيَقْصُولِ الرَّعِيَاةِ .. مَسَاتِ الْكُنَارِ
وَيَقْصُومُ الْهَزَارَ يَحْتَلِ عَشَى
وَأَنَا سَخَاخِرُ لَحْمِ الْمَقْ هَسَارِ
هَذِهِ قِصَّةُ تَوَالَتِ كَثِيرَا
... وَعَلَى مَسْرُوحٍ .. قَدِيمِ السَّيْئَارِ
وَتَرَدُّ زَوْجَتِي مُرَدَّةً مَا قَالَتْهُ امْرَأَةُ أَبِي. تَرَدُّ زَوْجَتِي مُرَدَّةً مَا
قَالَتْهُ زَوْجَةُ عَبْدِ الْحَمِيدِ الدَّيْبِ. وَمَا قَالَتْهُ زَوْجَةُ فُلَانٍ وَفُلَانٍ مِنْ
الشُّعْرَاءِ. وَحَسِبْتُ مَا سَتَقْبِضُهُ زَوْجَتِي مِنْ تَأْمِينٍ وَمَعَاشٍ فَهَالَتْنِي
الْأَرْقَامُ وَاسْتَبْشَعْتُ الْجَرِيمَةَ. وَأَمْسَكْتُ وَرَقَةً صَغِيرَةً كَتَبْتُ عَلَيْهَا
«دَارُ النُّشْرِ لِلْجَمِيعِ» وَبَدَأْتُ الْعَمَلَ.

أَخْرَجْتُ أَوَّلَ مَا أَخْرَجْتُ كَتِيباً صَغِيراً. مُقَالَ تَرْجَمْتَهُ عَنْ
الْأَمْرِيكِيَّةِ، ثُمَّ أَتْبَعْتَهُ بِمَنْشُورٍ ثَانٍ. قَالَ آخِرُ تَرْجَمْتَهُ عَنْ الْأَمْرِيكِيَّةِ

كذلك. أما ثالث منشوراتى فكان ديوانى ايناس. طفلى الحبيبة المدللة التى قتلت نفسها قبل موت أخى بخمسين يوماً. ثم .. توقفت هل استمر فى نشر مؤلفاتى .. إذن ما هو نصيب هذا الشعار من دنيا الحقيقة .. «دار النشر .. للجميع» لا دار أذن على الإطلاق ولا مجد لها على الإطلاق .. إذن فعلى أن أغير الخطة. وأن أنفذ مفهوم التسمية. إنها دار نشر للجميع. ولكن أى جميع هل هناك من يعطينى مؤلفه أنشره هدية بلا أتعاب. وتذكرت على الغاياتى . أن أحدا لم يذكره حتى الآن .. وهو أيضاً لم يذكر لى أنه ألف كتباً غير ديوانه القديم : «وطنيتى» وديوانه الجديد .. «هجرتى» وانى لى هذا الديوان ..

وتذكرت ذكرياته التى نشرها تباعاً فى منبر الشرق، قبل وفاته تحت ضغط مريديه وأصدقائه الأصفياء. فعمدت الى هذه الذكريات فجمعتها ونشرتها فى كتاب «فجر الثورة» ساعدنى بقليل من المال مرسى العصافيرى المحامى أحد تلامذة الغاياتى .. وصدر الكتاب .. طبعت منه ألفى نسخة كلها عادت الى من شركة التوزيع .. وضاعت بها دواليب البيت .. ولكن انتبه الى أهميتها قليل من النقاد ..

وجلست أفكر من جديد. ما هو الكتاب التالى. وكان حافظ
البحيرة وجيه أباطة يستعد للاحتفال بمهرجان أحمد محرم
فى دمنهور . فأعلنت عن أخراج رسائله . وقيل فى ذلك يؤمئذ ما
قيل ولكنى أخرجت الكتاب . أنه يكشف عن مرحلة حرجة فى
تاريخ الأدب .. مرحلة تبين أزمة الضمير. ولم أعط «رسائل حرم»
الى شركة توزيع قد تلقيت منها فى التجربة الأولى درسا لن
أنساه.

فوزعت الكتاب بالطريق الشخصى. وبقي عندي من الألف
نسخة بضع مئات. زادت فى بيتى من أزمة التخزين. وسوء
التفاهم بينى وبين إمرأتى التى لا تعرف ماذا أصاب زوجها . فلا
يخرج مؤلفاته فتقول إنه يعمل لنفسه .. ولا هو يربح من مؤلفات
غيره فتقول إنه يعمل للكسب . ولكنها خسارة تلو خسارة ليس
وراءها شرف .

وفرغت من رسائل محرم لأبحث عن الكتاب التالى. قلت ليكن
ديوانى «القط» الذى كان متوقعا أن يكون أول نواوينى .. لو لم
تقتل نفسها .. طفلى ايناس . وكتب لى صديقى الدكتور حسن
فلاظا أستاذ الساميات بجامعة الإسكندرية مقدمة للديوان الجديد

إن كنارى يمجّد القط. ليخسأ بعض بنى آدم من لم يصلوا فى
مجال النفس الى رتبة هذا الحيوان .. ومع ذلك فهو بلا شك وكما
قال صاحبه .. شعر انسانى» ..

وأعددت العد لنشر هذا الديوان ودفعت به الى المطبعة ..
وصفت المقدمة . ثم وقع بينى وبين المطبعة خلاف . أقول للرجل لقد
أتفقت معك على التشكيل «فيقول» تشكيل ايه يا أستاذ مطبعتى ما
فيهاش تشكيل .. ثم الشعر المشكول بقى مودة قديمة . قلت أنا
أريد ديوان القط يخرج كديوان تذكّار ايناس . شعراً عمودياً
مشكولاً .. وقد اتفقنا على هذا فلا داعى لتغيير الاتفاق. وسحبت
الكتاب من المطبعة . وذهبت الى المطبعة التى أخرجت فى أناقة
ديوان ايناس .. ولكن الرجل غالى فى الثمن. فتوقفت عن الطبع .
وأخذت أتحين الفرصة لطبع الديوان .

وفجأة تذكرت هذا الكتاب. «مؤلف لويس عوض» ،هالتنى
الفكرة. إنها ضريبة بارعة . فلتعقد محاكمة لهذا الرجل الذى
استبد برأيه فى الفن والأدب. لقد أجرى تجربة ثم حكم عليها
بينه وبين نفسه وأصدر حكمه فيها بالاعدام. لم يشرك فى حكمه
أحدا من الأدباء أو النقاد . اذن لا بد من محاكمة هذا الرجل أمام

الرأى العام واثارة قضية هذا الكتاب الحبس والمعارضة فى أمر حبسه، والمطالبة له بالافراج.

وأعددت العدة للطبع، ولم أعلن السر إلا لصديق واحد الناقد السكندرى نبيل فرج .. ثم خشيت من ثرثرة هذا الأديب الشاب، وزادت خشيتى عندما تذكرت أن شقيقة الفريد فرج على صلة وثيقة بملف هذا الكتاب الذى أزمع طرح قضيته على القراء .. قلت أرجوك يا نبيل احفظ على هذا السر لا تذعه لالفريد .. إنى أخشى أن يوقفنى عن النشر لويس عوض بخطاب وصى عليه .. أو بانذار على يد محضر .. أنذركم بعدم التعرض لى وعدم نشر كتابى والا فسأحملكم كافة المسئوليات .. وارتعدت خلجاتى . أعوذ بالله، يا ساتر أستر .. يارب ... أرجوك يا نبيل .

وبعد يومين جاغنى نبيل : صديق شيبوب (١) بيقول لويس عوض يمكن يرفع عليك قضية .. قلت هو ده السر اللى لك عليه .. يخرب بيتك حتخرب بيتى يا شيخ . وطلبت من نبيل أن يقسم على الأنجيل لا يعود الى اذاعة السر .. حتى أفرغ من طباعة الكتاب

(١) الأستاذ صديق شيبوب كان أحد دعائم الحياة الأدبية فى الإسكندرية زهاء خمسين عاما .. وقد فقده الأدب يوم ٢٢ أبريل سنة ١٩٦٥ .

.. ولكنه راوغنى فى القسم .. أقسم يا نبيل قال مش لاقى الإنجيل ..

أما الشخص الثانى الذى كان يعرف هذا السر فهو زوجتى .. وذهبت المرأة لزيارة أخيها كامل حمادة المحامى وعادت الى بيشارة .. أخى يحذرك من التعرض لهذا الكتاب والا عرضت نفسك لقضية جديدة يرفعها عليك المؤلف . أعوذ بالله .. ما فيش حد يجيب لى بشارة خير .. ولكنى مع ذلك مضيت فى النشر . وانتهى الكتاب بالصورة التى أردتها ..

على أنه اذا كان استهتارى بحق التأليف ربما يجره على من متاعب وإشكالات لا أحصل فيها على البراءة الابدع دفع غرامة يقبضها منى المحامون، الا أنى لست مستهترا بسمعتى الادبية ونوقى الفنى .. فماذا يكون موقفى فى قضية أدبية موضوعها الدفاع عن كتاب لا يستحق القراءة .. هذه هى المشكلة الحقيقية .. أما حقوق التأليف فهى مثار خلاف وجدال .

ونزلت الى الناس فى المصنع . فى المكتب . فى البيت ، فى المدرسة أعطيتهم صفحات من الكتاب وأضع وجوههم وخلقاتهم تحت المراقبة أثناء القراءة . قراء من جميع المستويات أطلعهم

على ثلاث صفحات فقط من صدر الكتاب .. خريج الآداب ..
وخريج الحقوق .. والعامل الذي لا يكاد يفك الخط الا بالجهد
الجهيد .. وربة البيت التي لا يتسع وقتها لتصفح كتاب .. وتلميذ
المرحلة الابتدائية .. لقد أجريت على تلك الصفحات هذا المسح
التجتماعى العريض .. وكلهم أجمع على الرغبة فى قراءة كل
الكتاب ومتابعة الرواية .. وعندئذ شعرت بأنى كسبت القضية
الأولى .. وهى أهم القضيتين .. وخرج الكتاب. كان يتضمن اثنتين
وعشرين صفحة فقط من المخطوط .. وأرسلته اى المؤلف .. وعليه
أن يصور لنا بقية القصة من جانبه .. أما بقية القصة من جانبى
.. فإن الكتاب كان يلتهمه القراء وتابعت كثيرين منهم وضعتهم
تحت الملاحظة فكانوا كلهم بلا استثناء يقرعون هذه الفصول القليلة
فى جلسة واحدة .. ثم بدأ يتصل بى القراء .. انهم يريدون أن
يعرفوا هل أدرك صاحبنا الباخرة أم بقى تائها فى شوارع جنوه
يسأل - بالانجليزية تارة وبالفرنسية تارة أخرى ولا يتلقى على
أسئلته سوى «ابتسامة» إجابة بالطلبانى .. ثم انصرف ...

وبعد أيام جاغنى نبيل فرج ليقول الفريد عاوز الكتاب .. قلت
وما شأن الفريد .. أنا لا أسلم الكتاب الا الى كاتبه .. ودارت بينى

وبين نبيل محاورات .. وتلقى نبيل على الأقل أربع أو خمس مكالمات تليفونية من القاهرة . وهو يتردد بينى وبين التليفون كل يوم مرتين أو ثلاث مرات . الى أن جاعى يوم يقول .. لويس عوض سيكلمك الليلة ..

ودق التليفون فى بيت نبيل .. وقالت السنترال .. نبيل فرج يكلم لويس عوض .. وكانت هذه أول مرة يكلم فيها نبيل الدكتور لويس . وسأل لويس عن كنارى . فقال نبيل لسه ما وصلش يا دكتور .. وقبل أن تثار ثائرة المؤلف الذى يتحرق شوقا لرؤية الكتاب .. دخلت ألهمث لقد عطلتنى المواصلات .. هالو كنارى .. أنا حابعت أطلب استمارة سفر من إدارة المطبوعات .. لا .. لا .. دى مسألة تطول .. أنا جاي يوم الخميس ..

وانتهت المكالمة .. وغادرت دار نبيل لأعود الى بيتى .. وبدأت أحس بشئ من الضيق .. بعد يوم واحد لن أصبح مالكا لهذا الكتاب .. بعد يوم واحد سيفادر بيتى هذا الصاحب العزيز الذى صاحبنى عشرين عاما أو تزيد .

وحل الخميس . ودق جرس الباب .. ودخل الضيوف نبيل فرج يصاحبه شقيقه الفريد . .. الدكتور لويس .. ودخلوا الصالون .

ولعلهم شعروا أول ما شعروا بخيبة أمل فى «دار النشر للجميع»
التي ليس فيها مكتب ولا سكرتير ولا حتى فراش .. ودخلت وبدأ
الحديث. وتناولنا كل الظروف التي أحاطت بهذا الموضوع من
ساعة أن وقع فى يدي الكتاب حتى خروجه من المطبعة وكما
انتهينا من القصة عدت أسردها من جديد والدكتور لا يستقر فى
قعدة الا بجهد ظاهر .. أنه يريد أن يرى كتابه بعد غيبة ثلاثة
وعشرين عاماً .. وكنارى يتكأ ويرaug .. لقد كان الدكتور لويس
يتوقع أن يرى كتابه بمجرد روية كنارى .. ولكن كنارى لم يكن عند
حسن ظن الدكتور .. فلا مناص للدكتور من التصريح .. وسأل
عن الكتاب . وقال كنارى . الكتاب مش عندى .. هو عند ناس ..
وإذا أستأذنتهم فى نقل بعض نصوص منه .. قال الدكتور . ومن
هم هؤلاء الناس . قلت هذا مصدر صحفى . وأنت بلا شك تعرف
واجب الصحفى فى المحافظة على سر مصادره .. وثار الدكتور .
وتغيرت لهجته .. لقد أدرك أنه اصطدم بمشكلة .. وأن عملية
تسلمه الكتاب أصبحت مسألة تحتاج الى صراع .. صراع فى
أقسام البوليس . فى المحاكم .. فى نقابة الصحفيين .. لأنه لا بد
له من طلب اذن النقابة فى مخاصمة زميل .. مسألة شرحها
يطول..

وقل لويس وقد علت طبقة صوته خمس درجات . أنا قبل
ما أجي استشرت محامين .. كنت فاكراً فيها غرامة .. قالوا
الحبس واجب .. وقلت له .. على إيه يادكتور . دى مسألة عندي
بيها انذار .. ومعمول لها ألف حساب .. قال لا .. يمكن أنت ما
تعرفش القانون .. قلت لقد سبقني الى العمل محمد طلعت حرب ..
عندما أخرج قاسم أمين كتابه تحرير المرأة .. فلم يجد لقاسم
أمين يدعو فيه الى الحجاب، وجحظت عين الدكتور لويس وتبادل
مع الفريد النظرات وضحكت أنا .. لقد أطلعتهم على أمر لم
يكونوا عارفيه .. وقال الفريد عجيبة طلعت حرب كان ضد
حرية المرأة .. مع أنه في آخر أيامه كان يوظف البنات في بنك
مصر .. أما الدكتور لويس فقال في اشمئزاز .. لا ده بقى
كان لازم قبل قانون حماية حقوق المؤلفين .. وعندئذ تعرض
لأخطر مراحل .. هذا الكتاب مرحلة الصراع بين الأب الشرعى
والأب المتبنى .. لقد تعرض الولد في هذا المرحلة للموت .. ان
لويس عوض لم يحكم أعصابه فهددنى بالحبس وثارت في
نفسى نائرة التحدى وثورة التحطيم .. قد راودتنى أنفذ فكرة
حرق الكتاب .

ولكن لم يكن فى نيتى أن أفلتت قلبى حزنا وأنا أحطم قلب
لويس عوض أسفاً على كتابه .. فأنا مؤلف وأعرف مكانة الكتاب
فى نفس صاحبه .. ولكنه كان إحساساً عجيباً أشعر به سلوكا
أسلكه بلا ارادة .. سلوك يعانىه أى رجل التقط طفلا من الشارع
.. فتبناه وصاحبه نصف عمره .. ثم إذا به يفاجأ بالأب الشرعى
وجها لوجه يطالبه بضم الولد .. وهأنذا اليوم الأب المتبنى أواجه
بالأب الشرعى يطالب بالولد .. وأنا أريد أن أدخل مع الوالد
الشرعى فى نزاع أمام المحكمة .. أريد أن أدفع بسقوط حقه فى
حضانة الكتاب لأنه أب مهمل مقصر فى حق أولاده ، ولما ضاع
منه كتابه وأصبح عرضه لأن يتناثر بين ايدى المشتريين كل صفحة
منه تتحول الى قرطاس يعبأ فيها اللب والترمس والفول .. ثم ..
يلقى بها على الأسفلت لتدوسها الاقدام ..

قلت للدكتور لويس إنى ذاهب لاحضر الكتاب. ولكن فلنتناول
طعام الغداء .. قال لا.. أنا عاوز الكتاب .. لقمة خفيفة يادكتور
الساعة اتنين ونص وأنا مافطرتش .. لا .. أنا عاوز الكتاب، وكانت
الكلمات تخرج من فم لويس بغضب ممزوج ويقلق وشوق يشوبها
شئ من الارتياح غير قليل .. وخرجت لاتناول الكتاب من يد

زوجتى وأسرع به الى الشارع وكأنما يطاردني شبح يريد أن
يخطف منى الكتاب .. أين أذهب وماذا أريد .. لا أعرف .. سرت
أحتضن الكتاب .. شعور عجيب لا أستطيع تصويره للقراء ..
سرت على قدمى .. ثم ركبت الاتوبيس الى جهة الرمل .. ثم ..
نزلت .. وعدت أسير في الطريق .. ثم .. ركبت الترام ثم نزلت
من الترام وعدت أسير في الطريق .. ثم ركبت الاتوبيس لعود .
الى البيت .. شعور عجيب . وتصرف أعجب .. والكتاب أمسكه
بشدة أضمه الى صدرى .. أينما أحق به يا ناس .. أنا .. الذى
حافظت عليه عشرين عاماً لا أفرط فيه .. أم هذا الذى كتبته
لينساه فى الترام .. فى القطار .. فى المطعم .. فى أى مكان
والسلام ..

«كنارى»

رقم الإيداع

٢٠٠١ / ١١٢٠٨

977 - 07 - 0800 - 3

الفهرس

مقدمة المؤلف	٥
كلمة «كنارى»	٢٩
الحر ومكتب البعثات	٣٣
فى عرض البحر	٥٣
دون كيشوت	٦٩
المائدة المسحورة	٧٥
صخور دوفر	١٠٠
اليوم الأول	١٠٣
شهر العسل فى المتحف البريطانى	١٢٦
دولسناف الجنينة	١٥٩
كامبريدج من بعيد	١٨٣
عروس الآلة	٢٠٣
نادى الفراعنة	٢٤٥
الشاطئ المسحور	٢٥٤
رأس الزوابع	٣٤٠
أوندين ١٩٤٠	٣٥٩
كوراس العبيد	٣٧٧
مصر مرة ثانية	٤١٣
انتهت المذكرات	٤٢٩

المجلد

المجلة الثقافية الأولى في مصر

والعالم العربي

سبتمبر ٢٠٠١ عدد ممتاز تقرأ فيه:

- اختراق إسرائيل للإعلام العربي.
- البطل الشيوعي في الرواية المصرية.
- ثورة المعلومات وأثرها على الفن والثقافة.
- إعادة الاعتبار للويس عوض بعد إحدى عشرة سنة من وفاته.
- الخطر يهدد متحف الفن الإسلامي.

رئيس التحرير

مصطفى نبيل

رئيس مجلس الإدارة

مكرم محمد أحمد

روايات الملal

تقدم

جبل

الروح

للكاتب:

جاو تسينج جيان

تصدر ١٥ سبتمبر ٢٠٠١

رئيس مجلس الإدارة

مكرم محمد أحمد

كتاب الملal

يقدم

عجائب

المخلوقات

بين الحقيقة

والخيال

بقلم:

د. عبدالمحسن صالح

تصدر ٥ أكتوبر ٢٠٠١

رئيس التحرير

مصطفى نبيل

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوي (١٢ عددا) ٦٠
جنيتها داخل ج . م . ع تسدد مقدما نقدا
أو بحوالة بريدية غير حكومية - البلاد
العربية ٣٠ دولارا - امريكا واوربا واسيا
وافريقيا ٤٠ دولارا - باقي دول العالم
٥٠ دولارا .
القيمة تسدد مقدما بشيك مصرفي لأمر
مؤسسة دار الهلال ويرجى عدم ارسال
عملات نقدية بالبريد .

● وكلاء اشتراكات مجلات دار الهلال

الكويت : السيد / عبدالعال بسيوني زغلول . الصفاة - ص . ب رقم ٢١٨٢٢
للحصول على نسخ من كتاب الهلال اتصل بالتلفون : 92703 Hilal.V.N

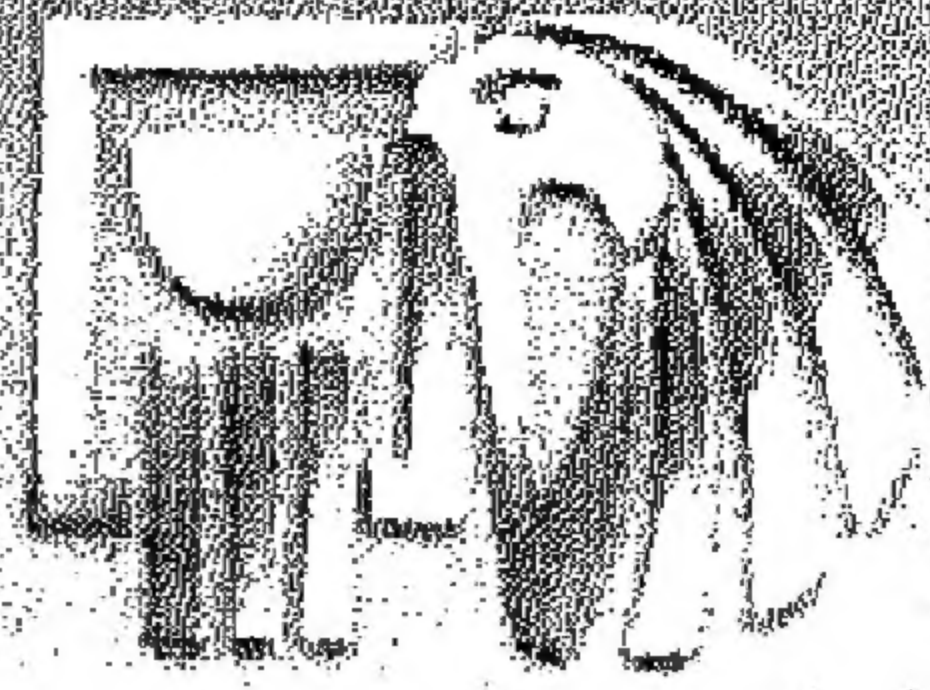
هذا الكتاب

«مذكرات طالب بعثة» عمل فنى رفيع المستوى للدكتور لويس عوض أحد رواد النهضة وحركة التنوير الحديثة.. تميز بمنهجه الفكرى، فشق دريا متميزا، أيده فيه الكثيرون وعارضه كثيرون، ولكن الجميع اتفقوا على انه ظاهرة فكرية شديدة الخصوصية والعطاء والايمان بما يدعو إليه.

وهذا الكتاب قطعة من الأدب الرفيع.. كتبها الدكتور لويس عوض عام ١٩٤٢، ولم يعثر عليها بعد فقدانها فى دهاليز الرقابة الا عام ١٩٦٥.

ومذكرات طالب بعثة اول تجربة فى الكتابه بالعامية خاضها المؤلف على غرار تجربة بيرم التونسي فى كتابه المعروف «السيد وخبراته فى باريس» . الذى صدر فى الثلاثينات.

والتجربة العامية فى مذكرات طالب بعثة لا تنتمى إلى الفن الخالص بل الى جانب من فكر لويس عوض وهو الفكر الذى يتكامل مع مضمون تلك المذكرات التى سجلت الواقع الخاص والعام بجرأة حيث اختار العامية أداة لتشكيل تجربة الاغتراب الأولى عن الوطن حينما ابتعث طالبا للدكتوراه فى انجلترا، فجاءت المذكرات سردا كميا متتابعا للزمان والمكان من داخل الزمان والمكان دون أية مساحة تفصل بين صاحب المذكرات واحداثها.



مفهوم ذهبي جديد A NEW GOLDEN CONCEPT

بطاقة ماستر كارد مصر للطيران
الـ

بهذه الدرجات :

- إلى
- بال الأعمال
- سياحية

و الخدمات :

يملك بهذه البطاقة
الطائرة .
من الخدمات العلاجية

ة :

في سحب شهري .

كبير

•

•

•

•

•

•



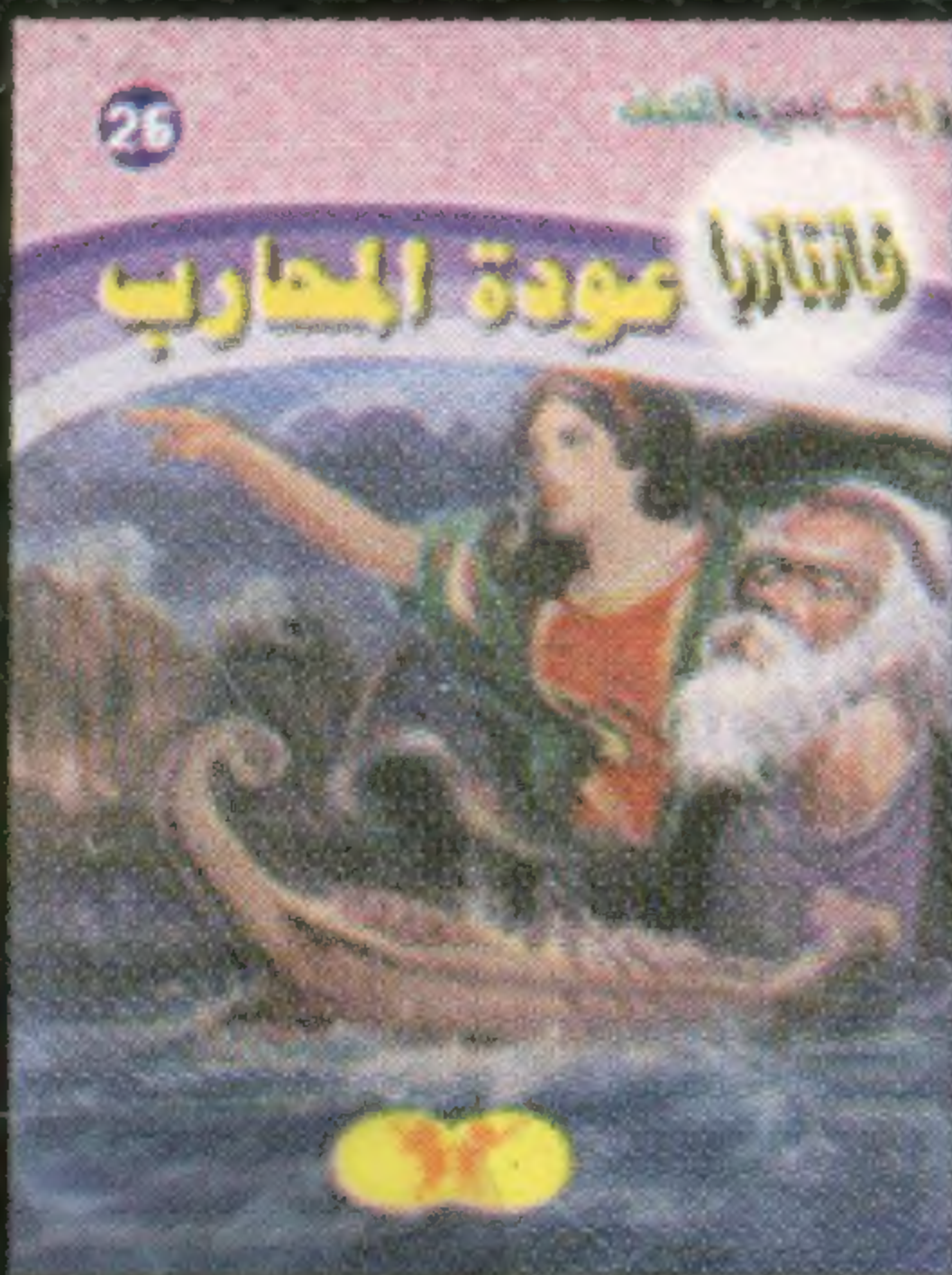
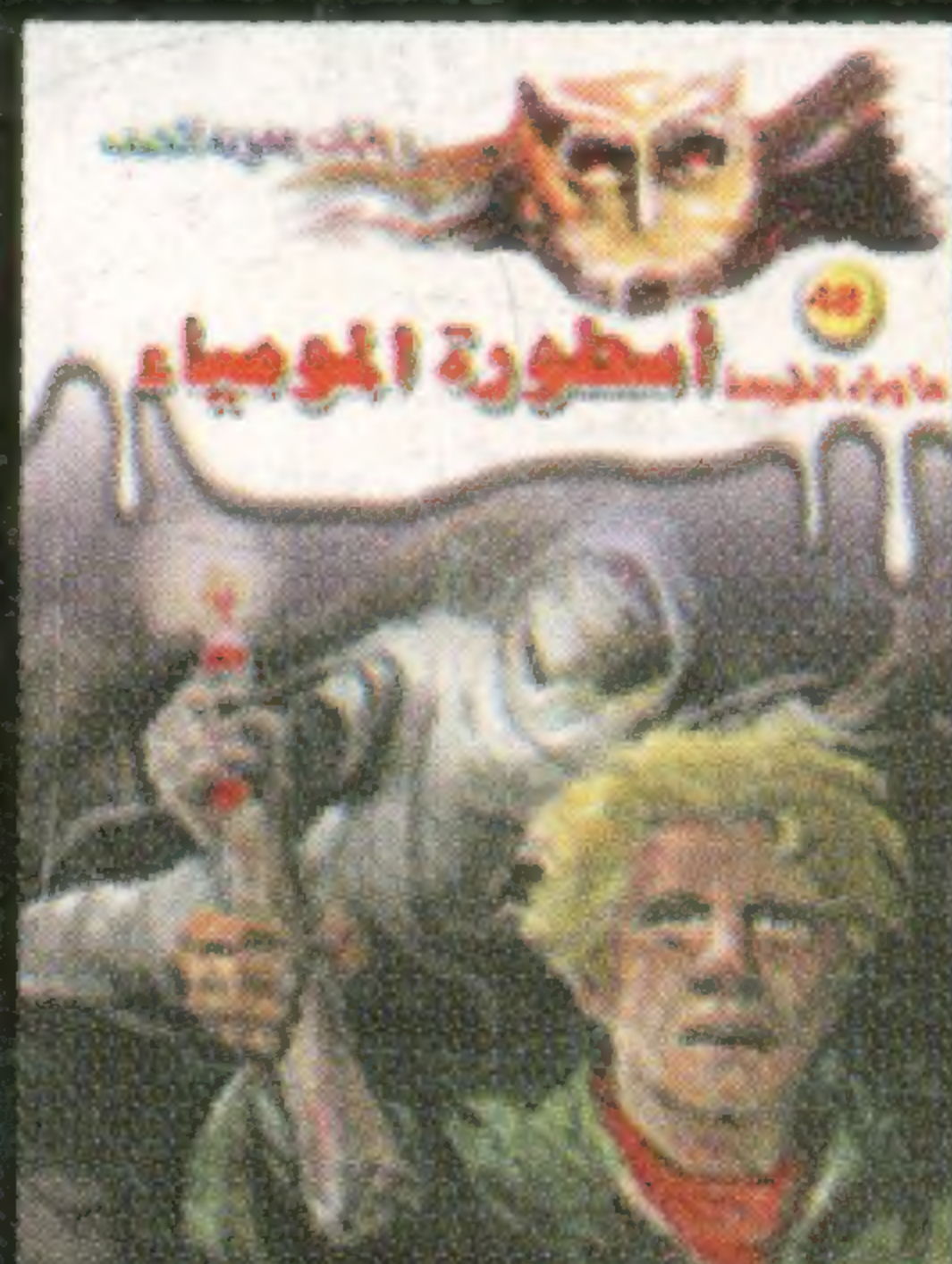
الأسماء الكبيرة .. مزاياها كبير



NATIONAL BANK OF EGYPT

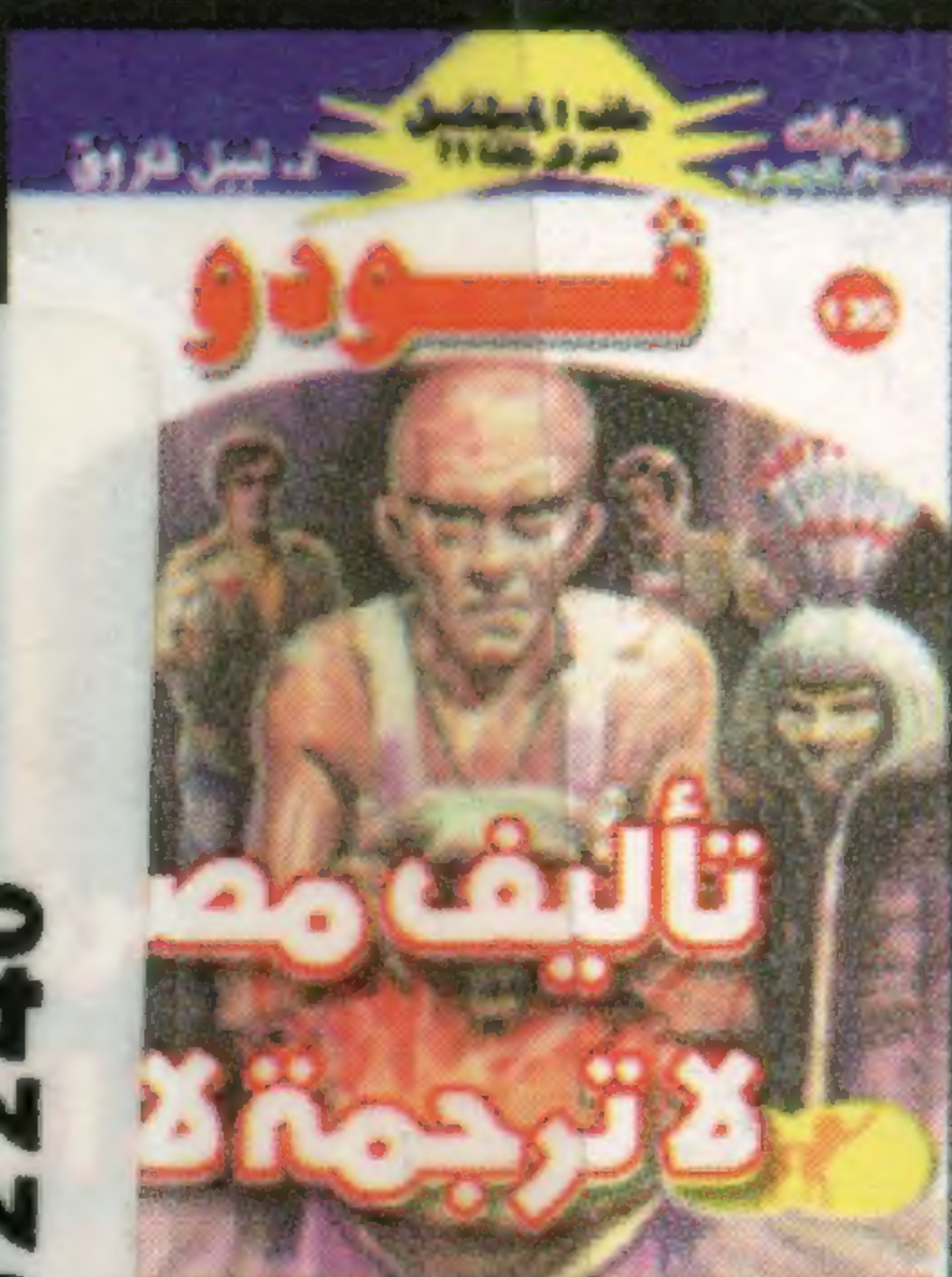
روايات معربية للجيب

أجمل أوقات الفراغ تقضيها
مع بقعة من أمتع القصص والروايات



روايات معربية للجيب
معشوقة شباب العالم العربي
من مشرقه إلى مغربه

روايات معربية للجيب



طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت : ٥٩٠٨٤٥٥ - ٦٨٣٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧
فاكس : ٩٨٧٧٠٠٢

